جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت

للعلامة المحدث

السيد محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني

ويليه تأنيس الغريب . وبشرى الكئيب بلقاء الحبيب

كلاهما للشارح المذكور

أشرف على تصحيحه فضيلة الشيخ

حسن محمد المشاط

المدرس بالمسجد الحرام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٣٨١

مطابع دار الثقافة بمكة

ترجمة الحافظ جلال الدين
العلامة عبد الرحمن السيوطى
المتوفى سنة ٩١١ هـ
صاحب التثبيت

هو الامام العلامة المحقق المجتهد خاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن ابن كمال الدين أبى بكر بن محمد السيوطى ولد رحمه الله تعالى بعد غروب شمس ليلة الاحد مستهل رجب سنة ٨٤٦ هـ ست وأربعين وثمانمائة هجرية ، ونشأ على التجرد فى طلب العلم فحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين ثم حفظ المنهاج الفقهى والاصولى والعمدة فى الفقه والفية ابن مالك ثم قصد الى جماعة من الشيوخ الفضلاء يبلغ عدتهم مائة وخمسين عالما ما منهم الا نحرير ماهر وقد كتب تراجمهم فى كتاب أسماه حاطب وجارف سيل وارتحل الى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور وجمع غالب الفنون العلمية وكان فى الحفظ آية من آيات الله الباهرة وبعد مدة أمضاها فى طلب العلم تصدر للتدريس والفتيا وذلك سنة ٨٧١ احدى وسبعين وثمانمائة فكشف عن نقاب المهمات برأى ثاقب وادعى الاجتهاد لما له من سعة الاطلاع بحيث أصبح مضرب المثل ولقد حدث عن نفسه فقال والذى أعتقد أن الذى وصلت اليه من العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها لم يصل اليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى فضلا عمن دونهم ولو شئت أن أكتب فى المسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله تعالى .

وله من المصنفات نحو ستمائة وأول شروعه فى التصنيف سنة ٨٧٦ ست وسبعين وثمانمائة وقد عد بعضها فى ترجمته من حسن المحاضرة ووجد بكراسة من تأليفه أنه بلغت مصنفاته سنة ٩٠٤ الى ٥٣٨ مصنفا فعدد ماله فى علم التفسير ٧٣ مصنفا وفى الحديث ٢٠٥ والمصطلح ٣٢ والفقه ٧١ وأصول الفقه والدين والتصوف ٢٥ واللغة والنحو والتصريف ٦٦ والمعانى والبيان والبديع والكتب الجامعة لفنون ٨ والطبقات والتاريخ ٣٠ وغيرها ٢٧ المجموع ٥٣٨ وقيل انه

مجدد المائة العاشرة كما ترجى ذلك هو فى منظومته فى أســـماء المجددين وتصانيفه رحمه الله ، كلها مشتملة على فوائد لطيفة وفرائد شريفة تشهد كلها بتبحره وسعة نظره ودقة فكره وانه حقيق بأن يعد من مجددى الملة المحمدية وكانت وفاته رحمه الله تعالى فى سنة ٩١١ احدى عشرة وتسعمائة هجرية رحمه الله تعالى رحمة الابرار وجمعنا به فى دار القرار مع النبى المختار صلى الله عليه وسلم وآله الاخيار وصحابته الابرار آمين •

حياة صاحب

جمع الشتيت

العلامة السيد محمد اسماعيل

الامير الصنعانى

المتوفى

سنة ١١٨٠

رحمه الله تعالى آمين

ويليه تأنيس الغريب بشرح بشرى الكئيب بلقاء الحبيب

كلاهما للشارح المذكور

حياة الشارح

هو السيد محمد بن اسماعيل الكحلانى ثم الصنعانى يتصل نسبه الى سيدنا الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم المشتهر بالامير الصنعانى الكبير صاحب التصانيف الكثيرة التى سارت بها الركبان ينتفع بها فى كل صقع ومكان ولد ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة **١٠٩٩** بكحلان بضم الكاف أبو قبيلة من اليمن •

ثم انتقل مع والده الى مدينة صنعاء سنة **١١٠٧** وأخذ عن علمائها كالسيد زيد بن محمد بن الحسن والسيد العلامة صلاح بن الحسين الاخفش والسيد العلامة عبد الله بن على الوزير والقاضى العلامة على بن محمد العنسى ورحل الى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة المنورة وبرع فى جميع العلوم وفاق الاقران وتفرد برئاسة العلم فى صنعاء وتظاهر بالاجتهاد وعمل بالادلة من الكتاب والسنة وزيف ما لا دليل له من الآراء السقيمة وله مصنفات جليلة حافلة منها سبل السلام شرح به بلوغ المرام للحافظ ابن حجر فى أحاديث الاحكام اختصره من بدر التمام العلامة المغربى ومنها العدة جعلها حاشية على شرح العمدة للعلامة ابن دقيق العيد فى أربع مجلدات ضخام المجلد يأتى فى **٤٩٥** صفحة وقد وفق الله تعالى مليكنا المحبوب سعودا فطبعه بمصر على ورق جيد بحروف مشكولة مضبوطة أطال المولى عمره فى خير وعافية • وهى أول طبعة ظهرت فى الوجود على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود وأمر بتوزيعه على أهل العلم مجانا أيده الله ونصره وزاد فى توفيقه وما هى بأول حسنة جاد بها فله فى خدمة السنة المحمدية الكثير من المؤلفات القيمة التى أنفق على طبعها وتوزيعها المال الكثير ولعل ملوك المسلمين يقتفون أثره فى ذلك ومن مؤلفات صاحب الترجمة شرح الجامع الصغير للسيوطى فى أربع مجلدات • قال الشوكانى فى البدر الطالع شرح الجامع قبل أن يقف على شرح المناوى قلت والمناوى له شرحان صغير يأتى فى مجلدين وكبير يأتى فى ست مجلدات وكلاهما طبع •

ومنها جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت للحافظ السيوطى تكلم فيه على

الموت ونزول القبر وعالم البرزخ والمعاد بالكتاب والسنة المحمدية وضم اليه منظومته بشرى الكئيب بلقاء الحبيب وشرحها ولا نعلم أن هذا الشرح وجد فى عالم الطباعة وسيكون له الاثر الصالح ان شاء الله تعالى فى نشره بطبعه خصوصا فى أم القرى التى هى مصدر النور وسيشع هذا النور الى عالم الآفاق بفضل الله تعالى ثم بطبع هذا المجموع الشريف فيعم به النفع والانتفاع فان الغفلة استولت علينا حتى لم نعد لتلك الدار شيئا من الزاد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وله غير ذلك من المؤلفات القيمة قال فى البدر الطالع للعلامة محمد على الشوكانى توفى رحمه الله تعالى سنة ١١٨٢ يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان منها ونظم بعضهم تاريخه فكان هكذا « محمد فى جنان الخلد قد وصلا »

كتبها العلامة الجليل
فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على أمور الدنيا والدين

حمدا لك يا من قدر على هذه الدار ومن فيها الفنا وجعل لكل من على ظهرها غاية اليها يكون الانتهاء من قضى للعباد بالبقا تحت أطباق الثرى الى غاية لا يعلمها الا هو ثم يبعثهم الى دار النعيم والشقا ..

وأشهد أن لا اله الا الله الاول قبل ايجاد الاشياء الآخر بعد افنائه للدنيا والسموات العلا وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى فاز من صدقه وصار من زمرة السعداء وخاب من كذبه فكبكب فى دار الاشقياء صلى الله عليه وعلى آله ما أقام الصلاة من عبد الله وقامت بربها الاشياء .

وبعد .. فقد ثبت وتواتر ان الميت يفتن بعد موته بسؤاله وتسأله الملائكة فالسعيد من ثبته الله فى مقاله تواترت بهذه الاخبار النبوية والاحاديث المحمدية ونظم ذلك العلامة الذى طبقت تصانيفه الاقطار وكادت أن تبلغ حيث بلغ الليل والنهار جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى أسكنه الله جنات تجرى من تحتها الانهار وانه سألنى بعض أهل الايمان أن أكتب عليها شرحا يكون مبينا لما أجمله أوضح بيان فأجبته ولست من فرسان ذلك الميدان ولا من أهل ذلك الشأن لكن رجوت أن يكون انسا لى اذا نزلت لحدى وأفردت فيه عما عدا أعمالى وحدى وحين جمعته من كتب مشتتة عديدة ومن مؤلفات بعيدة سميته جمع الشتيت فى شرح أبيات التثبيت فان ناظمه رحمه الله سماه التثبت فى التثبيت وربما نظمت زيادة عليه وضممتها اليه ونبهت فى شرح ما زدت على المعنى الذى قصدته تكميلا للفائدة وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك فى الاولى والاخرى أحسن عائدة وأميز بين النظمين بأن آتى بلفظ فصل فى أول ما زدته من أبيات أو بيتين ثم انى بحمد الله تعالى لما فرغت من شرح أبيات التثبيت نظمت كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب وشرحت ما نظمته فاشتمل المؤلف على نظمين وشرحين وزدت عليه ما يلحق الميت بعد وفاته وما يفوز به من الاجر بعد مماته .

والحمد لله تعالى قال الناظم رحمه الله تعالى :

الْحَمْدُ لله عَلَى الْإِسْلَام   وَالشُّكر لله عَلَى الْإِنْعَام

فى القاموس الحمد الشكر والجزاء والرضاء وقضاء الحق انتهى ، والله تعالى •

قال العلماء انه اسم للذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد والاسلام مصدر أسلم قال فى القاموس أسلم انقاد وصار مسلما وفيه الشكر عرفان الاحسان ونشره اذ لا يكون الا عن يد ومن الله المجازاة أو الثناء الجميل انتهى •

والانعام مصدرا نعم عليه أحسن فالانعام الاحسان وأما النعمة فهى المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ذكره الامام الرازى انتهى •

وقد عرف المحققون الحمد بأنه الثناء بالجميل على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم ويقال الحمد اللغوى الوصف بفضيلة على فضيلة على جهة التعظيم باللسان فقط والحمد العرفى فعل يشعر بتعظيم المنعم لكونه منعما بفعل اللسان والاركان وهو بهذا المعنى يرادف الشكر والحمد القولى حمد اللسان وثناؤه على الرب بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله ولهم فى الشكر وحقيقته أقوال فقالوا الشكر العرفى صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله وهو شكران شكر باللسان وهو الثناء على المنعم المشكور ا• ه

وشكر بجميع الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق وعرفوه أيضا بأنه نشر الفضل بنعت التذلل وبأنه صرف النعمة فى وجه الخدمة وبأنه الاقرار بالافضال على وجه الاذلال انتهى •

واعلم انه لا بد للحمدمن حامد ومحمود ومحمود به ومحمود عليه ومثله الشكر فالحامد العبد هنا والمحمود هو الله تعالى والمحمود به هو لفظ الحمد فى قول العبد الحمد لله مثلا والمحمود هو الله تعالى والمحمود عليه هنا هو الاسلام وهو النعمة العظمى والعطية الكبرى والحلة الفاخرة وجمال الدنيا والآخرة به حقنت الدماء وعزت الأذلاء وبه يكون فى الآخرة جزيل العطا •

أخرج أحمد والطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجىء الاعمال يوم القيامة فتجىء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول انك على خير وتجىء الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة فيقول انك على خير ويجىء الصيام فيقول يارب أنا الصيام فيقول انك على خير ثم تجىء الاعمال كل ذلك يقول الله انك على خير ثم يجىء الاسلام فيقول يارب أنت السلام وأنا الاسلام فيقول انك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطى

قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبـــل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين •

والاسلام لغة قد سمعت معناه والمراد به هنا مافسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل عليه السلام فانه أتى الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى صورة رجل فسأله عن الاسلام فقال يا محمد أخبرنى عن الاســـلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا الحديث أخرجه مسلم • وفيه أيضا السؤال عن الايمـان والاحسان والجواب عنهما ولما كان الاسلام نعمة من الله تعـــالى كما قضى به الدليل جعله محمودا عليه وذلك لما تقرر من أن الله هو الذى هدى اليه ودعا اليه ودل عليه كما قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه :

والله لولا الله ما اهتدينا × ولا تصـــدقنا ولا صلينا

بحضرته صلى الله عليه وسلم وأقره على ذلك بل قال الله تعالى يمنـــون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفـــر والفسوق والعصيان •

وأخرج أحمد والبخارى فى الادب والنسأى والحاكم وصححه عن رفاعة ابن رفاعة الزرقى قال لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استووا حتى أثنى على ربى فصاروا خلفه صفوفا فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لمن منعت ولا مانع لمن أعطيت ولا مقرب لمـــا باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول اللهم انى أسألك النعيم يوم العيلة [١]•

انى أسألك يوم العيلة والامن يوم الخوف اللهم عائذ بك من سر ماأعطيتنا وشرما منعتنا اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وكره الينا الكفر والفســـوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصـــالحين غير

(١) كذلك هو فى الادب المفـردوفيه بعده والامن يوم الحرب •

خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب اله الحق انتهى .

وهو من الادعية الجامعة لخير الدنيا والآخرة والمراد ثبت حب الايمان الينا لأنه تعالى قد أخبر أنه حببه اليهم فهو من باب سؤال استمرار ما أنعم به كقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا واذا عرفت هذا عرفت عظمة نعمة الاسلام فأى نعمة أعظم منه على الأنام وهو الذى سأل خليل الرحمن له ولابنه كما حكاه عنه ربنا عز وجل فى القرآن سائلا لمولاه أن يديم عليه من الاسلام ما أولاه فقال « ربنا واجعلنا مسلمين لك » طلب ذلك له ولاسمعيل ثم طلبه لأمة من ذريته من أى قبيل فقال « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » وأى نعمة أعظم من نعمة الاسلام .

وبه أوصى ابراهيم بنيه ويعقوب عليهما السلام فقال « يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » وأى نعمة أعظم من ملة الاسلام وهى ملة أبينا الخليل وبه سمى الله تعالى هذه الأمة من قبل وجودها فى التوراة والانجيل ، أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن سفيان فى قوله تعالى (هو سماكم المسلمين من قبل) قال الله عز وجل من قبل قال فى التوراة والانجيل وفى هذا قال فى القرآن وأى نعمة أعظم منه وقد سأله أهل الايمان من قوم موسى حيث قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين بل سأل ذلك رسولنا الامين كما سلف فى الدعاء الجامع لخير الدنيا والدين وسأل من الانبياء يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام حين سأل من ربه أن يلحقه بخير فريق فقال توفنى مسلما والحقنى بالصالحين ، أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنه فى الآية قال اشتاق الى لقاء الله وأحب أن يلحقه به وبآبائه فدعى الله أن يتوفاه وأن يلحقه بهم ولم يسأل نبى قط الموت غير يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وأى منة أعظم من منة الاسلام وقد سماه الله تعالى الدين فقال ان الدين عند الله الاسلام وأى هبة أشرف من هبة الاسلام ولا يقبل دين غيره من الانام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وأى عطية أسنى من عطية الاسلام وهو الذى رضيه الله لبريته « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت

عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ، وأى منحة أجل قدرا من منحة الاسلام قال الله تعالى « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون » أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها أما من فى السموات فالملائكة وأما من فى الارض فمن ولد على الاسلام وأما كرها فمن أتى به من سبايا الامم فى السلاسل والاغلال يقادون الى الجنة وهم كارهون وأى حلة أفخر من حلة الاسلام اذ ألبسها الله من هداه من الانام وهى حلة خليل ربنا وسائر المرسلين كما قال الله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأى حباء أسنى لمن حباه الله بالاسلام وقد أمر الله خير خلقه ورسله عليهم الصلاة والسلام أن يقول وأنا أول المسلمين وجعلها من أذكار وأشرف طاعات المؤمنين بل جعلها مفتاح أشرف العبادات يكررها القائل فى اليوم خمس مرات وكيف لا يكون الاسلام أعظم العطايا وأسناها وبه النجاة غدا من أهوال القيمة وعناها وبالاسلام تبيض الوجوه حين تسود وجوه من أعرض عن هداه ، وبه تقل صحائف الحسنات فى الدارين وبالاسلام يعطى العبد كتابه عند تطاير الصحف باليمين وبالاسلام يشرب من حوض سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام حين يذاد عنه أهل العصيان وبالاسلام يجوز على الصراط اذا تهافت الاشقياء منه الى النيران وبالاسلام نجاة المسلم اذا المجرم من المسلم امتاز ومن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وبالاسلام يثبت الله العبد فى الجواب على ملائكة ربه حين يسألونه وهو تحت التراب ، أخرج ابن أبى عاصم وابن مردويه والبهيقى من طريق أبى سفيان عن جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع المؤمن فى قبره أتاه ملكان فانتهراه فقام يهب كما يهب النائم فيقال من ربك فيقول الله ربى والاسلام دينى ومحمد نبيى فينادى مناد ان صدق فافرشوه من الجنة ويأتى فى شرح هذه الابيات عدة أحاديث فى هذا المعنى ، وكيف لا يكون الاسلام كذلك وللمسلمين أنزل روح القدس القرآن هدى وبشرى للمسلمين كما قال تعالى « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » ولأجل اسلام الامم جعل لعباده من النعم ما لا يحصر - ما فيه من أقلام العلماء قلم فقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الى آخر الآيتين الى قوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فكم اشتملت هاتان الآيتان على تعداد نعم لا يفى بالتعبير عنها

لسان بل لو تكلم عليهما على انفرادهما لاحتمــلا مجلدا يستغرق عدة أوقات وأزمان والحمد لله الذى من علينا بالاسلام وهدانا له بفضله والانعام وما كنــا لنهتدى لولا أن هدانا الله كلمة صادقة يقولها المسلمون فى دار السلام وانمــا أطلت فى هذه النعمة فيما يظنه الناظر والا فليس بتطويل فان التعريف بمقــدار نعمة الاسلام يفتقر الى مؤلف جليل لانى رأيت غالب أهل الاسلام لا يعرفون نعمته ولا يشكرون منته بل لا يخطر ببال أكثرهم نعمة الاسلام انما يظن حطام الدنيا ومتاعها وجاهها ورياستها هى الانعام ولقد جهل الحقيقة وتنكب عن الصراط المستقيم من الطريقة فان قلت هلا جعل المحمود عليه الايمان فانه روح جسم الاسلام اذ ذاك محله القلب وهذا محله الاركان فنقول مثلا الحمد لله عــلى الايمان والشكر لله على الاحسان وما يفوته شيء مما شمله بيت النظام بل يكون هذا أبلغ فى بلوغ المرام قلت ينبغى أن يعرف أولا حقيقة الايمان ليتبين لك وجه العدول عنه الى الاسلام غاية البيان وقد عرف رسول الله صلى الله عليهوآله وسلم الايمان بقوله أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قاله جوابا لجبريل لما جاءه سائلا عنه وقال أخبرنى عن الايمان وهو طرف من الحديث الذى ذكرنا شطره قريبا وانه أخرجه مسلم من حديث عمر رضى الله عنه ، وأخرج أحمد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه بسند صــحيح عن أنس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الاسلام علانية والايمان فى القلب ثم يشير بيده الى صدره ثلاث مرات ويقول التقوى ههنا التقوى ههنا • اذا عرفت هذا فالاسلاملماكانعملا بالجوارح وأثرهللعيون واضحوبهيستمرحقن الدماء ويطيب به على العبد الثناء ويوصف بالعدالة وينال به من الوظائف الدينيــة آماله من قبول شهادته والاعتماد على روايته فناسب غاية المناسبة أن يجعل هو المحمود عليه وأن يوجه الثنا فى المقام اليه والايمان خفى المكان عن الابصار بل لو شق القلبالذى هو محله ما عرفت له اثار وان كان التحقيق أن الاســلام والايمان متلا زمان وان بمجموعهما ترجى النجاة من النيران والحلول فى غرف الجنان ولذا أكثر ربنا عز وجل فى القرآن مـ نقوله تعالى ان الذين آمنــوا وعملوا الصالحات فى أكثر الآيات فان من صدق بقلبه ولم يأت بشيء مما أمر به كأبى طالب لا ينجيه التصديق بمجرده مع اعراضه عن فعل ما أمر به وتجرده من عمل خصال الاسلام وهو غير مصدق بشيء من الاحكام كالمنافقين فانه فى

الدركِ الاسفل من النار كما نطق به القرآن وصحيح الاخبار فان قلت فكيف تقول ان الايمان أفضل من الاسلام مع تلازمهما فى الآخرة فى الاحكام قلت قد ثبت فى الاخبار بالتواتر عند من له بالسنة النبوية اختبار « انه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان » وهى ظاهرة فى نجاته وان لم يأت بشىء من الاركان بخلاف من فعل خصال الاسلام وقلبه خال عن التصديق فانه فى قعر النيران مع شر فريق ولكون الايمان سرا والاسلام علانية • أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما وصف رجلا بالايمان أن يصفه بالاسلام دون الايمان كما أخرج ابن أبى شيبة والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن جرير وابن مردويه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن نفرا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم الا رجلا منهم فقلت يا رسول الله أعطيتهم وتركت فلانا والله انى لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما قال ذلك ثلاثا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نهاه أن يصفه بالايمان كما أخرجه ابن قانع وابن مردويه من طريق الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم قسما فأعطى أناسا ومنع آخرين فقلت يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ومنعت فلانا وهو مؤمن فقال لا تقل مؤمن وقل مسلم قال الحافظ ابن حجر فيه ارشاده الى التوقف عن الثناء بالامر الباطن دون الثناء بالامر الظاهر أ• هـ•

واعلم أن الاسلام قد يطلق ويراد به الايمان وهو كثير فى الاحاديث والآيات القرآنية فيحتمل أنه أراد الحافظ فى أبياته بالاسلام الايمان وللعلماء الاصوليين مباحث طويلة فى الفرق بين الاسلام والايمان وفى كون الاعمال شطرا من الايمان أو شرطا فيه وقد حققنا ذلك فى « الدراية حاشية الغاية وقوله والشكر لله على الانعام كان مقتضى الظاهر أن يأتى بالمضمر عوضا عن الظاهر ولكنه أتى به تبركا وتلذذا بالاسم الشريف وتشرفا وأى تشرف فهو من باب قوله :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا × ليلاى منكن أم ليلى من البشر

ثم هو من عطف العام على الخاص بالنظر الى الاسلام والانعام اذ الاسلام رأس كل انعام فهو داخل فى حقيقة الانعام وان كان الاول محمودا عليه والثانى مشكورا عليه فقد شمل الكل كونه ثناء قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَأفْضَلُ الصَّـلاة والثَّنَاء عَلَى النَّبى خَاتَمَ النبآءِ

اعلم انه لما كان كل خير فى الدين والدنيا نالته الامة المحمدية من ربها بواسطة خير الخليقة والبرية والمكافأة لمن أسدى الى الانسان شيئا من احسان أو دله على النجاة وهو خيران واجبة كوجوب فروض الاعيان سيما من دل على ما فيه النجاة من لافح النار والفوز بجنات تجرى من تحتها الانهار وقد أمر الله بوجوب رد التحيةلمن أحسن الى أخيه بالابتداء بها وهى أيسر عطية فقال تعالى « واذا حييتم بتحية » فكيف بمن أهدى الينا كل هدية سنية وبذل نفسه ونفيسه فى هداية البرية وقد اختلف العلماء فى حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على عشرة مذاهب الاول انها تجب فى الحملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الاجزاء مرة وقد نقل الاجماع على هذا بعض أهل العلم ثانيها انها مستحبة ونقل أيضا الاجماع على هذا •

ثالثها أنها تجب فى العمر مرة ككلمة التوحيد وهو قريب من الاول وادعى القرطبى عليه الاجماع •

رابعها تجب فى العقود آخر الصلاة بين قول التشهد والتسليم للتحلل قاله الشافعى ومن تبعه •

خامسها تجب فى التشهد وهو قول الشعبى وهو مثل كلام الشافعى الا انه لم يعين المحل •

سادسها تجب فى الصلاة من غير تعيين المحل نقل ذلك عن أحمد الباقر •

سابعها يجب الاكثار منها من غير تقييد قاله بعض المالكية •

ثامنها تجب كلما ذكر قاله الطحاوى وجماعة من الحنفية وقال ابن العربى انه الاحوط ومثله قال الزمخشرى •

تاسعها فى كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشرى •

عاشرها فى كل دعاء حكاه أيضا ، هذه أقاويل العلماء • وأدلة الوجوب هو قوله تعالى « صلوا عليه » • فانه أمر وورد الامر بها فى عدة أحاديث والاصل فيه الوجوب • أخرج عبد الرزاق وابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وابن مردويه عن كعب بن عجرة قال قال رجل يارسول الله اما السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » الحديث •

واخرج عبد الرحمن بن بشير بن مسعود الانصارى قال لما نزلت « ان الله وملائكته يصلون على النبى » الآية . قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال قولوا « اللهم صل على محمد الحديث والاحاديث الواردة بالامر بالصلاة عليه واسعة والامر حقيقة فى الوجوب ولكنه لا يدل على التكرار وهذا حجة من قال تجب عليه مرة فى العمر وحجة من قال بوجوبها فى الصلاة حديث فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا فقـــال قولوا « اللهم صل على محمد الحديث أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذى وابن خزيمه والحاكم من حديث ابن مسعود وبادلة أخرى منها ما أخرجه البيهقى عن الشعبى وهو من كبار التابعين قال من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد فليعد صلاته واما من قال بوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر فاستدل بما أخرجه البخارى فى الأدب عن جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فلما رقى الدرجة الاولى قال آمين وفيه انه قال صلى الله عليه وسلم انه جاءه جبريل عليه السلام ثم قال شقى عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين ومثله أخرجه أيضا من حديث أبى هريرة وما أخرجه أحمد والترمذى والنسائى وابن حبـــان والحاكم من حديث الحسين بن على رضى الله عنهما البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على والقائلون بأنها تستحب ولا تجب حملوا هذه الاوامر فى الآية وفى الحديث على الاستحباب لقرائن قادت الى ذلك ولتفصيل الاقوال فى مطولات الكتب مجال وأما فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وســـلم فلا كلام فى ذلك وقد وردت أدلة تكثر وتطيب ولنتبـــرك بشىء من شريف نقـــل الادلة أخرج البيهقى فى شعب الايمان وابن عساكر وابن المنذر كذا فى تاريخه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقربكم منى يوم القيامة فى كل موطن أكثركم على صلاة فى الدنيا من صلى على يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله فى قبرى كما تدخل عليـــكم الهدايا يخبرنى من صلى علي باسمه ونسبه الى عشرة فأثبته فى صحيفـــة بيضـــاء .

قلت قال الحافظ ابن دحية بعد سياقه لهذا الحديث بلفظه ما لفظه وهذا

حديث باطل لكذب راويه قال الحافظ أبو جعفر العقيلي فى تجريحه وتعديله أى فى كتابه فى التعديل والتجريح عثمان بن دينار يريد أحد رواته يحــدث بالاباطيل روت عنه ابنته حكاية أحاديث بواطل ليس لها أصل ومن طريقها أسند الحسن بن رشيق وهو . حدثتنا حكامة بنت عثمان بن دينار قالت حدثني أبى عن أخيه مالك بن دينارعن أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أقربكم منى مجلسا » فحكت الحديث بلفظه الى بيضاء وأخرج البيهقى فى الشعب والخطيب وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى علي عنــد قبرى سمعته ومن صلى علي غائبا وكل الله به ملكا يبلغنى وكفى أمر دنيـاه وآخرته وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة » وأخرج الاصبهانى فى الترغيب والديلمى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وســلم « ان أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على فى دار الدنيا صلاة وانه كان فى الله وملائكته على ما أخبر به فى الآية « ان الله وملائكته يصلون الله وملائكته يصلون على النبى » الآية - وملائكته كفاية لكنه خص المؤمنين بذلك ليثيبهم عليه .

وأخرج مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر » .

وأخرج الترمذى وحسنه وابن حبان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » وأخرج عبد الرزاق عن أبى طلحة رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته مسرورا فقلت يا رسول الله ما أدرى متى رأيتك أحسن بشرا وأطيب نفسا من اليوم قال ما يمنعنى وجبريل خرج من عندى الساعة فبشرنى ان لكل عبد صلى على صلاة يكتب له بها عشر حسنات وتمحى عنه عشر سيئات ويرفع له بها عشر درجات وتعرض على كما قالها ويرد عليه مثل ما دعى وأحاديث فضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بحر لا تنزفه الاقلام ولا تحصيه الاعلام . وأما كيفية العبارة فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فكل عبارة تؤدى ذلك مجزئة وأفضلها ما علم أمته لما سألوه عن كيفيـة

تأديتها فأخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه عن أبى مسعود عقبة بن عمرو ان رجلا قال يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا فصمت النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال اذا أنتم صليتم فقولوا « اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » .

وفى الكثير منها عدم وصفه بالنبى الامى وفى بعضها مع الوصف بها وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى أهل بيته وذريته وفى بعضها حذف « على » من (وعلى آل محمد) وكذلك على ابراهيم وفى بعضها الاقتصار على ابراهيم . فبأيها أخذت فقد أصبت السنة .

وأما بيان معناها فعن أبى العاليه ان معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند ملائكته . ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له وعندابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة ونقل الترمذى عن سفيان الثورى وغير واحد قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الدعاء وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على أنبيائه هى الثناء والتعظيم وصلاة غيرهم الرحمة فهى التى وسعت كل شىء وكلام العلماء فى معنى الصلاة واسع منتشر واستيفاؤه هنا عسر ويكفى فى ذلك هنا ما ذكر .

ولنعد الى تفسير ألفاظ الناظم فقوله « وأفضل الصلاة » عطف على قوله الحمد لله عطف جملة خبرية لفظا انشائية معنى كأنه قال أحمد الله وأصلى والجامع بينهما في العطف ظاهر التناسب لكونهما دعائين والثناء بفتح المثلثة ممدودة وصف مدح أو ذم أو خاص بالمدح كما فى القاموس والنبى المخبر عن الله تعالى وترك الهمز هو المختار كما هنا والتعريف فيه للعهد الخارجى اذ المعهود فى ألسنة العلماء هو محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو أعم من الرسول لأن الرسول يشترط فيه أن يأتى بشرع مستجد بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فكل رسول نبى ولا عكس وقوله خاتم النباء بضم النون فموحدة مهموز .

قال فى القاموس ان النبى يجمع على أنبياء ونبأ .

وفيه ان الخاتم آخر القوم فالمراد آخر الانبياء فان الله تعالى ختم برسالته صلى الله عليه وسلم كل رسالة وبنبوته كل نبوة واختار الناظم قول النبى على لفظ الرسول لثلاث نكت :

الاولى : الاقتباس من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم « الا انه لا نبى بعده » والاشارة اليه .

والثانية : للجناس الاشتقاقى بين نبى ونبى .

والثالثة : انه اذا كان خاتم الانبياء فقد ختم الاعم وهو النبى فيلزم منه ختم الاخص وهو الرسول لا العكس اذ قد يكون آخر الرسل ولا يستلزم أن يكون آخر الانبياء اذ لا يفيد انه لا يأتى بعده نبى لما عرفته من أخصية الرسول ومن انه اذا نفى الخاص لا يلزم نفى العام بخلاف عكسه فأفادت عبارته نفى الامرين مع أن الاجماع والمعلوم من الدين انه لا رسول بعده صلى الله عليه وسلم ولا نبى ثم لا يخفى ما بين الثنا والنبا من الجناس الخطى .

قال الناظم رحمه الله :

وآلِهِ أهْلِ الوَفَا وَصَحْبِهِ وَجُنْدِهِ أهْلِ التُقَى وَحِزْبِهِ

عطف على النبى صلى الله عليه وآله وسلم واصل آل اهل كما قيل ولهذا اذا صغر قيل اهيل ردا له الى أصله وقيل أصله أول من آل اذا رجع سمى بذلك من يؤول الى الشخص ويضاف اليه واختلف فى المراد بهم على أقوال ذكرها ابن حجر فى فتح البارى وهو لفظ مشترك لا يتعين المراد به الا بالقرينة وعند جماعة من المحدثين انهم هنا من حرمت عليهم الصدقة وهم آل على وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر وعند الهادوية المراد بهم على وفاطمة عليهما السلام ومن تناسل منهما عليهما السلام ولا شك أنهم من آله بل صرح صلى الله عليه وسلم بأن الحسنين أبناؤه صلى الله عليه وسلم وقوله أهل الوفا صفة للآل فانهم أهل الوفا وأطلقه ليشمل الوفا بحقوق الله وبحقوق العباد وأى وصف أشرف من هذا وعطف عليهم صحبه من عطف العام على الخاص اذ بعض أهله من صحبه كعلى عليه السلام وفاطمة وابنيهما عليهم السلام والصحب جمع صاحب فهو أحد جموعه فانه يجمع على أصحاب وأصاحيب وصحبان وصحاب وصحابه وصحب والصاحب لفظ يضـــاف الى من له أدنى ملابسة بأى شىء حتى بالجمادات نحو يا صاحبى السجن ونحو أصحاب الجنة

وأصحاب النار والعلماء عرفوا من اتصف بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الاسلام كما قاله الحافظ ابن حجر فى نخبة الفكر والجند بضم الجيم وسكون النون العسكر والاعوان كما فى القاموس ولعله أعم من الصاحب لأنه شرط فى الصاحب اللقاء ولا يشترط فى الجند فعطفهم على الصحابة من عطف العام على الخاص (أهل التقى) صفة لصحبه وجنده والتقى مصدر بزنة هدى يقال اتقيت الشىء تقى وتقية والاسم التقوى وفسر بأنه الاتيان بالواجبات واجتناب المقبحات وقوله وحزبه الحزب جماعة اناس كما فى القاموس فالمراد جماعته صلى الله عليه وسلم وهو يقارب معنى ما أسلفه من جنده وصحبه ولقد أحسن الناظم جلال الدين رحمه الله فى صلاته على الآل لأنه أتى فى حديث التعليم فى بيان كيفية الصلاة بذكرهم كما سمعته فلا يتم الامتثال فى الاتيان بالصلاة التى علمها صلى الله عليه وسلم أمته الا بذكرهم ولقد عجبت ممن قال بوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد فى الصلاة وندبها فيه على آله فانه تفريق بين ذوى الارحام فى الاحكام واطرد الائمة الحديث فى مؤلفاتهم فى القديم والحديث حذف الآل عند الصلاة على خاتمة أهل الارسال وهم الذين رووا لنا حديث التعليم فى صحاح كتبهم التى يجب لها التعظيم والتكريم وكنت سئلت قديما عن ذلك فأجبت بجواب حاصله ان المعلوم من أئمة الحديث ان ما صح لديهم بالرواية عملوا به ما لم ينسخه حديث أو آية ولم ينسخ كيفية الصلاة المذكور فيها الآل شىء باتفاق أئمة الحديث والكمال فلعل العذر لهم فى عدم رقم الصلاة على الآل التقية لأهل الجفاوة والضلال الذى عادوا أهل محمد صلى الله عليه وسلم وأخافوهم كل مخافة وشردوهم كل مشرد كما وقع فى عصر الاولين الاموية والعباسية وان كانوا يعدون أنفسهم من الآل فانه يقول فيهم لسان الحال : اقتلونى ومالكا ، واقتلوا مالكا معى .

فافتقر أئمة الحديث وهم فى تلك الاعصار الى حذف الصلاة على الآل فى تصانيفهم الصغار والكبار وفى املائهم فى مجالس الرواية عند الخوض فى علوم الدراية والتقية تبيح مثل هذا على أنا نحمل أولئك الصالحين من ذلك السلف ممن صنف فى الحديث وألف انهم وان حذفوا الصلاة على الآل خطا لا يحذفونها عند الكتابة لفظا وقولا ثم انها ذهبت التقية وانقرضت دول تلك الفرق الغوية

ولكنه قد شاب على ذلك الكبير وشب عليه الصغير فاستمروا فى الحذف لهم جهلا واستمروا عليه خطا وقولا مع املائهم لحديث التعليم فى كل كتاب من كتب السنة كريم وقد بسطت هذا فى حواشى شرح العمدة مع انى لم أجد فيه كلاما لأحد ممن سبق وأرجو أن هذا العذر الذى سبق هو الحق فان قلت الصلاة على الاصحاب هل وردت فى أحاديث التعليم فى رواية كما ثبتت على الآل قلت لا أعلم ذلك الا أن الله تعالى قال « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » وقال تعالى « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » الآية •

الا انه أخرج ابن أبى شيبه والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن أبى أوفى قال كان رسول الله صلى عليه وسلم اذا أتى بصدقة قال اللهم صل على آل أبى فلان فأتاه أبى بصدقته فقال اللهم صل على آل أبى اوفى وأخرج ابن أبى شيبة عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له امرأتى يا رسول الله صل على وعلى زوجى فقال صلى الله عليك وعلى زوجك • وهذا كاف فى دليل التأسى به صلى الله عليه وسلم فى الصلاة على أصحابه وان لم يأت فى حديث •

وقد ترجم البخارى للصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم فقال « باب هل يصلى على غير النبى صلى الله عليه وسلم » قال فى فتح البارى أى استقلالا أو تبعا ويدخل فى الغير الانبياء والملائكة والمؤمنون فأما مسألة الانبياء فورد فيها أحاديث أحدهما حديث على رضى الله عنه فى الدعاء فى حفظ القرآن « وصل عليه وعلى سائر النبيين » أخرجه البيهقى بسند واه وحديث أبى هريرة مرفوعا « صلوا على أنبياء الله » أخرجه اسماعيل القاضى بسند ضعيف وحديث ابن عباس « اذا صليتم على فصلوا على أنبياء الله فان الله بعثهم كما بعثنى » أخرجه الطبرانى وسنده ضعيف أيضا وقد ثبت عن ابن عباس انه قال « ما أعلم الصلاة تنبغى على أحد من أحد الا على النبى صلى الله عليه وسلم » وهذا سند صحيح وحكى القول به عن مالك وقال ما تعبدنا به وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره أن يصلى الا على نبى وقال عياض عامة أهل العلم على الجواز قال والذى أميل اليه قول مالك وسفيان وهو قول المحققين من المتكلمين والفقها

قلت يريد انه لا يصلى الا على نبى كما قاله سفيان واما ابن عباس فان عبارته قاضية بأنه خص به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال القاضى عياض وأما غير الانبياء فيذكر بالرضى والغفران والصلاة على غير الانبياء استقلالا لم يكن من الامر بالمعروف .

وأما الصلاة على المؤمنين فقالت طائفة لا تجوز استقلالا وتجوز تبعا فيما ورد به النص قلت ورد تبعا وآل محمد وأزواجه وذريته كما عرفت واستدل لهذا القول بقوله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » وبأنه صلى الله عليه وسلم لما علمهم السلام قال « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ولما علمهم الصلاة قصر ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته وهذا القول اختاره القرطبى وابن تيمية وقالت طائفة تجوز تبعا مطلقا ولا تجوز استقلالا وهو قول ابى حنيفة وقالت طائفة تكره استقلالا لا تبعا وهى رواية عن أحمد وقالت طائفة تجوز مطلقا وهو ظاهر ترجمة البخارى وجاء عن الحسن ومجاهد ونص عليه أحمد فى رواية أبى داود والطبرى واستدلوا بقوله تعالى « هو الذى يصلى عليكم وملائكته » وبما قدمناه من صلاته على آل أبى اوفى وبما أخرجه أبو داود بسند جيد كما قال الحافظ ابن حجر فى حديث قيس ابن سعد بن عباده أن النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وهو يقول « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة » ولصلاته على جابر وزوجته تقدم وقد أخرجه أحمد وغيره وصححه ابن حبان وبما فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة مرفوعا « ان الملائكة تقول لروح المؤمن صلى الله عليك وعلى جسدك » وأجاب المانعون عن هذا كله بأن ذلك صدر من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولهما أن يخصا من شاءا بما شاءا .. وليس ذلك لأحد غير الله ورسوله وقال ابن القيم المختار أن يصلى على الانبياء والملائكة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم وذريته وأهل الطاعة على سبيل الاجمال ويكره فى غير الانبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعارا ولا سيما اذا تركت فى حق من هو مثله أو أفضل منه انتهى ببعض تلخيص من فتح البارى قلت ويدل لما ذكره ابن القيم ما أخرجه بن حبان فى صحيحه والديلمى وغيرهما من حديث أبى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم قال « ايما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على

المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات » الحديث فدل على أنه يصلى على غيره صلى الله عليه وآله وسلم تبعا للصلاة عليه فان قلت قال الله تعالى « صلوا عليه وسلموا تسليما » والذى ورد به حديث التعليم ذكر الصلاة والبركة ولم يأت السلام قلت لعله صلى الله عليه وسلم اكتفى بذكر البركات عن ذكره أو لما ذكروا له انهم قد عرفوا كيفية السلام اكتفى بمعرفتهم كيفيته أو سلامهم عليه فى الصلاة كما يأتى فان قلت وما أرادوا بقولهم أما السلام فقد علمناه وفى لفظ عرفناه قلت قال البيهقى انه اشارة الى السلام الذى فى التشهد وهو قولهم « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » قال الحافظ ابن حجر تفسير السلام بذلك هو الظاهر وكذا قاله ابن عبد البر وذكر احتمالا آخر مرجوحا فان قلت وأين الصلاة من الله تعالى على ابراهيم التى ذكرها صلى الله عليه وسلم قلت لم أجد فيها كلاما وخطر لى والله أعلم ان المراد ما ورد فى قوله تعالى « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد وهو وان كان من كلام الملائكة لامرأة ابراهيم عليه السلام فان الملائكة انما أتت به عن أمر الله تعالى فيصح نسبته اليه تعالى والصلاة هى الدعاء وهذا من أحسن الدعاء كما يرشد اليه ذكر أهل البيت فى الآية المطابق لقوله صلى الله عليه وسلم « ابراهيم وعلى آل ابراهيم » وكما يرشد اليه ذكر البركة كما ذكرت فى الصلاة المعلمة وكما يرشد اليه ختمها بقوله صلى الله عليه وسلم « انك حميد مجيد » كما ختمت به الملائكة فى الآية والله أعلم .

ومن وجد نصا فى تعيين صلاة الله على ابراهيم خليله فليلحقه هنا مأذونا له . فان قلت قد ذكرت الرحمة فى الآية ولم تذكر فى حديث التعليم . قلت بل أخرج الطبرى فى تهذيبه من طريق حنظلة بن على من حديث أبى هريرة يرفعه « من قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم شهدت له يوم القيامة وشفعت له » قال الحافظ بن حجر ورجال سنده رجال الصحيح الا سعيد بن سليمان مولى سعيد بن العاصى الراوى له عن حنظلة ابن على فانه مجهول قلت وقد روى الحديث فى آخر مجموع الامام زيد بن على رضى الله عنهما وختمه به وفيها زيادة السلام وزيادة وتحنن وفى آخر كل جملة

« انك حميد مجيد » وجعله حديثا قدسيا وهو فى الشفاء للقاضى عياض وقد أنكر ابن العربى أن يقال رحم الله محمدا قال ابن حجر ودعوى من ادعى انه لايقال ارحم محمدا مردودة لثبوت ذلك فى عدة أحاديث أصحها فى التشهد « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » وقال بعضهم تجوز مضموما الى الصلاة والسلام ولا يجوز مفردا وقال ابن عبد البر لا يجوز لأحد اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول رحمه الله لأنه قال من صلى على ولم يقل من ترحم على ولا من دعا لى وان كان معنى الصلاة والرحمة ولكنه خص اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه الى غيره وعلل بعضهم المنع بأن الرحمة انما تكون فى الغالب عن فعل ما يلام عليه ونقل القاضى عياض عن الجمهور الجواز مطلقا هـذا وقد عرفت معنى الصلاة والمراد من البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة وقيل التطهير من العيوب والتزكية وقيل المراد ثبات ذلك واستمراره ومن كمال الافادة ذكر معنى ما ختم به هذا الدعاء من صفتى الرب تعالى وهما « حميد مجيد » فحميد صفة مشبهة من الحمد أبلغ من محمود وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها وقيل انه بمعنى الحامد أى يحمد أفعال عباده • والمجيد من المجد وهو صفة من كمل بالشرف وهو مستلزم للعظمة والجلال كما ان الحمد يدل على صفة الاكرام فقد تضمنا صفتى الجلال والاكرام ووجه مناسبة ختم الدعاء بهذين الاسمين ان المطلوب تكريم الله لرسوله وثناؤه عليه والتنويه به وزيادة قربه وذلك مما يستلزم طلب الحمد والمجد فهو اشارة الى التعليل للمطلوب أو التذييل والمعنى انك فاعل ماتستوجب به الحمد من النعم المترادفة كريم بكثرة الاحسان الى عبادك فان قلت قد تقرر ان الصلاة على الآل من جملة كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد قررت انه حذف ذلك أئمة الحديث عند ذكرهم له صلى الله عليه وسلم لما ذكرته من العذر فماذا يصنع من يريد أن يملى تلك الكتب مثل من يريد املاء صحيح البخارى هل يذكر الآل فهو زيادة على ما فيه فيكون كاذبا لأنه ليس فى البخارى أم يحذفهم فليس بآت بالصلاة التى أمر صلى الله عليه وسلم أن يقولها • قلت لا يخلو الملى اما أن يريد حكاية ما قاله البخارى وان مراده قال البخارى « صلى الله عليه وسلم » فهذا لا يأتى بلفظ الآل لأنه يكون كاذبا وان احتمل أن البخارى صلى عليهم لفظا كما قلناه لكن الحكاية للمكتوب المتيقن ثم انه لا يكون الملى هنا مصليا من نفسه عليه صلى الله عليه وسلم ولا

مأجورا أجر من صلى عليه وسلم لأنه انما حكى عن غيره انه صلى والحاكى لا مأجورا ولا مأزورا فان الحاكى قول النصارى « ان الله ثالث ثلاثة » غير مأزور من حيث انه حكى وان كان مراد المملى انشاء الدعاء منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا الحكاية فينبغى له أن يأتى بلفظ الآل ليكون آتيا بالصلاة المأمور بها والاحسن أن يملى الصلاة المكتوبة حكاية ثم يصلى من تلقاء نفسه صلاة كاملة ليجتمع له انه أملى البخارى مثلا كله وانه صلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تلقاء نفسه صلاة موافقة لما أمر به بل قياس من يقول بوجوب بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كلما ذكر ان يجب عليه بعد حكاية صلاة البخارى مثلا أن يصلى من عند نفسه لأنه يصدق عليه انه قد ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليه لانه انما حكى صلاة غيره والحاكى غير مصل ومن قال بالاستحباب يستحب له أيضا ، ان قلت قد ثبت فى ألفاظ حديث التعليم ذكر الازواج وذكر الذرية قلت قد فسر الآل بالذرية وبالازواج بل صرح بعض الائمة أن الآل فى حديث التشهد المراد ذريته صلى الله عليه وسلم وأزواجه قال لأن أكثر طرق هذا الحديث جاء بلفظ «آل محمد» وجاء فى حديث أبى حميد « أزواجه وذريته » فدل على أن المراد بالآل الذرية والازواج وأما وقوعه فى بعض الاحاديث فى رواية ذلك بذكر الآل والازواج والذرية فهذا لا يقدح فى أنه أريد بالآل عند أفراده من ذكر لانه يكون من عطف الخاص على العام وهو باب واسع وفن من البلاغة نافع فان قلت قد أتى فى بعض ألفاظ أحاديث التعليم وصفه صلى الله عليه وسلم بالأمى فهل يكون من حذفه آتيا بالمأمور به أو لابد من ذكره فى امتثال أمره صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك الكيفية كما فى ذكر الآل قلت لا يخفى أن التعريف فى النبى أو الرسول للعهد الخارجى وكذا رسوله بالاضافة فانها للعهد وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقد علم انه أمى فالوصف له به لفظا انما هو صفة مدح تصريح بما هو معلوم فاذا حذفته لم يخل بالمراد وكذلك لفظ اسمه وهو « محمد » وقد أطلنا الكلام فى شرح بيت النظام وأرجو انه اشتمل على فوائد لا يجد أكثرها فى غير ما كتبناه واحد والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وهَذِهِ أُرْجُوزَةٌ مُفِيدَةْ ضَمَّنْتُها فَوائِدَاً عَدِيدَةْ

الا شارة الى ما فى ذهن الناظم من المعانى وأشار اليها اشارة المحسوس لبروزها لديه حتى كأنها محسوسة مشاهدة فى القاموس الرجز بالتحريك ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمى به لتقارب أجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر انما هو انصاف أبيات واثلاث والارجوزة كالقصيدة منه انتهى .

وقوله مفيده صفة لها وهى اسم لما يستفاد من علم أو مال والفوائد جمع الفائدة من الفيد فى القاموس العد الاحصاء والاسم العد والعديد ثم أبان فيما فى تلك الفوائد فقال :

فى فِتْنَةَ المقبُور حينَ يسْئَلُ   وَمَا أتى به النبىُّ المرْسَلُ

الفتنة البلية وهى معاملة تظهر الامور الباطنة وقال الراغب ما يبين به حال الانسان من خير وشر وفى القاموس الفتنة بالكسر الخبرة ومنه « بأيكم المفتون » وذكر لها معانى أخرى لا تناسب المقام والمقبور اسم مفعول من قبر قال تعالى « ثم أماته فأقبره » والقبر مقر الميت وهو فى الاصل مصدر قبرته اذا دفنته والمقبرة محل القبور والكافر والجاهل ما دام فى الدنيا مقبور فاذا مات فقد أخرج من قبره أى من جهالته وذلك معنى حديث « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » (١) واليه يشير قوله تعالى « وما أنت بمسمع من فى القبور » أى الذين فى حكم الاموات ذكره المناوى فى التعريفات واضافة فتنة الى المقبور من الاضافة الى المفعول أى فتنة الملك المرسل اليه اياه بسؤاله ويأتى تحقيق السؤال وكيفية الفتنة فالى ذلك يساق هذا الكلام ولأجله ألف هذا النظام وتقدم الكلام على النبى والرسول والمرسل هو الرسول واعلم انه سيأتى للناظم عموم السؤال لمن يقبر ومن لا يقبر ممن يصلب حتى تتأثر أجزائه ومن يغرق فى البحر والقبر مدفن الانسان كما فى القاموس فلا يدخل فى قوله المقبور من ذكر وكأنه أراد بالتعبير به الاغلب ولو قال فى فتنة الميت حين يسأل لشمل جميع ذلك ويسمى القبر جدثا قال الله تعالى « فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ويقال الجدف وقال فى الكشاف انه قرىء بالفاء ومثله فى القاموس ويقال له رمس قال : « وما ينفع المرموس عمران قبره . اذا كان فيه جسمه يتهدم » ولما لم يذكر الناظم السيوطى رحمه الله تعالى ما ورد من انه قد يأتى من الله سبحانه تقديم النذر المؤذنة بالموت فضلا

(١) الظاهر أنه من حديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب ا هـ

من الله ليتخلص العبد ويحسن الاستعداد ذكرت ذلك بقولى :

فَصْلٌ وَقَبْلَ المَوْتِ تَأْتِى النُّذُرْ لِلْعَبْدِ مِنْ مَوْلَى الوَرَى تُحَذِّرُ
وَقَدْ رَأَيْتُ نَقْلَهَا إِلَى هُنَا عَسَى عَسَى يَرْحَمُنَا الْهَنَا

قال الحافظ القرطبى رحمه الله تعالى فى التذكرة ما لفظه فصل ورد فى الخبر ان بعض الانبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك قال نعم لى والله رسل كثيرة من العلل والامراض والشيب والهرم وتغيير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فان قبضته ناديته ألم أقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير فانا الرسول الذى ليس بعدى رسول وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير فما من يوم تطلع شمسه ولا تغرب الا وملك ينادى يا أبناء الاربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شديدة يا أبناء الخمسين قد دنا الاخذ والحصاد يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فمالكم من نصير ألم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير •

وذكره ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق والطريق الى الملك الخلاق وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أعذر الله الى رجل أخر أجله حتى بلغه ستين سنة • يقال أعذر فى الامر اذا بالغ فيه أى أعذر غاية الاعذار الذى لا عذر بعده » وفى الخبر ان الله ينظر فى وجه الشيخ كل يوم خمس مرات فيقول يا ابن آدم كبر سنك ووهن عظمك وقرب أجلك أما تستحى منى فانى أستحى أن أعذب ذا شيبة وانشدوا :

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير
تقول النفس غير لون هذا عساك تطيب فى عمر قصير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ولست مسودا وجه النذير

انتهى كلام القرطبى قلت أحسن بقوله مسودا وذلك لانه قد ورد الامر بالخضاب بالحنا كما أخرجه أبو يعلى والحاكم فى الكنى عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم « اختضبوا بالحنا فانه طيب الريح » •

وأخرج البزار وأبو نعيم فى الطب عن أنس « اختضبوا بالحناء فانه يزيد

فى جمالكم وشبابكم ونكاحكم » .

وفى الباب أحاديث والمراد خضاب اللحية وشعر الرأس ثم أنشد القرطبى للمنذر بن سعيد :

كم تصابى وقد علاك المشيب ... وتعامى عمـــدا وأنت اللبيب
كيف تلهـــو وقد أتاك نذير ... وشباه الحمـــام منك قريب
يا مقيما قد حان منه رحيـــل ... بعـد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبهـــا ... لا يداويك ان أتتـــك الطبيب

انتهى من أبيات ويقال ان ملكا من ملوك اليونان استعمل على ملبسه أمـة أدبها بعض الحكماء فألبسته يوما ثيابه وأرته المرآة فرأى شعرة بيضاء فاستدعى المقراض وقصها فأخذتها الامة فقبلتها ووضعتها على كفها وأصغت أذنها اليها فقال لها الملك الى أى شىء تصغين فقالت انى سمعت هذه المبتلاة بعقد كرامة قرب الملك تقول قولا عجبا قال ماهو قالت لا يجترىء لسانى على النطق به قال قولى آمنة ما لزمت الحكمة قالت انها تقول ما معناه أيها الملك المسلط الى قريب انى خفت بطشك بى فلم أظهر حتى عهدت الى بناتى أن يأخذن بثأرى وكأنك بهن وقد خرجن عليك فاما أن يعجلن الفتك بك واما أن ينقصن من شهوتك وصحتك وقوتك حتى تعد الموت غنما . فقال اكتبى كلامك فكتبته .

فتدبره ثم نبذ ملكه وفى معناه قيل :

وزائرة للشيب لاحت بمفرقى ... فبادرتها خوفا من الحتف بالنتف
فقالت على ضعفى استطلت ووحدتى ... رويدك حتى يلحق الجيش من خلفى

ذكر هذا القرطبى فى التذكرة ولقد أحسن الواعظ رزق بن عبد الوهاب البغدادى فى قوله :

وما شنآن الشيب من أجل لونـــه ... ولكنـــــه داع الى الموت مسرع
اذا ما بدت منه الطليعـــة آذنت ... بأن المنايا بعدهـــا تتطلـــع
فان قصها المقراض صاحت بأختهـــا ... فتظهر تتلوهـــا ثلاث وأربع
وان خضبت حال الخضـــاب لأنه ... يخـــالف صنع الله والله أصنع
اذا ما بلغت الاربعين فقـــل لمن ... يودك فيمـــا تشتهيه ويسرع
هلموا لنبكى قبل فرقة بيننـــا ... فما بعدها عيش لذيذ ومجمع

وخل التصابى والخلاعة والهوى وأم طريق الخير فالخير أنفع
وخذ جنة تنجـــو وزادا من التقى وصحبة ذا التقوى فقصدك مفزع

إعلم هداك الله للرشاد موفقاً لطرق السداد

كلمة أعلم لا يؤتى بها الا اذا كان الآتى بعدها أمرا عظيما ينبغى أن يلقى المخاطب اليه السمع وهو شهيد نحو فاعلم انه لا اله الا الله ومثل فاعلموا انما أنزل بعلم الله . فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم فلا يقال مثلا اعلم ان الذباب يطير وهنا قد وقعت فى مجراها فانه أتى بعدها أن سؤال الملكين الى آخره وهو أمر عظيم وقد دعى للمخاطب بالهداية والمخاطب غير معين بل كل من يصلح للخطاب مثل ما ذكره أئمة البيان والتفسير فى قوله تعالى « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم » الآية ونحوها .

والهداية من أشرف ما يدعى به للعباد وقد علمهم الله أن يسألوه اياها فى أشرف كتاب أنزله فى أشرف سورة منه فى أشرف عبادة يقومون فيها لخدمته وهو قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » والهداية وردت مضافة الى الله تعالى نحو « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه » وتضاف الى القرآن « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » وتضاف الى الرسول « وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله » الاية .

والهداية وردت فى القرآن على أنواع الاول الهداية العامة لكل حيوان وجماد التى حكاها الله تعالى فى قول موسى عليه السلام خطابا لفرعون « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » أى أعطى كل شىء خلقته التى يثبت عليهـــا وأعطى كل عضو شكله وهيئته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه الى ما خلقه له من أعمال .

وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بارادته الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلق له كما ان لكل نوع من الحيوان هداية كذلك وان اختلفت أنواعها وضروبها .

قال الفخر الرازى فى مفاتح الغيب عند تفسير الآية ما لفظه : انك اذا نظرت الى عجائب النحل فى تركيب البيوت المسدسة وعجائب البق والبعوض فى اهتدائها الى مصالح أنفسها عرفت أن ذلك لا يمكن الا بالهام مدبر عليم بجميع المعلومات

ولما أنعم الله على جميع الخلائق بما به يقوم قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح هداهم الى كيفية الانتفاع بها ويستخرجون الحديد من الجبال واللآلى من البحار ويركبون الادوية والترياقات النافعة ويجمعون بين الاشياء المختلفة فيستخرجون بذلك الاطعمة فثبت انه سبحانه هو الذى خلق كل الاشياء المستخرجة المختلفة ثم أعطاهم العقول التى بها توصلوا الى كيفية الانتفاع بها وهذا غير مختص بالانسان بل عام فى الحيوانات فأعطى الانسان انسانه والحمار حماره والبعير ناقه ثم هداها لها ليدوم التناسل وهدى الاولاد لثدى الامهات بل هذا غير مختص بالحيوانات بل هو حاصل فى أعضائها فانه خلق اليد على تركيب خاص وأودع فيها قوة الاخذ وخلق الرجل على تركيب خاص وأودع فيها قوة المشى وكذا العين والاذن وجميع الاعضاء ثم ربط البعض على البعض على وجه مخصوص يحصل من ارتباطها مجموع واحد هو الانسان انتهى .

ومراتب هداية الله لا يحصيها الا هو فتبارك الله رب العالمين ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة فى العالم علم انه الله لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ومن هنا يعلم قوة حجة موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون حيث قال « ومن ربكما يا موسى » قال « قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » فلقد أتى بجملتين لو فصلت معانيهما لاحتملت مجلدات وهذا النوع ليس المراد هنا فى دعاء الناظم .

النوع الثانى من أنواع الهداية هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدى الخير والشر وطريقى النجاة والهلاك وهذه الهداية قد من الله بها على جميع عباده منهم من قبلها ففاز ومنهم من امتنع من قبولها فخاب وهى التى أرادها الله فى قوله « فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » أى بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا وهذه التى بعثت الرسل لتدل الامم اليها وتدعوهم الى قبولها فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وهى التى أرادها الله فى قوله خطابا لرسوله « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

النوع الثالث هداية الالهام والتوفيق وهذه تستلزم الاهتداء وهو المراد من قوله تعالى « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » فنفى عن الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الهداية وأثبت له التى قبلها فمن رزقها الله

فهما فى معنى كلامه علم انه لا تناقض بين النفى والاثبات هنا وهذه هداية خاصة يتفضل الله بها على من يشاء من عباده وهو أعلم بمن اهتدى وأما التى قبلها فهو تعالى بينها لجميع الامم وأمر الرسل بالدعاء الى هدايته فان قبلوا ذلك زادهم الله هدى ولذا قال « والذين اهتدوا زادهم هدى » أى اذا قبلوا الاولى تفضل عليهم بزيادة الهدى حتى ينالوا هذه الرتبة الثانية .

النوع الرابع غاية هذه الهداية الثانية وفائدتها ونتيجتها وهى الهداية الى الجنة وهى المراد من قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم » وهى التى أرادها أهل الجنة وقد صاروا فيها بقولهم « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا هدانا الله » وجاءت فى حق أهل النار بهذا المعنى وهو الوصول اليها فى قوله « فاهدوهم الى صراط الجحيم » اذا عرفت هذا فالمراد من الهداية فى الدعاء الذى أمرنا به فى قوله « اهدنا الصراط المستقيم » فى السبع المثانى فى كل يوم سبع عشرة مرة هى الثانية والثالثة وهى طلب التعريف والبيان والالهام والتوفيق وهى التى يدعو بها الانسان لأخيه ومنه دعاء الناظم للمخاطب ومن الهداية الالهامية الهداية لمعرفة ما بثه الله فى الآفاق والاكوان من بدائع حكمته وعجائب قدرته ومن هدايته لكل ما فى الكون لما ألهمه لهم اللهم زدنا هداية وجنبنا طرق الغواية وأعذنا من تكاثف الذنوب حتى تصير سرادقا من غفلة على هذه القلوب وقد أبان الناظم رحمه الله تعالى متعلق الهداية التى دعا بها لمن خاطبه بقوله « للرشاد » وفعل الهداية يتعدى بالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وباللام « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » وبنفسه « اهدنا الصراط المستقيم » وتكلم أئمة من المحققين فى تفرقة معانيها على اختلاف تعديتها ولم تطرد لهم تلك التفرقة وما قدمناه من بيان المعانى للهداية يغنى عن ذلك والرشاد مصدر رشد .

قال المجد فى القاموس رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه ا. هـ.

ومنه قوله تعالى حكاية عن الجن « وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا » وتأمل حسن أدبهم مع الرب تعالى حيث أضافوا اليه ارادة الرشد دون ارادة الشر وهو موافق لقوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ومن ذلك قوله تعالى «أولئك تحروا رشدا»

ومنه يهدى الى الرشد والتوفيق هو تيسير اليسرى للعبد وجذبه للخير وللناس تفاسير مذهبية والسداد بفتح أوله الصواب من القول والعمل كما فى القاموس قال الناظم الجلال رحمه الله تعالى :

أَنَّ الَّذِى عَلَيْه أَهْلُ السُّنَةِ بِحُجَجٍ أَمْضَى مِنَ الأَسنه

بفتح أن لأنها مفعول العلم وأهل السنة هم من كان على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غير ابتداع ولا زياة فى الدين ولا نقص منه ولا اختراع وكل طائفة تدعى أنها كذلك كما قيل :

وكل يدعى وصلا لليلى + وليلى لا تقر لهم بذاكا

والعمدة العمل لا الدعوى وعلامنه عدم التقيد لغير الكتاب والسنة وخلع ربقة التقلية وهذا أمر قد سده المتذهبون فانى لهم التناوش من مكان بعيد وزعموا ان مدعى معرفة الكتاب والسنة محجوج وان قد سد باب معرفتها كما سد ذو القرنين على يأجوج ومأجوج ولا يعرف هـــذا الا من سبر الاقوال • وعرف مؤلفات الرجال • فلا نطيل به المقال وانما هي نفثة مصدور • يظهر صدقها في يوم العرض والحشور •

ستعلم ليـــلى أى دين تداينت + وأى غريم في التقاضى غريمها

ومراده التعريض بالمعتزلة والمبتدعة كما سيصرح به فى قوله (وانما المنكر المنكر للسؤال) ذوو ابتداع وذوو اعتدال •

ولكن الذى في كتب المعتزلة له الاقرار بثبوت عذاب القبر وسؤال الملكين ولا يخالف فيه أحد منهم وانما يذكر المعتز له فى كتبهم انه لم يثبت عذاب القبر ضرار بن عمرو وليس من المعتز له بل هو عندهم من فروع الجهمية يرون انه يقول ان الله تعالى يرى فى الآخرة بحاسة سادســة والمعتزله كلها لا تقول بهـــذا وتقول بثبوت سؤال الملكين وعذاب القبر فالعجب نسبة مذهب ضرار اليهم وهو ليس منهم وهذا من رمى الطائفة بمقالة من ليس منها وهذا تقصير عن البحث ورمى للخصم بكل حجر ومدر ومثل هذا لا يحل للمسلم أن يفعله ولقد نسب النووى فى شرح مسلم نفى عذاب القبر الى المعتز له كما فعل الناظم هنا وياعجباه هذه كتب المعتزله بين أظهرهم هلا استثبتوا فى الرواية وهم فرســـان الاسناد

(٣) جمع الشتيت

وجهابذة النقاد ويقصرون فى معرفة مذهب خصمهم هذا التقصير وينسبون اليهم ما لم يقله صغير منهم ولا كبير ولقد عظمت جنايات هذه الطوائف بعضها على بعض فكل طائفة تنسب الى الاخرى كل بلية والاخرى ترميها بأقوال هى عنها برية وما أحق المؤمن أن يلاحظ صحة النقل بالطرق المعروفة فى ذلك ويراقب مولاه فى كل ما هنالك وهب أن ضرارا من المعتز له فلا تنسب مقالة واحد الى الطائفة كلها . (١)

والحجج جمع حجة وهى البرهان والدليل على اثبات المدعى قطعية كانت أو ظنية وقد جعلها أمضى من الاسنة وهى جمع سنان وهو ما يركب فى الرمح من الحديد ليطعن به ووجهه أن الاسنة تمضى وتنفذ فى الابدان وهذه الحجج تمضى وتنفذ في الافكار والاذهان ومعلوم ان الذى يمضي في غير المحسوس أبلغ من الذى يمضي في المحسوس . قال ابن القيم عذاب القبر كما انه هو مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة قال المروزى قال أبو عبد الله يعنى أحمد ابن حنبل ان عذاب القبر قال هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقربها كلها فما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقررنا به اذا لم نقر بما جاء الرسول ودفعناه رددناه على الله أمره قال تعالى « وما أتاكم الرسول فخذوه » قوله ورددنا على الله أمره يريد أن لا نقول فيمن لايقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه المسألة شيئا بل نرد أمره الى الله فهوأعلم بمايستحقه قلت وعذاب القبر حق قال، حق يعذبون في القبور قال وسمعت أبا عبد الله يقول نؤمن بعذاب القبر

---

(١) ارفق أيها الامير فى الاعتراض فقد آذيت هذين الامامين ومن يحبهما وأوجعت القلوب مما رميتهما فهلا حملت ذلك على السهو على فرض صحة قولك حسنا للظن بالمسلم على أن الحق انك فعلت معهما زيادة على مافعلاه مع المعتز له في التشنيع فهلا نظرت الى عيبك والا فمالك تقول انه لا يحل لهما ذلك وهل أنت يحل لك ذلك في حقهما المحتمل فعلهما للسهو فانظر ياأخا الاكياس كيف وقعت وأنت تظن السلامة وسقطت من حيث تخاف الملامة ولقد كان يكفيك التنبيه على أن كتب المعتز له ليس فيها ماقالاه وتمسك وتقول لعلهما اطلعا لأنهما منك أعلا وأقوم وبما خفى عليك أدرى وأعلم فلا حول ولا قوة الا بالله اللهم أرنا الحق حقاوارزقنا اتباعه ياأرحم الراحمين.

ومنكر ونكير وأن العبد يسأل فى قبره فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة انتهى .

أنَّ سُؤال الملكين مَنْ قُبِرْ حَقٌّ والإيمان به فَرْضٌ شُهِر

هو خبر ان في قوله أن الذى ودخول أن في خبر ان قد وقع في الكتاب العزيز قال الله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم) وسؤال مصدر أضيف الى فاعله وهما الملكان فهما السائلان ومن قبر مفعولة وقد عرفت عموم السؤال لكل ميت قبر والا كما نبهناك عليه ويأتى للناظم التصريح به فلو قال :

ان سؤالك الملكين الميتا + حق به الايمان فرضا ثبتا

لكان أشمل وحق هو خبر قوله ان سؤال والحق الامر الثابت المتحقق ثبوته وثبوت السؤال قد تحقق بالادلة والايمان التصديق كما عرفت والفرض الواجب عند الاكثر فالتصديق بأن الملكين يأتيان الميت ويقعدانه ويسألانه يجب به الايمان وذلك انه أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يجب على الامة تصديقه لما ثبت من أدلة نبوية فيجب قبول ما أخبر به من أمور الدارين وتلقيه بالتصديق وحمله على اللغة العربية من غير تحريف ولا تأويل ولا فتح باب فلو قيل بل يصدق ما قاله فان فهمت المقالة فيا حبذا وان لم تفهم فلا تقول نؤوله بكذا ولا بكذا بل نكل فهمه الى قائله وتتهم فهمك القاصر وتسأل الله أن يعلمك ما لم تعلم فهو على كل شيء قدير وتقول رب زدنى علما ولا علم لنا الا ما علمتنا وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله - ينبغى أن يفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمل ولا يقصر به عن مراده وما قصد به من الهدى والبيان وقد حصل باهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه الا الله بل سوء الفهم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم أصل كل بدعة وضلالة نشأت فى الاسلام بل هو أصل كل خطأ فى الفروع والاصول ولا سيما ان أضيف اليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم فى بعض الاشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين وأهله والله المستعان وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف أهل

البدع الا سوء الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار الدين بأيدى أكثر الناس هو موجب هذه الافهام والذى فهمه الصحابة عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم مهجور لا يلتفت اليه ولا يرفع له رأس انتهى.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

أَتَى بِهِ الْقُرْآنُ وَالإِشَارَةْ وَوَافَقَتْ آيَاتُهُ الانَارَةْ

الانارة الاضاءة والوحى نور بل سمى الله كتابه نورا (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وهذا البيت أتى به الناظم رحمه الله اشارة الى جواب سؤال ورد فى المقام وهو انه قال السائل ما الحكمة فى كون عذاب القبر لم يذكر فى القرآن مع شدة الحاجة اليه والايمان به وليحذر منه ويتقى فأشار الناظم الى انه أشار اليه القرآن ويأتى بيانه وقد أجيب عنه بجوابين اجمالى وتفصيلى يأتى فى شرح قوله (والآية السؤال فيها كامن) .

وأما الاجمالى فهو ان الله تعالى أنزل على رسوله وحيين واجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال الله تعالى (وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) والحكمة هي السنة باتفاق سلف الأمة وما أخبر به على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فان وجوب تصديقه والايمان به كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه تعالى واجب وهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم (الا انى قد أوتيت الكتاب ومثله معه) الحديث .

ثم قال الناظم الحافظ الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين :

تَوَاتَرَتْ بِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِى قَدْ بَلَغَتْ سَبْعِينَ عِنْدَ الْعِدَّةِ

التواتر التتابع وهو فى الاصطلاح نقل جماعة عن جماعة تحيل تواطؤهم على الكذب مع استواء الطرفين والوسط والاستناد الى أمر محسوس يكون عنه

الاخبار والتواتر يفيد العلم قطعا وقيل استدلالا وقيل ضرورة وتحقيقه فى الاصول واعلم انه قال المصنف فى كتابه شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور ما لفظه :

« باب فتنة القبر وهى سؤال الملكين قد تواترت الاحاديث بذلك من رواية أنس والبراء وتميم الدارى وبشر وثوبان وجابر بن عبد الله وعبد الله بن رواحة وعبادة بن الصامت وحذيفة وضمرة بن حبيب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وأبى أمامة وأبي الدرداء وأبي رافع وأبي سعيد وأبى قتاده وأبى موسى وأسماء وعائشة ثم ساق أحاديثهم وهم كما ترى نيف وعشرون ومثله فى الدر المنثور للمصنف رحمه الله فبلوغ الاحاديث سبعون كأنه يريد باعتبار طرقها لا باعتبار صحابتها الرواة لها والله اعلم .

واعلم انه ساق المصنف فى الدر المنثور كثيرا طيبا من الاحاديث فى السؤال فى القبر وسيأتى بعض ذلك فى تفسير الآية التى أشار اليها بقوله :

وَالآيَة السُّؤال فِيهَا كَامِن يُثَبِّتُ الله الَّذِين آمَنُوا

التعريف فى الآية والسؤال للعهد الذكرى لأنه تقدم كل منهما وذكر ان السؤال في الآية هو الذى عبر عنه آنفا بالاشارة ويعنى بكمونه أى كمون دليله انها أتت أدلة السنة فى تفسيرها بالسؤال كما يدل له ما أخرجه الطيالسى والشيخان وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى كتاب عذاب القبر عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم اذا سئل فى القبر فشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله سبحانه وتعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيالحياة الدنيا وفي الآخرة) وأخرج الطيالسى وابن أبى شيبه فى المصنف وأحمد بن حنبل وهناد بن السرى فى الزهد وعبد بن حميد وأبو داود وابن جرير وابن أبى حاتم وصححه ابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقى فى كتاب عذاب القبر عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار

فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به فى الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه يقول أيتها النفس المطمئنة أخرجى الى مغفرة من الله ورضوانه قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء وان كنتم ترون غير ذلك فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هـــذا الروح الطيب فلان بن فلان بأحسن أسمائه فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها ثم حتى ينتهى الى الســماء السابعة فيقول الله تعالى « اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الارض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جســده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوا له من الجنة وأبســوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول له أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى .

قال وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الاخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من

الله وغضب فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقول فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تفتح لهم أبواب السماء » فيقول الله تعالى اكتبوا كتابه فى سجين فى الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فافرشوه من النار وافتحوا بابا له الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى يختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه الذى يأتى بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة » .

وقوله : السفود كتنور حديدة يشوى بها وأخرج أحمد وابن أبى الدنيا فى ذكر الموت وابن أبى عاصم فى السنة والبزار وابن جرير وابن مردويه والبيهقى بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال يا أيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فاقعده فقال ماتقول فى هذا الرجل فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له باب الى النار فيقول هذا كان منزلك لو كفرت بربك وأما اذا آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب الى الجنة فيريد أن ينهض اليه فيقول له اسكن ويفسح له فى قبره وان كان كافرا ومنافقا قيل له ما تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول هذا منزلك لو آمنت بربك فأما اذا كفرت

فان الله أبدلك به هذا ويفتح له باب الى النار ثم يغمعه مغمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق الا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قوله الاهيل عند ذلك هو مجهول هاله الشىء هولا أفزعه كما فى القاموس والمطراق بكسر الميم مفعال من الطرق وهو الضرب والمقمعة كمنكبه العمود من حديد والاحاديث فى ثبوت هذا المعنى كما قالـه المصنف متواترة وهي تفيد العلم وقد سردها في الـدر المنثـور عن أكثـر من اثنين وعشرين راوية ما بين صحابى وتابعى وما بين حديث مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وموقوف والموقوف هنا له حكم المرفوع اذ لامسرح للاجتهاد فى هذا ثم انه قد ذكر ابن القيم غير هذه الآية فى الدلالة على عذاب القبر وانما هذه الآية في سؤال الملكين لاغير فقال نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع منها قوله تعالى « ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا نفسكـم اليوم تجزون الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون »

قال فهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يخرجون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون قلت أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال « والملائكة باسطوا أيديهم قال بالعذاب وقال تعالى « فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سـوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره •

قال الزمخشرى ويستدل بهذه الاية على عذاب القبر قلت وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستقر (١) من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث وأخرج مسلم عن زيد بن ثابت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبنى النجار على بغلتـه ونحن معه اذ حادت فكادت تلقيه فاذا أقبر خمسة أو ستة أو أربعة فقال من يعرف أصحاب هؤلاء القبور فقال رجل أنا يا رسول الله قال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا فى الاشراك قال ان

---

(١) لا يستنزه أولا يستتر هذا هو المعروف

هذه الامة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر الذى أسمع منهم أقبل علينا فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر تعوذوا بالله من عذاب القبر تعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن وقالوا نعوذ بالله بطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن : الحديث وفى صحيح مسلم وجميع السنن عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا فرغ أحدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وفى صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن « اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال) .

وفى الصحيحين من حديث أبى أيوب قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب فى قبورها وفى الصحيحين أيضا عن عائشة رضى الله عنها قالت دخلت على عجوز من عجائز المدينة فقالت ان أهل القبور يعذبون فى قبورهم قالت فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها قالت فخرجت ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عجوزا من عجائز يهود وأهل المدينة دخلت على فزعمت أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم قال صدقت انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد فى صلاة الايتعوذ من عذاب القبر » قال بعض أهل العلم ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم اذامغلت الى قبور اليهود والنصارى والرافضة ونحوهم قال فاذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها فزعا وحرارة تذهب بالمغل قلت فى القاموس انه بضم المميم وغين معجمه قال مغلت الدابة كمنع ونصر فهى مغلة أكلت التراب مع البقل فأخذها وجع فى بطنها .

وذكر القرطبى فى التذكرة قال أبو محمد بن عبد الحق حدثنا الفقيه الحكيم أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل وانهم دفنوا ميتا فى قريتهم فى شرق أشبيلية فلما فرغوا من دفنهم قصدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم فاذا بالدابة قد أقبلت مسرعة الى القبر فجعلت أذنها كأنما تسمع ثم ولت فارة

ثم عادت الى القبر فجعلت اذنها عليه كأنها تسمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرارا قال فذكرت عذاب القبر وقوله انها لتعذب فى قبورها عذابا تسمعه الدواب ثم ذكر القرطبي ضغطة القبر للمدفون فقال ما لفظـــه باب ماجاء في ضغطة القبر للمدفون وان كان صالحا • النسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألف ملك من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج الله عنه » •

قال أبو عبد الرحمن النسائى يعنى سعد بن معاذ ومن حديث شعبة ابن الحجاج باسناده الى عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ ونقل فى الباب أحاديث فى ذلك دالة انه لا ينجو منها أحد الا انه أتى بباب فيه ذكر ما ينجى من ضغطة القبر ثم ذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم « ان من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وامن من صفطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة ثم قال هذا حديث حسن غريب تفرد به نصر بن حماد البجلى وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « أتدرون فيمن أنزلت هذه الاية « فان له عيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب القبر والذى نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس ينفخون فى جسمه ويلسعونه فى حسمه أو تلسعه وتخدشه الى يوم القيامة • أخرجه البزار وابن أبى حاتم عن أبى هريره باختصار واللفظ الذى نقلناه لفظ القرطبى وثبت فى تفسير المعيشة الضنك عدة أحاديث أنها عذاب القبر وثبت ذكر الحياة فيها من وجوه كثيرة فأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى كتاب عذاب القبر عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا فى قوله تعالى معيشة ضنكا قال عذاب القبر ولفظ عبد الرزاق قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ولفظ ابن أبى حاتم ثم قال ضمه القبر وأخرج البيهقـــى عن أبى سعيد الخدرى قال المعيشة الضنك

أن يسلط عليه تسعة وتسعون تجينا تنهشه في قبره وأخرج البزاز وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المعيشة الضنك التى قال الله أن يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشن لحمه حتى تقوم الساعة وأخرج ابن أبى سعيد والبزار وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقى من وجه آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر وأخرج ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت والحكيم الترمذى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان وابن مردويه والبيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر •

هل تدرون فيمن أنزلت فان له معيشة ضنكـــا قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون فى جسمه الى يوم القيامة وأخرج ابن أبى شيبة وهناد وعبد حميد عن هذيل بن شر حبيل قال ان أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تروح وتغدو على النار فذلك عرضها وأخرج عبد بن حميد وعبد الرزاق عن ابن مسعود ان أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فذلك عرضها وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه كان له صرختان فى كل غدوة وعشية كان يقول أول النهار ذهب الليل وجاء النهار واعرض آل فرعون على النار فلا يسمع أحد صوته الا استعاذ من النار •

وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » وابن جرير عن الاوزاعى انه سأله رجل قال يا أبا عمر وأنا نرى طيرا سودا يخرج من البحر فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا كان العشى عاد مثلها بيضا قال وفطنتم لذلك قال نعم قال تلك فى حواصلها آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى أوكارها وقد أحرقت ريشها وصارت سودا فينبت عليها ريش أبيض ويتناثر السواد ثم تعرض على النار ثم ترجع الى وكورها فذلك دأبهم فى الدنيا فاذا كان

يوم القيامة قال الله تعالى « أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » واخرج ابن أبى شيبة والبخارى ومسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة زاد ابن مردويه ثم قرأ « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا » واعلم انه قد أورد الزنادقة ايرادات على القول بعذاب القبر .

أشار الجلال رحمه الله اليها فقال :

وَكَوْننا إذَا كَشَفْنَا الْمَوْتَى　　لَمْ نَرَ حِسًّا مِنهم وَصَوْتاً
فَصلٌ وَهَذَا فِى عَذَبِ الْقَبرِ　　جمِيعِهِ اوْ رَدَّهُ ذُو النُّكرِ
لاَ أنه يَختَصُّ بِالسُّؤالِ　　كَما يُفِيدُ النظْمُ للْجلالِ

لما أوهمت عبارة الجلال فى نظمه ان انكار من أنكر كان لسؤال الملكين لا غير . ولا يخفى ان انكارهم عام لكل ما ورد من عذاب القبر أتممنا ما أشار اليه ببيان انهم أنكروا جميع ما ورد كما بينه من نقل كلامهم وكان الجلال يقول اذا أنكروا السؤال وهو أول واقعة فى القبر علم انهم ينكرون ما بعده فاقتصر عليه وقولنا ذوا النكر بضم النون وسكون الكاف المنكر كما فى القاموس النكر بالضم وبضمتين المنر اهـ .

وهذا بيان ما قاله من أشير الى انكاره قال الزنادقة والملاحدة الذين أنكروا عذاب القبر وسعته وضيقه قالوا انا نكشف فلا نجد فيه ملائكة يضربون الميت بمطارق الحديد ولا نجد هناك حيات وثعابين ولا نارا تأجج بل نكشف على الميت فنجده على حاله لم يتغير ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله وكيف يفسح له مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم تزد ولم تنقص فكيف يتسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التى تؤنسه أو توحشه قال اخوانهم من أهل الضلال والبدع وكل حديث يخالف مقتضى العقل والحس يقطع بتخطئة قلبه قالوا ونحن نرى المصلوب على خشبة لا يتحرك ولا يسأل ولا يجيب ولا يتوقد جسمه نارا ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه فى بطون

السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف تسأل أجزائه مع تفرقها وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه قالوا وانما ذلك كله اشارات الى حالات ترد على الروح من العذاب الروحانى وانه لا حقائق لها على موضوع اللغة .

هذا ما ذكره القرطبى وابن القيم من ايراد من أنكر عذاب القبر وقد أشار الناظم جلال الدين الى ما أجاب به ابن العربى المالكى عن ذلك فقال :

أَجَابَ عَنْهُ المَالِكِى المَغْرِبِى   أعنى أبا بَكْرٍ هُوَ ابنُ العَرَبِى

هو أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى الاشبيلى الحافظ المشهور ذكره ابن بشكوك فى كتابه « الصلة » فقال هو الحافظ المتبحر ختام علماء الاندلس وحفاظها ثم سرد من أحواله ورحلته الى المشرق وبغداد ومصر والاسكندرية واثنى عليه وذكر ان مولده ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مائة ووفاته بالعدوة بفاس فى ربيع الاخر سنة ٥٤٣ ثلاث وأربعين وخمسمائة والجواب الذى أشار اليه الجلال ذكره القرطبى فقال الثانى ما ذكره القاضى لسان الامة وهو أن المدفونين فى القبور والذين بقوا على وجه الارض قلت يريد المصلوبين ونحوهم يحجب الله المكلفين عما يجرى عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لهم ومن أنكر ذلك فلينكر نزول جبريل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قال الله فى صفة الشياطين انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم اه .

ما نقله عنه القرطبى وأشار الجلال اليه بقوله :

فَإِنَّمَا الإدراكُ مَعنى يخلق   لِمَنْ يَشَاءُ ودَونَ يَشاءُ يُوثَقُ

يريدان ادراك البصر مثلا هو معنى يخلقه الله فقد يخلقه لزيد دون عمرو وقد يجعل الله تعالى رؤية الكثير قليلا والقليل كثيرا قال تعالى « واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا » أخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى

جنبى تراهم سبعين قال لا بل هم مائة حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال كنا ألفا أ • اه بل قد رأى الشيطان الملائكة يوم بدر تقاتل ولم يرهم المشركون قال الله تعالى « واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الى قوله انى أرى ما لا ترون • أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقـــى فى الدلايل عن ابن عباس قال جاء ابليس فى جند من الشياطين ومعه راية فى صورة رجل من بنى مدلج والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وأقبل جبريل على ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده وولى مدبرا وتبعته فقال الرجل ياسراقة انك جار لنا فقال انى أرى مالا ترون وذلك حين رأى الملائكة انى أخاف الله والله شديد العقاب قال ولما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين فى أعين المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون وما هو الا غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم وظنوا انهم سيهزمونهم لا يشكون فى ذلك أ• هـ • فهذا دليل ناهض على ما قاله ابن العربى ان الادراك يخلقه الله لمن يشاء ويوثقه أى يمسكه عمن يشاء •

قال الناظم رحمه الله :

وَليسَ بالطبْع وَلاَ بالذَّاتِ ولا بأسْبَابِ ولا صِفَاتِ

هو اشارة الى خلاف للمعتزلة في الرؤية وانهـــا ارتفعت الموانع الثمانية وجبت الرؤية والمسألة مبسوطة في علم المطيف وفي الاصول الدينية ثم استدل القاضى ابن العربى كما عرفت بما تضمنه قوله :

ألاَ ترَى جبْريل حين أنزَلَه بالوَحى تكليما كمثل الصَّلصَله

فاعل أنزله يعود الى الله تعالى للعلم به وهو اشارة الى ما أخرجه البخارى وغيره من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه الحديث قال الحافظ فى فتح البارى الصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة فى الاصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم

أطلق على كل صوت له طنين ثم قال قيل والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحى قال الخطابى يريد انه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد وقيل هو صوت حفيفة أجنحة الملك أ هـ قلت والجلال قد حمله فى نظمه على المعنى الاول وانما كان أشده عليه صلى الله عليه وسلم لما قاله فى فتح البارى أيضا أن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود وقوله يفصم بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة أى يقلع وينجلى ما يغشانى هذا أحد الضطين فيه وقوله وعيت ما قاله أى حفظت ما قاله الملك ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

يَسمَعهُ النبىُّ ثُمَّ يرفع وَصَحْبهُ من حَوْله لاَ يَسْمَعُوا

من تمام الاستدلال على انه تعالى يرى من يشاء ما يشاء فانه يأتى جبريل عليه السلام ويراه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يراه الحاضرون بل أعجب من هذا انه يحصل ذلك فى السمع فانه صلى الله عليه وسلم يسمع صوت الوحى كصلصلة الجرس التى يسمعها السامعون فى المحل على سواء فيختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسماع ولا يسمعها من هو حاضر لديه فى المحل كما اختص بالرؤية ثم ذكر انه قد قال بهذا الجواب غير ابن العربى رحمه الله تعالى :

ونحو هَذَا القوْلِ فى المرادِ نحالَهُ الإمام فى الإرْشَاد

بامام الحرمين الفقيه الشافعى أثنى عليه ابن خلكان فقال اعلم المتأخرين بين أصحاب

بامام الحرمين الفقيه الشافعى أثنى عليه ابن خلكان فقال اعلم المتأخرين بين أصحاب

الشافعى على الاطلاق المجمع على امامته المتفق على غزارة مادته وتثبته فى العلوم من الفروع والاصول والادب وغير ذلك وأطال فى ذكره وذكر مؤلفاته وعد منها الارشاد الذى أشار اليه الجلال فى نظمه ومراده انه قصد فى الجواب عن يراد من أنكر عذاب القبر مثل كلام ابن لعربى رحمهم الله تعالى :

وَحُجة لاسلاَم فى الاحْيَاء وَكم إمام رَاح ذا اكتفاء

عطف على قوله الامام أى لان حجة الاسلام وهو الغزالى قال فى كتابه « احياء علوم الدين » فى الجواب على الايراد بمثل ما قاله امام الحرمين والغزالى

هو الملقب حجة الاسلام وهو من تلاميذ امام الحرمين امام كبير له التصانيف المفيدة فى الفنون العديدة منها احياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجلها قدرا ولفظه فى هذا الكتاب المذكور فى هذه المسألة بعد ذكره لعذاب القبر ولسع الحيات فيه للميت فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه فيه ولانشاهد شيئ من ذلك فما وجه التصديق على خلاف دلالات المشاهدة فاعلم أن لك ثلاثة مقامات فى التصديق بأمثال هذا أحدها وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بأنها موجودة وهي تلسع الميت ولكن لا يشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح في مشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل عليه السلام وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه صلى الله عليه وسلم يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح الايمان بالملائكة والوحى أهم عليك وان كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبى صلى الله عليه وسلم مالا تشاهد الامة فكيف لا تجوز هذا فى الميت وكما ان الملائكة لا تشبه الآدميين والحيوانات فكذلك الحيات والعقارب التى تلدغ الميت فى القبر ليست من جنس حياة عالمنا وعقاربه بل هى جنس آخر تدرك بحاسة أخرى •

المقام الثاني أن تتذكر أمر النائم وانه يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم لذلك حتى تراه فى نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية موجودة فى حقه والعذاب حاصل ولكنه فى حقك غير مشاهد واذا كان العذاب فى ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد •

المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لم تؤلم بل لاذى يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذى يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لايمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بأن يضاف الى السبب الذى يفضى اليه فى العادة فانه لو خلق فى الانسان لذة الجماع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة المسبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات

المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت فيكون ألمها كألم لدغ الحيات من غير وجود الحيات وانقلاب الصفة مؤذية تضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلمـا حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالوصال بل هذا هو بعينه أحد أنواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه فصـار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ ذلك فى حال حياته من لا يرجو استرجاعها منه فماذا ترى يكون حاله ؟ أليس يعظم شقاءه وشـدة عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لى مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وان يلدغه عقرب لآثر الصبر على لدغ العقرب فاذا ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذى يلدغه اذا أخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت يأخذ منـه فرسه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبـوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك اليه فذلك أعظم عليه من ألم العقارب والحيات كما لو أخذ ذلك عليه وهو حى فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لانه في الحياة يتسلى بأسبات تشغل حواسه من مجالسـة ومحادثة ويتسلى رجاء العوض عنه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسدت طرق التسلى وحصل اليأس فاذا كل قميص له أو منديل قد أحبه بحيث يشق عليه لو أخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المراد بقوله « نجا المخفون وان كان مثقلا عظم عذابه ثم ساق كلاما حسنا من هذا النوع من ضرب الامثال والمراد بيان ما أشار اليه الناظم رحمه الله تعالى وقول الناظم « وكم امام صار ذا اكتفاء » يريد أن جماعة من الائمة اكتفوا بجواب القاضى ابن العربى واعلم انه قد بسط الجواب وزاد عليه ابن القيم رحمه الله فى كتابه الروح ولا غناء عن استيفاء ما ذكره فان المسألة مهمة والايمان بها متعين .

قال فى بسط كلام ابن العربى وان لم يتعرض لذكره لكنه يصلح بسطا له ما لفظه « ان الله تعالى يحدث فى هذه الدار ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل

(٤) جمع الشتيت

عليه السلام كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا يكلمه بكلام يسمعه من الى جنب النبى صلى الله عليه وسلم وقد لا يراه ولا يسمعه وكذلك غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحيانا يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمـــون بالاصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم وقد كانت الملائكة تضرب الكفـــار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله تعالى قد حجب بنى آدم عن كثير مما يحدث فى الارض وهو بينهم كان جبريل عليه السلام يقرىء النبى صلى الله عليه وسلم ويدارسه القــرآن والحاضرون لا يسمعون فكيف يستنكر من يعرف الله تعالى ويقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها بعض أبصار خلقه حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصرا وسمعا أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثيرا ممن أسمعه ذلك ضعف وغشى عليه ولم ينتفع بالعيش زمانا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات ويمكن فى الحكمة الالهية اسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين رؤية ذلك حتى اذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عيانا ثم ان العبد منا قادر على أن يزيل الزئبق والخردل عن عين الميت وصدره ثم يرده بسرعة فكيف يعجز عنه الملك وكيف لا يقدره الله تعالى عـلى ذلك وهو على كل شيء قدير وكيف تعجز قدرته عن ابقاءه فى عينه وعلى صدره ولا يسقط عنه وهل قياس أمر البرزخ على ما يشاهده الناس الا محض الجهل والضلال وتكذيب أصدق الصادقين وتعجيز رب العالمين وذلك غاية الجهل والظلم واذا كان أحدنا يمكنه توسعة القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولا وعرضا وعمقا ويستر توسيعه على الناس ويطلع عليه من شاء فكيف يعجز رب العالمين أن يوسعه ما شاء على من يشاء ويستر ذلك عن أعين بنى آدم فيراه بنو آدم ضيقا وهو أوسع شيء وأطيبه ريحا وأعظم اضاءة ونورا وهم لا يرون ذلك • وسر المسألة أن هذه التوســـعة والضيق والاضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود فى هذا العالم والله سبحانه وتعالى انما أشهد بنى آدم في هذه الدار ماكان منها وفيها فاما ماكان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكـــون الاقرار به والايمـــان سببا لســـعادتهم فاذا كشف عنـــه الغطاء صار عيانا مشاهدا فلو كان الميت موضوعا بين الناس لم يمتنع

أن يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك ويجيبها من غير أن يسمعوا كلامه ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه وهذا الواحد منا ينام الى جنب صاحبه فيعذب فى النوم ويضرب ويتألم وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة وقد يسرى ألم الضرب الى جسده ومن أعظم الجهل استبعاد شق الملك القبر والحجر وقد جعلها الله له كالهواء للطير لا يلزم من حجبهـــا للاجسام الكثيفة أن تتولج فيها الارواح اللطيفة وهل هذا الا من أفسد القياس وبهذا وأمثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ثم ان النار التى فى القبر والخضرة ليس من نار الدنيا ولا من زرع الدنيـــا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها وانما هو من نار الآخرة وخضرها وهو أشد من نار الدنيا ولا يحس بها أهل الدنيا فان الله سبحانه يحمى عليه ذلك التراب وتلك الحجارة التى عليه وتحته حتى تكون أشد من جمر الدنيا ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك بل أعجب من هذا ان الرجلين يدفنان أحدهما الى جنب صاحبه وهذا فى حفرة من النار لا يصل حرها الى جاره وذلك فى روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ولا نعيمها الى جاره وقدرة الرب أوسع وأعجب من ذلك وقد أرانا من آثار قدرته فى هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما الا من وفقه الله تعالى وعصمه فيفرش للكافر لوحان من نار يشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فاذا شاء الله تعالى أن يطلع بعض عباده على ذلك اطلعه عليه وغيبه عن غيره اذ لو اطلع عليه العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والايمان بالغيب ولما تدافن الناس كما فى الصحيحين لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع ولما كانت هذه الحكمـــة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته كما حادت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسـلم وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب فى قبره وحدثنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الوزير الحرانى انه خرج من داره بعد العصر بآمد الى بستان قال فلما كان قبيل غروب الشمس توسطت القبور فاذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت فى وسطه فجعلت أمسح عينى وأقول أنائم أنا أم يقظان قال ثم التفت الى سور المدينة فقلت والله ما أنا بنائم ثم ذهبت الى أهلى وأنا مدهوش فأتونى بالطعام فلم أستطع أن آكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب ذلك القبر فاذا به مكاس قد توفي ذلك اليوم اه

فرؤية هذه النار فى القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانا لمن شاء الله أن يريه ذلك وقد ذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور عن الشعبى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم وكم مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمقة حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به ذلك قال ذلك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة وذكر حديثا عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال بينما أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلتى اذ مررت بمقبرة فاذا رجل خرج من قبره يلتهب نارا وفى عنقه سلسلة يجرها فقال يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح فوالله لا أدرى اعرفنى باسمى أو كما يدعو الناس قال فخرج آخر فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لاتنضح ثم اجتذب السلسلة فأعاده في قبره قال ابن أبي الدنيـــا حدثنى أبى قال حدثنا موسى بن داود قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه قال بينما راكب يسير بين مكة والمدينة اذ مر بمقبرة فاذا رجل قد خرج من قبره يلتهب نارا مصفدا فى الحديد فقال يا عبد الله انضح قال وخرج آخر يتلوه فقال يا عبد الله لا تنضح قال وغشى على الراكب وعدلت به راحلته الى العرج وأصبح وقد ابيض شعره فأخبرنا عثمان رضى الله عنه بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده وذكر من حديث سفيان حدثنا داود ابن سابور عن أبى قرعة قال مررنا فى بعض المياة بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار فقلنا ما هذا النهيق قالوا هذا رجل كان عندنا كانت أمه تكلمه بالشىء فيقول لها انهقى نهيقا فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة قلت وحدثنا صاحبنا أبو عبد الله محمد بن جبان السلامي وكان من خيار عباد الله كان يتحرى الصدق قال جاء رجل الى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير صغارا المسمار برأسين فأخذها الحداد وجعل يحمى عليها فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها فطلب البائع فوجده فقال له من أين لك هذه المسامير قال لقيتها فلم يزل به حتى أخبره انه وجد قبرا مفتوحا وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر فأخذت حجرا فكسرت عظامه وجمعتها قال وأنا رأيت تلك المسامير قلت فكيف صفتها قال المسمار برأسين • وذكر ابن أبى الدنيا أن عمر بن عبد العزيز قال لمسلمة ابن عبد الملك بن مروان يامسلمة من دفن أباك فان مولاى فلان قال فمن دفن

الوليد قال مولاى فلان قال فانا أحدثكم ما حدثنى به انه لما دفن أباك والوليد فوضعهما فى قبورهما وذهب ليحل العقد عنها وجد وجوههما قد حولت فى اقفيتهما فانظر يا مسلمة اذا أنا مت فالتمس وجهى فانظر هل ترى بى ما نزل بالقوم أو هل عوفيت من ذلك • قال مسلمة فلما مات عمر وضعته فى قبره فلمست وجهه فاذا هو مكانه وقال عمر بن ميمون سمعت عمر بن عبد العزيز يقول كنت فيمن ولى الوليد بن عبد الملك فى قبره فنظرت الى ركبتيه قد جمعتا فى عنقه فقال ابنه عاش أبي ورب الكعبة فقلت عوجل أبوك ورب الكعبة فاتعظ بها عمر بعده ثم ساق حكايات كثيرة فى هذا المعنى ثم قال فهذه الاخبار واضعافهما وأضعاف أضعافهما مما لا يتسع لها الكتاب مما أراه الله تعالى سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عيانا فأما رؤية المنام فلو ذكرها لجاءت عدة أسفار ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب المنامات لابن أبى الدنيا وكتاب البيان للقيروانى وغيرها قال ابن القيم وقد جعل الله أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا محجوبا عن ادراك المكلفين فى هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ومعهم الاكفان والحنوط اما من الجنةأو النار ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ورد عليهم تارة بلفظه وتارة باشارته وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق ولا اشارة وقد يسمعه بعض الحاضرين يقول أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه فأخبرنى شيخا عن بعض المحتضرين لا أدرى أشاهده أوأ خبر عنه انه سمعه يقول عليك السلام ها هنا فاجلس وقصة خير النساج مشهورة حيث قال عند الموت اصبر عافاك الله فان ما أمرت به لا يفوت وما أمرت به يفوت ثم استدعى بماء ثم توضأ وصلى ثم قال امض لما أمرت ومات ، قلت ذكره ابن كثير وأبو نعيم قال ابن كثير محمد بن اسماعيل النساج أى بسين مهملة بعد النون وآخره جيم من كبار المشايخ وذوى الاحوال الصالحة والكرامات المشهورة عاش مائة وعشرين سنة ولما حضرته الوفاة نظر الى زاوية البيت وقال قف رحمك الله فانك عبد مأمور وأنا عبد مأمور وما أمرت به يفوت وما أمرت به لا يفوت ثم قام فتوضأ وصلى ثم تمدد ومات رحمه الله تعالى وقد رآه بعضهم فى المنام فقال ما فعل الله بك قال استرحت من دنياكم هذه الوضرة

ولتسميته بالنساج نكتة ذكرها أبو نعيم فيما أظن في حلية الاولياء وذكر ابن أبي الدنيا ان عمر بن عبد العزيز لما كان فى اليوم الذى مات فيـــه قال اجلسونى فاجلسوه فقال أناالذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فأيد النظر فقالوا انك لتنظر نظرا شديدا يا أمير المؤمنين قال اني لأرى حضرة ما هم بانس ولا جان ثم قبض ويكفـــى من ذلك كله قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون • ونحن أقرب اليه منكمولكن لا تبصرون أى اقرب اليه بملائكتنا ورسلنا ولكن لا ترونهم فهذا أول الامر وهو غير مرئى لنا ولا مشاهد وهو فى هذه الدار ثم قال فى كتاب الروح ان الله تعالى جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الابدان والارواح تبعا لها ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الارواح والابدان تبعا لها فى ذلك كما تبعت الارواح الابدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الابدان والارواح فى نعيمها وعذابها والارواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم فالابدان ها هنا ظاهرة والارواح خفية والابدان كالقبور لها والارواح هناك ظاهرة والابدان خفية فى قبورها تجرى أحكام البرزخ على الارواحفتسرى فى أبدانها نعيما وعذابا كما تجرى أحكام الدنيا على الابدان فتسرى الى أرواحها نعيما وعذابا فاحفظ بهذا الموضع علما واعرفه كما ينبغى يزيل عنك كل اشكال يورد عليك من داخل أو خارج اذا عرفت ما أمليناه عرفت قوله :

فَكُنْ بهذا جَازِمَ إعْتِقَاد　　تَسْلُكْ به فى سبل الرشَاد

أى اجزم وجوبا باعتقاد عذاب القبر لتسلك طرق الرشاد وهو موافق لقوله قريبا « موفقا لسبل السداد »

وإنما المنْكِرُ للسؤال　　ذُوو إبتِداع وذوو إعتزال

قد أشرنا اليك فيما سلف انه لم ينكر عذاب القبر الا ضرار بن عمرو وانه قال باثباته المعتز له وقد نقلنا فيما سلف عن الزمخشرى انه قال فى تفسير قوله

تعالى « النار يعرضون عليها » الاية استدل بها على عذاب القبر واقره وقال فى سورة طه فى تفسير قوله تعالى « فان له معيشة ضنكا » انه قال أبو سعيد الخدرى انها فى عذاب القبر ولم يرده وقال ابن القيم وأما قول أهل البدع فانه قال أبو الهذيل والمريسى من خرج عن سمة الايمان فانه يعذب بين النفختين والمسألة فى القبر انما تقع فى ذلك الوقت واثبت الجبائى وابنه والبلخى عذاب القبر ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لاصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم وقال الصالحى وصالح قبة عذاب القبر تجرى على المؤمنين من غير رد الارواح الى الاجساد والميت يجوز ان يألم ويحس ويعلم بلا روح هذا قول جماعة من الكرامية وقال بعض المعتز له ان الله سبحانه وتعالى يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الالم وهم لا يشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها وقالوا سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام فلو عاد عليهم العقل لاحسوا بألم الضرب وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسا منهم ضرار بن عمرو ويحيى بن كامل ا هـ

فعرفت انه لا ينبغى اطلاق القول بنفى العذاب عن المعتز له جميعا واعلم انه أشار فى هذا النقل الى مسألة خلاف بين العلماء فى عذاب القبر هل هو على الروح أو البدن أو عليهما معا فألحقنا ذلك حيث لم يذكره السيوطى فى نظمه فقلنا :

فصل وإثبَات عَذَاب الميِّت لِرُوحِه وجِسْمِه فاسْتَثْبت

قال ابن القيم وأما قول القائل هل عذاب القبر على النفس والبدن أو على النفس دون البدن أو البدن دون النفس وهل يشارك البدن النفس فى النعيم والعذاب أم لا فقد سئل شيخ الاسلام عن هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه قال بل العذاب والنعيم على البدن والنفس جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن وتنعم متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون العذاب والنعيم عليهما في هذه الحال مجتمعين كما تكون الروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح هذا فيه قولان مشهوران لاهل الحديث والسنة وأهل الكلام وفي المسألة أقوال شاذه ليست من أقوال أهل

السنة والحديث قول من يقول ان العذاب والنعيم لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين وتقول له كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك فى البرزخ وانما يكون عند القيام من القبور لكن هؤلاء انما ينكرون عذاب البدن فى البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هى المنعمة والمعذبة فى البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة فهذا القول ليس من الاقوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف الى قوله من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح لكن هؤلاء لهم فى عذاب القبر ثلاثة أقوال أحدها انه على الروح فقط الثانى انه عليها وعلى الابدان بواسطتها الثالث انه على البدن فقط وقد يضم الى ذلك القول الثانى وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الثانى قول منكر العذاب للابدان مطلقا فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثانى الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هى الحياة وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتز له والاشعرية كالقاضى أبى بكر وغيره وينكرون ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهو قول باطل وقد خالف أصحابه أبو المعالى الجوينى وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وانها منعمة أو معذبة اذا عرفت هذه الاقوال فاعلم ان مذهب سلف الامة وأئمتها ان الميت اذا مات يكون فى نعيم أو عذاب وانه يحصل ذلك لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وانها تتصل بالبدن أحيانا يحصل لها معها النعيم أو العذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الابدان متفق عليه عند جميع المسلمين واليهود والنصارى ثم ان الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى أشار الى الحكمة لله تعالى فى سؤال الميت والجواب فقال :

قال الحَليمِى مِنْ الأصْحاب فى حِكمَة السؤال والجْواب

الحليمى بفتح الحاء المهملة نسـبة الى جده حليم فانه أبو عبد الله الحسين

ابن الحسين بن محمد بن حليم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني طلب العلم حتى صار اماما معظما مرجوعا اليه بما وراء النهر وله في المذهب وجـوه حسنة أفاده ابن خلكان وقوله من الاصحاب أى من الشافعية وفيه ما يشعر انه باق على التقليد للشافعي والانتساب اليه مع انه يدعى انه مجتهد المائة التاسعة وانه لا ينتسب الى غير السنة والكتاب ومن كان كذلك فالمسلمون كلهم أصحابه وكأنه قال ذلك لادنى ملابسة ولو باعتبار تقليده قبل اجتهاده والله أعلم واعلم ان الحكمة المراد بها حكمة الله تعالى فى أقواله وأفعاله وقد فسرها السيد محمد رحمه الله تعالى فى ايثار الحق على الخلق بقوله ومعناها هنا العلم بأفضل الاعمال والعمل بمقتضى ذلك العلم مثاله العلم بأن الصدق أولى من الكذب والعدل أولى من الجور ولاخلاف في تسمية هذا الذى ذكرته حكمة في حق الحكماء والعلماء من الخلق اهـ

وقد خالف فى اثباتها لله تعالى الاشعرية وطال اللجاج والحجاج بينهم وبين من أثبتها والحق مع من أثبتها قال ابن القيم وهو من الحنابلة والحنابلة خالفوا الاشعرية واثبتوا الحكمة فى كتابه الجواب الشافى وفى كتابه حادى الارواح محال على أحكم الحاكمين واعلم العالمين ان تكون أفعاله معطلة عن الحـكم والمصالح والغايات الحميدة والقرآن والسـنة والعقول والفطر والآيات شاهدة ببطلان ذلك وقال فى الجـواب الشافى « وما قدروا الله حق قدره » من نفى حقيقة حكمته التى هى الغايات المحمودة المقصودة بفعله وقد تقدمه الى نصرة هذا القول شيخه ابن تيمية وبالغ فى اثبات الحكمة والرد على من نفاها .

والمسألة مبسوطة في ايثار الحق وفي غيره وقد بسطجاها في كتابنا ايقاظ الفكرة بمراجعة الفطرة وذكرنا أدلة المثبتين والنفاة اذا عرفت هذا فما أدرى هل الحافظ جلال الدين يخالف أصحابه الاشعرية في المسألة فقد وفق لاصابة مشاكلة الصواب أو كما قال السيد محمد رحمه الله انهم اذا تكلموا بالفطرة أثبتوا الحكمة ثم بين الجلال فى نظمه ما قاله الحليمي :

القَبْرُ بَعْدَ المَوْتِ لِلإِنْسانِ ... هُوَ الطَّرِيقُ للمَقَرِّ الثَّانى

قد جعل الله لحكمته الدور ثلاثا دار الدنيا والبرزخ ودار القرار فالبرزخ

هو الذى أراده الله تعالى بقوله « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » قال فى الكشاف أى امامهم حاجز بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وفى القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين ومن وقت الموت الى يوم القيامة من مات دخله اه

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » قال حجاب بين الميت والرجوع الى الدنيا وقال فى التحقيق ان لهذه الانفس أربع دور كل واحدة أعظم من الاخرى الاولى بطن الام فى ذلك الضيق والحصر والظلمات الثلاث ظلمة الرحم وظلمة المشيمة والبطن بهذا فسره ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والثانية هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها وكسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة ولقيت فيها ما يحب ويكره والثالثة دار البرزخ وهى أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى أول دار والرابعة دار القرار وهى الجنة والنار فلا دار بعدها ولله تعالى بقدرته وحكمته تنقل هذه الانفس فى هذه الدور الثلاث طبقا بعد طبق حتى ينتهى الى الدار التى لا تصلح لها غيرها وفيها استقرارها وقبلها فى تلك الدور كانت مسافرة تقطع كل حين مراحل من أنفاسها الى دار قرارها ولها بحكمته تعالى فى كل دار من هذه الدور شأن وحكم غير شأن الدار الاخرى فتبارك الله أحسن الخالقين .

قال الناظم الجلال السيوطى رحمه الله تعالى :

فِيه يَكُونُ الفَحْصُ عَن ايمانه لتَعرُجَ الرُّوحُ إلى جِنَانِهِ

الضمير للقبر وهذا خرج على الاغلب والا فقد عرفت ان السؤال لكل ميت مقبور أولا والفحص البحث وقوله لتعرج علة الفحص الا انه مقيد بقوله :

إن كانَ مَعد وداً مِنْ الأَبرار أو هوَّةٍ إنْ كانَ فى الفُجَّار

أى انه زج بروحه الى الجنان ان كان الذى فحص عن ايمانه من الابرار وهو جمع بر وهو الكثير الخير كما فى القاموس وقال الله تعالى « ان الابرار لفى نعيم » وقوله أو هوة عطف على قوله الى جنانه على المعنى أى يهوى به فى هوة ان كان المفحوص عن ايمانه من الفجار وهو جمع فاجر وهو المنبعث فى

المعاصى والمقابلة بين الفجار والابرار ثابتة فى القرآن كما قال تعالى « ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم » وقال تعالى « كلا ان كتاب الفجار لفى سجين • كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وفي القاموس الهوة كقوة ما انهبط من الارض والوهدة الغامضة منها انتهى •

واعلم ان فى هذين البيتين الماما بالاشارة الى مستقر الارواح بعد الموت فلا بد من ذكر ذلك وخلاف الناس فيه فانه من المهمات فقد عقد لها ابن القيم رحمه الله مسألة مستقلة في كتاب الروح ولنأت بخلاصة ما ذكره منها فانه قال وأما أين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة هل فى السماء أو فى الارض وهل في الجنة أم لا وهل تودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتنعم أو تعذب فيها أو تكون مجردة فهذه مسألة عظيمة تكلم الناس فيها واختلفوا فيها وهى انما تلقى من السمع فقط فقد اختلف فى ذلك على تسعة أقوال :

قال قوم أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالرحمة والعفو عنهم وهذا مذهب أبى هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وحجة هذا القول هو قوله تعالى « فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم » وهذا ذكره الله عقب خروجها من البدن بالموت قلت قد أخرج ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشى عن أنس عن تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم في حديث طويل وفيه « وان روحه لتخرج الملائكة حوله يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وذلك قوله تعالى « الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم طبتم » الاية • فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قال روح من جهد الموت وريحان يتلقى به عند خروج نفسه وجنة نعيم أمامه • وفيه ان الله تعالى يقول لملك الموت انطلق بروحه فضعه فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب الحديث قال ابن القيم واحتجوا بقوله تعالى « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين ان هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك •

قلت اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم فى الحليه عن سعيد بن جبير قال سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يقول قرأت عند النبى صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فقال أبو بكر ان هذا لحسن فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما ان الملك سيقولها لك عند الموت ومثله أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول من طريق ثابت بن عجلان عن سليم بن عامر قال سمعت أبا بكر الصديق يقول قرأت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى فقلت ما أحسن هذا يا رسول الله قال اما أن الملك سيقولها لك عند الموت وفى الدر المنثور روايات فى تفسير الاية يدل انه يقال لها ذلك فى الاخرة •

قال ابن القيم ولا تنافى فى ذلك فانه يقال لها عند الموت وعند البعث وهذه هي من البشرى التي قال الله « ان الذين قالوا ربجا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون • وهذه البشرى تكون عند الموت وتكون فى القبر وتكون عند البعث وأول بشارة الاخرة عند الموت واستدلوا بحديث كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه الله •

قال ابن القيم وهو من صحاح الاحاديث وان لم يخرجه صاحبا الصحيح والنسمة ههنا فى الروح وقوله تعلق يروى بفتح اللام وهو الاكثر ويروى بضمها والمعنى واحد فهو الاكل والرعى يقول تأكل من ثمار الجنة وترعى وتسرح بين أشجارها قالت الطائفة المخالفة لهم ما ذكرتموه من الادلة يعارضه من السنة بما لا مدفع له ولا كلام فى صحته وهو قوله صلى الله عليه وسلم « اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة قال هذا ابن عبد البر وقال بعده ان حديث كعب بن مالك يختص بالشهداء الذين قال الله تعالى فيهم « لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا

بل أحياء عند ربهم يرزقون ونحوها من الايات والاحاديث قال ابن القيم قلت لا تنافى بين قوله صلى الله عليه وسلم وانما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة وبين قوله « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداوة والعشى الى آخره فان هذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد كما ان قوله نسمة المؤمن طائر يعلق الى آخره يتناول الشهيد وغيره فمع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى ترد روحه انهار الجنة وتأكل من ثمارها واما المقعد الخاص والبيت الذى أعد له فانما يدخله يوم القيامة ويدل عليه ان منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التى أعدها الله لهم ليست هى تلك القناديل التى تأوى اليها أرواحهم فى البرزخ قطعا فهم يرون مقاعدهم ومنازلهم من الجنة ويكون مستقرهم فى تلك القناديل المعلقة بالعرش فان الدخول التام الكامل انما يكون يوم القيامة ودخول الارواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوا وعشيا فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التى كانوا يعرضون عليها فتنعم الارواح بالجنة فى البرزخ شىء وتنعمها مع الابدان بها يوم القيامة شىء آخر فغذاء الروح من الجنة فى البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث ولذا تعلق أى تأكل العلقة واما تمام الاكل واللبس والتمتع فانما يكون اذا ردت الى أجسادها يوم القيامة فظهر انه لاتعارض بين الحديثين في شىء واما القول بأن حديث كعب فى الشهداء فتخصيص ليس فى اللفظ ما يدل عليه وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته فان الشهداء بالنسبة الى عموم المؤمنين قليل جدا والنبى صلى الله عليه وسلم علق هذا الجزاء بوصف الايمان ولم يعلقه بالشهيد واما تخصيص الشهداء بالذكر فى الآيات والاحاديث فتعظيم لأمر الشهادة والحكم على الخاص بحكم العام لا يخصصه .

القول الثانى : أن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على أبوابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها وهذا قول مجاهد ويستدل له بما أخرجه أحمد من حديث بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء تخرج عليهم أرزاقهم من الجنة بكرة وعشية قال وهذا لا ينافى كونهم فى الجنة فان ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة فهم فى الجنة وان لم يصيروا الى مقاعدهم منها فمجاهد نفى الدخول

الكامل من كل وجه قلت على انه قال الجلال الناظم فى شرح الصدور ان حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان ابن اسحاق راويه مدلس ولم يصرح بالتحديث قال ولعل المراد بالشهداء غير من قتل فى سبيل الله كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم ممن ورد النص بأنهم شهداء وسائر المؤمنين وقد يطلق الشهيد على من حقق الايمان ويشهد لصحته ما روى عن أبى هريرة انه قال كل مؤمن صديق وشهيد قيل ما تقول يا أبا هريرة قال اقرؤا والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم •

وروى البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مؤمنـــوا أمتى شهداء وتلا هذه الآية اه •

ثم قال ابن القيم وأخرج ابن منده عن أم كبشه بنت المعرور قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألناه عن هذه الارواح فوصفهـــا بصفة أبكى أهل البيت فقال ان أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من ماءها وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش تقول ربنا الحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا وان أرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوى الى جحر فى النار يقولون ربنا لا تلحق بنا اخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا وأخرج الطبرانى عن ضمرة بن حبيب قال سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن أرواح المؤمنين فقال فى طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله فأرواح الكفار قال محبوسة فى سجين •

القول الثالث : ان الارواح على أفنية قبورها واليه ذهب أبو عمرو بن عبد البر وقد استدل لهذا القول بحديث ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى قال وهو أصح ما ذهب اليه من ذلك من طرق الاثر ألا ترى ان الاحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك أحاديث السلام على القبور ومثل حديث انه يسمع قرع نعالهم اذا تولوا عنه وحديث انه يرى مقعده من الجنة والنار • وأحاديث سؤال الملكين ونحوها قال ابن القيم ان أراد هذا القائل أن هذا أمر لازم لها لا تفارق أفنية القبور أبدا فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من

وجوه كثيرة تقدم منها ما عرفته ويأتى ما تعرفه وان أراد انها على أفنية القبور وقتا ما أولها اشراف على قبورها وهى فى مقرها فهذا حق ولكن لا يقال مستقرها أفنية القبور فان أراد الاول فان هذا ترده السنة الصحيحة والآثار التى لا مدفع لها وقد تقدم ذكرها وكل ما ذكره من الادلة فانه يتناول الارواح التى فى الجنة بالنص وفى الرفيق الاعلى والتحقيق ان الارواح ليست على أفنية القبور دائما بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه وبذلك الاشراف والاتصال يعرض عليها مقعدها وتعرف من يسلم عليها وسره ان للروح شأناً آخر تكـــون في الرفيق الاعلى فى أعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملأ الاعلى وانما يغلط أكثر الناس في هذا الموضوع حيث يعتقدون ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التي اذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون فوق السموات فى أعلى عليين وترد الى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهى فى مكانها هناك وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الاعلى ويردها الله سبحانه الى القبر فترد السلام على من سلم عليه وقد كان الصحابة يسلمون على شهداء أحد وقد ثبت أن أرواحهم فى الجنة تسرح حيث شاءت وتسمع سلام من يسلم عليهـــا فى قبرها فاما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر واما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه كشعاع الشمس فى الارض وجرمها فى السماء وقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدى العرش ثم ترد الى جسده فى أيسر زمان وكذلك روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السموات الســـبع وتوقفها بين يدى الله وتسجد له ويقضى فيها قضاءه ويريها الملك ماأعد الله لها من الجنة ثم تهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه •

وقد أخرج ابن منده من حديث طلحة بن عبد الله قال أردت مالى بالغابة فأدركنى الليل فأويت الى قبر عبد الله ابن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ذاك عبد الله ألم تعلم ان الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت أرواحهم الى مكانها التى كانوا به •

ففى هذا الحديث بيان سرعة انتقال أرواحهم من العرش الى الثرى ثم من الثرى الى مكانها وهذه روح الانسان فى المنام تذهب الى حيث شاء الله تعالى وهى فيه باقية وذكر ابن منده عن بعض أهل العلـــم كلاما حسنا قال النفس تمتد من منخر الانسان وأصلها فى بدنه فلو خرج الروح بالكلية لمات كما أن السراج لو فرق بينه وبين الفتيلة لطفئت ألا ترى ان مركب النار فى الفتيلة وضوءهاوشعاعها يملأ البيت فكذلك الروح من منخر الانسان فى منامه حتى تأتى السماء وتجول فى البلدان وتلتقى مع أرواح الموتى فان كان فى اليقظة يمر عاقلا ذكيا صدوقا لا يلتفت فى يقظته الى شىء من الباطل رجع اليه روحه فأدى الى قلبه الصـــدق مما أراه الله عز وجل وان كان خفيفا نزقا يحب الباطل والنظر اليه فاذا نام وأراه الله شيئا من خير أو شر رجعت روحه اليه فحيث ما رأى شيئا من مخـــاريق الشيطان والباطل وقفت روحه عليه كما تقف فى يقظته فلذلك لا يؤدى الى قلبه ولا يعقل ما رأى لأنه خلط الحق بالباطل فلا يمكن معبران يعبر له وقد خلط الحق بالباطل .

القول الرابع ان أرواح المؤمنين عند الله وهو قول من تأدب مع لفظ القرآن حيث يقول الله « أحياء عند ربهم يرزقون » فى الجنة عند الله وكان هذا القائل رأى أن هذه العبارة أسلم وأوفق وقد ذكرت له أدلة لا حاجة الى استيفائها حيث قد عاد قوله الى أول قول .

القول الخامس ان أرواح المؤمنين فى الجنة وأرواح الكفار فى النار فى هذا وافق قوله انها فى الجنة أول قول وهو الذى قصرناه على نحو ما قدمناه وأما أرواح الكفار فيأتى الكلام فيها .

القول السادس ان أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت وهذا قول جماعة من أهل السنة وروى عن جماعة من الصحابة وقد أخرج أبو داوود من حديث عبد الله بن عمرو أن أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية وأرواح الكفار في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت وقد روى أبو داوود وغيره من حديث على رضى الله عنه قال خير بئر فى الارض زمزم وشر بئر فى الارض بئر برهوت بئر فى حضرموت وذكر ان فيه أرواح الكفار وفى رواية عنـــه

أبغض بقعة فى الارض وادى حضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار أسود كانهقيح تأوى اليه الهوام وذكره ابن منده بسنده الى ابان ابن تغلب قال قال رجل بت فيه يعنى وادى برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يادومة يادومة قال ابان فحدثنا رجل من أهل الكتاب انهنادومة هو الملك الذى أرواح الكفار بنظره قال فان أراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وانها تجتمع فى مكان فسيح يشبه الجابيه بسعته وطيب هواه فهذا قريب القول السابع ان أرواح المؤمنين في السماء السابعة في عليين وأرواح الكفار فى سجين الارض السابعة فهذا قول قاله جماعة من السلف والخلف ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم الرفيق الاعلى » ويدل له أحاديث آخر لكن هذا لا يدل على استقرارها هنالك دائما بل يصعد بها الى هنالك للعرض على ربهاويكتب كتابه فى عليين أو فى أهل سجين ثم تعود الى القبر للمسئلة ثم تعود الى مقرها الذى تودع فيه أهل الجنة فى حواصل طير خضر كما سلف ٠

القول الثامن

ان أرواح المؤمنين فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وهذامروىعن سلمان الفارسى والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين وكأن مراد سليمان أرض الدنيا والآخرة تذهب حيث شاءت وهذا قول قوى فانها فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هى في برزخ بينهما وأرواح المؤمنين فى برزخ فيه الروح والريحان والنعيم وأرواح الكفار فى برزخ ضيق فيه الغم والعذاب ٠

القول التاسع

ان أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن يساره وهذا يدل له الحديث الصحيح فى الاسراء فانه صلى الله عليه وسلم رآه كذلك كما أخرجه البخارى فى حديث الاسراء وفيه انه صلى اله عليه وسلم مر بآدم عليه السلام فى السماء الدنيا فقال له مرحبا بالنبى الصالح وابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم صلى الله عليه وسلم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى الحديث فهذا دليل القول التاسع قلت وقد استشكل الحديث قال الحافظ ابن

حجر في فتح الباري ظاهره أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء وهو مشكل قال القاضي عياض قد جاء ان أرواح الكفار في سجين وأرواح المؤمنين متنعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا وأجاب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتا فصادف وقت عرضها مروره صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن الجنة كانت عن يمين آدم والنار عن شماله وكان يكشف له عنهما قال ويحتمل أن النسم المرئية هي التي لم تدخل في الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أخبر بما يعيد اليه فلهذا كان يسر اذا نظر الى جهة يمينه ويحزن اذا نظر الى جهة شماله وقال في محل آخر يحتمل أن المراد التي تخرج من الاجساد وانها تعرض عليه حين خروجها لا انها مستقرة لديه ولا يلزم من رؤية آدم لها أن تفتح لها أبواب السماء فلا يعارض قوله تعالى « لا تفتح لهم أبواب السماء » في أرواح الكفار اهـ وعلى كل تقدير فلا دلالة في الحديث على أن مستقر ارواح الكفار عن يمين آدم وعن يساره ثم ذكر ابن القيم أقوالا أخر في مستقرها وزيفها فلا حاجة الى سردها بعد ظهور قوة القول الاول وهو الذي أشار اليه الجلال السيوطي في أبياته في مستقر أرواح الابرار الا أنها متفاوتة ليست في محل واحد فانه قال ابن القيم أن الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الاعلى وهي أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في المسند عن عبد الله بن محمد بن جحش أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالي ان قتلت في سبيل الله قال الجنة ثم ولى فقال الا الدين سارني به جبريل آنفا ومنهم من يكون محبوسا على باب الجنة كما في الحديث الآخر رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة ومنهم من يكون محبوسا في قبره لحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقالوا هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه في قبره نارا ومنهم من يكون مقره بباب الجنة في قبة خضراء يخرج لهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية رواه الامام أحمد وهذا بخلاف جعفر بن

أبى طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء فهـذا الكلام في أرواح الابرار أما أرواح الكفار فقد أفاد الجلال السيوطى انها فى هوة وتقدم تفسير الهوة انها ما انهبط من الارض وللناس كلام في مقر أرواح الكفار بعد الموت على حسب ماورد من الاحاديث احدها انها محبوسة في سجين وفسر كعب الاحبار سجين بالارض السابعة السفلى قال وأرواح الكفار فيها تحت خد ابليس وثانيها انها في حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار كما ورد به الحديث وتقدم ذكره ثالثها انها فى بئر برهوت بأرض حضرموت وبقى أقوال مردودة والظاهر والله أعلم أن مستقرها مختلف منها في حواصل طير ســـود ومنها بئر برهوت ومنها في الارض السفلى السابعة وعلى كل تقدير فكلام السيوطى صحيح فيما أشار اليه من مستقرها أخرج ابن المبارك فى الزهد وعبـد بن حميد وابن المنذر من طريق شمر بن عطيه ان ابن عباس رضى الله عنهما ســأل كعب الاحبار عن قوله تعالى « كلا ان كتاب الفجار لفى سجين » قال ان روح الفاجر تصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فتهبط بها الى الارض فتأبى الارض أن تقبلها فتدخل بها تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من تحت خد ابليس كتابا فيختم ويوضع تحت خد ابليس لهلاكه للحساب فذلك قوله تعالى « وما أدراك ماسجين كتاب مرقوم » اهـ اذا عرفت ماقدمناه عرفت ان الحكمة التى ذكرها الحليمى فى سؤال القبر والجواب هى تمييز الخبيث من الطيب ورفع الطيب الى الجنان ووضع الخبيث في هوة هى الارض السابعة السفلى ثم أراد السيوطى رحمه الله تعالى أن يذكر لهذه الحكمة مثلا فقال :

وهُوَ نَظير وقفة فى القبر مُستَعْرضاً أعماله فى الجِسْر

وهو يريد في السؤال في القبر نظير أى مثل توقيف المكلف في الحشر فى الحكمة وهى تميز الخبيث من الطيب حال كونه مستعرضا اى معروضة عليه أعماله فى الجسر بالجيم والسين مهملة فراء قال في فتح البارى هو بفتح الجيم ويجـوز كسرها وفيه وفى الحشر جناس خطى واعلم ان الجسر هو الصراط وهو محدود على متن جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف أعلاه نحو الجنة قال النووى فى شرح مسلم وقد أجمع السلف على اثباته وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس

كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب أعمالهم والآخرون يسقطون عافانا الله الكريم اهـ ولا يخفى أن فى كلام الناظم تنبيها على أنه لا يمر على الصراط الا الموحد مؤمنا كان او منافقا ، كما أن السؤال في القبر كذلك انه جعل حكمة السؤال في القبر والقبور في الجسر شيئا واحدا وهي تميز الخبيث من الطيب وهذا هو الذى تقتضيه الاحاديث الصحيحة فان فى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا وذكره الجلال السيوطى رحمه الله تعالى في كتابه البدور السافرة ولفظه يجمع الله الناس يوم القيامة ثم يقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة وفيها منافقوها فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم فى الصورة التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا أكون أول من يجيزه أى يقطعه ٠ ودعاء الرسل يوم القيامة اللهم سلم سلم وفيه كلاليب مثل شوك السعدان غير انها لا يعلم قدر عظمها الا الله فتخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو الحديث ومثله أخرج الشيخان والحاكم والدار قطنى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وفيه زيادات منها انه قال صلى الله عليه وسلم الجسر مدحضة مزلة عليها كلاليب وخطاطيف وحسكة مغلطمة ومنهم من يمر عليها كالبرق والطرف وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش فى جهنم حتى يمر آخرهم فيسحب سحبا الحديث ساقه الجلال السيوطى رضى الله عنه فى البدور السافرة بطوله ومثله أخرجه الدار قطنى والحاكم وصححه والبيهقى من حديث ابن مسعود وفيه انهم يعطون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل بين يديه ومنهم من يعطى نوره دون ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر ذلك يعطى نوره على ابهام قدمه يضىء مرة ويطفىء مرة فاذا أضاء قدم قدمه واذا طفىء قام فيمرون على الصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال انجوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح

ومنهم من يمر كشد الرجل ومنهم من يمر عليه رملا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذى نوره على ابهام قدميه فيجثوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق يدا ويجر رجلا ويعلق رجلا فتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها قال الحمد لله الذى نجانى منك الحديث ساقه أيضا بطوله فى البدور السافرة قوله مزلة هى مفعلة من زل يزل اذا زلق وتفتح الزاى وتكسر أردأنه تزلق عليه الاقدام ولا تثبت وقولـــه من مدحضة والدحض بمهملتين فضاد معجمة هو بزنة مزلةومعناه معناها قوله كلاليب جمع كلوب بالتشديد حديدة معوجة والخطاطيف جمع خطاف معناه معنى كلوب كما فى النهاية وفيهـا الحسك وهى بمهملتين جمع حسكة وهى شوكة صلبة معروفة وفيها المفلطح الذى فيه عرض واتساع وقوله مخدوش بالخاء المعجمة وآخره شين معجمة بزنة مفعول من خدش الجلد قشره بعود ونحوه وفى لفظ مخردل وهو المرمى المصروع وقيل المقطع تقطعه كلاليب الصراط وقوله مكدوس بدال مهملة آخره سين مهملة بزنة مفعول فى النهاية أى مدفوع فى النار تكدس الانسان اذا دفع من ورائه فسقط ويروى بالشين المعجمة من الكدش وهو السوق الشديد وقوله في الحديث أن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف ثبتت به الآثار وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى عن سعيد بن هلال قال بلغنا أن الصراط أدق من الشعرة لبعض الناس ولبعض الناس مثل الوادى الواسع أخرجه ابن المبارك وابن ابى الدنيا الا انه مرسل أو معضل ولا يصح وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التسترى قال من دق عليه الصراط فى الدنيا عرض عليه فى الآخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق عليه في الآخرة ذكره الناظم في البدور السافرة والمراد بمن دق عليه في الدنيا من وفق للاتباع فسلك مسالك الهدى والسنة اتسع له الصراط ومن توسع فيما لا يرضاه الله دق عليه الصراط فى الآخرة فهذا ما أشـــار اليه النـــاظم فى قوله « الحشر » وأما قوله نظير وقفة فى الحشر فعله يشير الى مافى صدر هذه الاحاديث وهو في رواية الحاكم أنه قال فيبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر فذلك حين يتساقط المشركون فى النار فيبقى الموحدون فيقول فارقنا الناس في الدنيا ونحن كنا الى صحبتهم أحوج الى أن قال فيكشف الله لهم عن ساق فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيمـــا

يسجد فيبقى ظهره طبقا واحدا زاد الحاكم كلما أراد أن يسجد خر على قفاه الحديث وفيه روايات مطولة فى الدر المنثور فى تفسير سورة نون فى قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) الآية ومرادنا ليس الا بيان ما أشار اليه الحافظ في نظمه وانه أراد بتوقيفهم للابتلاء هذا التوقيف قبل عبورهم وهو الجسر اذا عرفت هذا فقد عرفت معنى قوله •

فإنْ يَكُنْ بَرًّا أُجِزْ أولا ألقىَ فى جَهَنَّمٍ فأولى

اجيز بالجيم والزاى من قوله صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز أى يقطع الجسر وقوله أولا أى أولا يكون بر ابل كان منافقا القى فى جهنم كما عرفت مما قدمناه فانه مفاد أحاديث الصراط ولا يخفى أنا قد أشرنا الى أنه يدل على انه لا سؤال الا للمؤمن والمنافق كما انه لا يكون الصراط الا لهما وهذا قد ذهب اليه جماعة وقالوا الكافر المبطل الجاحد لا يسأل عن ربه ودينه ونبيه وانما يسأل عنه أهل الاسلام الا أن القرآن والسنة يدلان على عموم السؤال قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين) وقد ثبت فى الصحيح انها نزلت فى عذاب القبر وفى الصحيحين أن العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم وذكر الحديث زاد البخارى وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس الحديث والرواية فى البخارى هكذا بالواو وأما المنافق والكافر والاحاديث بهذا كثيرة جدا مساقها فى فتح البارى ثم قال فاختلفت هذه الروايات لفظا وهى مبينة مجتمعة على أن كلا المنافق والكافر يسأل قلت والمراد يقول الكافر كما يقول الناس يعنى ناسه وهم الكفار والمنافق كما يقول ناسه وهم المنافقون فقد أفاد الناظم أن الحليمى قال الحكمة فى السؤال الفحص عن ايمان العبد وعدمه وبعده يتميز الخبيث من الطيب ثم أشار الى القول بحكمة أخرى فقال :

وَقال آخرون لما أرسلا نبينـــا بالسيف رحمة الى

اى وقال غير الحليمى فى بيان اوجه الحكمة وقوله رحمة علة للارسال مأخوذ من قوله (وما أرسلناك الا رحمة للعـالمين) وقد اكتفى بقوله الى عن

المرسل اليهم وهم العالمون كما فى الآية واخرج البيهقى فى الدلائل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة ، قال الزمخشرى فى الكشاف (الا رحمة لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فما أتى الا من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غدقة فيسقى ناس زرعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث أن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به من عذاب الاستئصال اه • قلت هذا الآخر هو تفسير ابن عباس فانه أخرج ابن جرير وابن ابى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله قوله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قال من آمن تمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفى مما كان يصيب الامم فى عاجل الدنيا من العذاب من الخسف والمسخ والغرق وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال قيل يا رسول الله ألا تلعن قريشا بما أتوا اليك قال لم أبعث لعانا انما بعثت رحمة قال الله تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وأخرج احمد والطبرانى عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أى رجل من أمتى سببته سبة فى غضبى أو لعنته لعنة فانما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما يغضبون فاجعلها عليه صلاة يوم القيامة وجواب لما قول الجلال الناظم هو قوله :

أظهر قوم من عظيم الخوف ايمانهم خلاف ما فى الجوف

فان الايمان كما عرفت عمدة أجزائه تصديق القلب فهؤلاء وهم المنافقون قالوا بأفواههم ماليس فى قلوبهم خوفا من القتل لان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحسابهم على الله تعالى • ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

فقيض الله لَهُم فتانا فى الْقَبر حَتَّى يَفْتِنَ الإنسانا

لِكَىْ يميز الْمؤمِن الصَّدُوق مِن مُنَافِقْ إنْ كانَ قَبْل لَمْ يِبن

اعلم ان هذه الحكمة التى ذكرها الجلال عن الآخرين قالها الحكيم الترمذى فقال كانت الامم قبل هذه الامة تأتيهم الرسل فان أطاعوا فذاك وان أبوا اعتزلهم الرسل وعوقبوا بالعذاب فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب وقبل الاسلام ممن أظهره سواء أسر الكفر أو لا فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر ليستخرج سرهم بالسؤال ليميز الله الخبيث من الطيب ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين ا هـ من فتح البارى قلت وهذا يتم على أمرين الاول انه لم يبعث نبى من الانبياء بالقتال والثانى ان هذا السؤال يختص بهذه الامة المحمدية الثانى يأتى الكلام عليه حين يشير اليه الجلال فى أبياته والاول يخدش فيه أن الله سبحانه وتعالى أمر موسى عليه السلام بقتال الجبارين فى قوله ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم الى قوله اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، فانه صريح انه أمرهم الله بقتالهم ومعلوم انه لو اسلموا لما قاتلهم وقد أخرج عبد الرزاق فى المصنف والحاكم وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان نبيا من الانبياء قاتل أهل مدينة حتى اذا كاد ان يفتحها خشى الشمس أن تغرب فقال أيتها الشمس انك مأمورة وأنا مأمور بحرمتى عليك هلا ركدت ساعة من النهار فحبسها الله حتى افتتح المدينة الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم هو يوشع بن نون الذى قاتل الجبارين وفتح الارض المقدسة والقصة مذكورة فى كتب التفسير وغيرها والى رد الشمس لمح من قال :

فردت علينا الشمس والليل راغم ... بشمس لها من جانب الجدر مطلع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ... ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

ثم هذا التميز لا يكون الا للملائكة لا غير لان الرب تعالى عالم بكل ماكان وما يكون والرسول صلى الله عليه وسلم قد أعلمه الله ببعض منافقى زمانه واعلم صلى الله عليه وسلم بهم حذيفة بن اليمان وبعضهم طوى تعالى علمه بهم كما يفيد « لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين » والمنافقون من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا حاجة له الى علمه بهم بل لا يعلم ما أحدث أصحابه من بعده كما ثبت انه يذاد عن حوضه أناس يعرفهم فيقول أصحابى أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فيقول سحقا الحديث فى صحيح البخارى وغيره فلم يبق فائدة

هذا التحيز الذى ادعاه الحكيم الا للملائكة عليهم السلام مع ان الملائكة قد علموا قبض أرواح العباد العبد التقى من العبد الشقى فانهم يقولون للشقى أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون » الآية ويقولون للتقى « سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » ويقولون يا أيتها النفس المطمئنة ، الآية الا أن يقال انه يكون ذلك لغير من ذكر من الملائكة فانهم أصناف لا يعلمهم الا الله تعالى فاذا عرفت عدم نهوض ما قاله الحكيم الترمذى وقد عرفت انه يلاقى كلام الحليمى فى المعنى فالاولى الوقف عن تعيين الحكمة فى السؤال والجواب بل يقال ان الحكمة لم يعينها الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لنا ولا تبلغها عقولنا ونحن نعلم ان لله الحكمة البالغة فى كل أفعاله وأوامره ونواهيه واذا جهلناها قلنا كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا قال الجلال السيوطى ما لفظه :

أمْرُ النَّبِى صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم بتَعْلِيم الجَوَاب

كانَ يَقُول المصْطَفَى تَعلَّمُوا حُجَّتَكُمْ   فإنَّكُمْ تَكلمُوا

أشار به الى ما أخرجه ابن شاهين فى السنة قال حدثنا عبد الله بن أسلم قال حدثنا عمرو بن عثمان قال حدثنا بقية قال حدثنا صفوان قال حدثنى راشد قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : تعلموا حجتكم فانكم تسئلون ، ثم قال الناظم الجلال السيوطى رحمه الله تعالى :

وكانت الأنْصَار توصى المُحْتَضر   ومَنْ يميز مِنْ غُلام ذِى بَصر

هو اشارة الى مافى تمام حديث ابن شاهين بلفظ حتى ان كان أهل البيت من الانصار يحضر الرجل منهم الموت فيوصونه والغلام اذا عقل يقولون له اذا سألوك من ربك فقل الله ربى وما دينك فقل الاسلام دينى ومن نبيك قل محمد صلى الله عليه وسلم وقد ألم به جلال الدين رحمه الله فى قوله :

تقُولُ إذ مَا سألوكَ فَقُل   ولا تكُنْ فى الحَق ذا تزلزل

الله ربى دينى الاسلامُ محمد نبى الامامْ

فهذا هو اللفظ الذى كانوا يوصونه به وينـــاسبه ما أخرجه السلفى فى الطيورات عن سهل بن عمار قال رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته فقلت ، ما فعل الله بك قال أتانى فى قبرى ملكان فكانا غليظان فقالا من ربك ومادينك ومن نبيك فأخذت بلحيتى البيضاء فقلت لمثلى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا وقال اكتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم قال انـــه كان يبغض عثمان فابغضه الله وأخرجه اللالكائى في السنة عن جرير بن محمد المنقرى قال رأيت يزيد بن هارون فى النوم فقال أتانى نكير ومنكر فأقعدانى وسألانى من ربك وما دينك فجعلت أنفض لحيتى البيضاء من التراب وأقول مثلى يســـأل أنا يزيد بن هارون وكنت في دار الدنيا ستين سنة اعلم الناس فقال احدهما صدق نم نومة فلا روعة عليك بعد اليوم وأخرج أيضا في السنة بسنده عن محمد بن نصر الصائغ قال كان أبى مولعا بالصلاة على الجنائز من عرف ومن لم يعرف فقال يابنى حضرت يوما جنازة فلما دفنوها نزل الى القبر نفسان ثم خرج واحد وبقى الآخر وحثى الناس التراب فقلت ياقوم يدفن حى مع ميت فقالوا ماثمة أحد فقلت لعله شبه لى ثم رجعت فقلت ما رأيت الا اثنين خرج واحد وبقى الآخر لا أبرح حتى يكشف الله لى ما رأيت فجئت الى القبر فقرأت عشر مرات يس وتبارك وبكيت وقلت يارب اكشف لى عما رأيت فانى خائف على عقلى ودينى فانشق القبر وخرج منه شخص فولى مبادرا فقلت بمعبودك الا وقفت حتى أسألك فما التفت الى فقلت الثانية والثالثة فالتفت الى وقال أنت نصر بن الصائغ فقلت نعم قال ما تعرفنى قلت لا قال نحن ملكان من ملائكة الرحمن وكلنا بأهل السنة اذا وضعوا فى قبورهـم نزلنا حتى نلقنهم الحجة وغاب عنى ا هـ

قدْ أَمرَ النبىُّ بالتَّلقِين ... مِنْ بَعْد شنْ التُّرْب لِلمدْفونِ

أعلم ان التلقين وهو التفهم مشروع قبل الموت ولم يذكره الجلال السيوطى هنا وذكر المشروع بعده فنكمل الافادة بذكر الاول فنقول :

فصل وفى حَال سِيَاقِ الموتِ ... يُلقن الحاضِر قبْلَ الفَوْتِ

من فى السياقِ جُملَةَ التَوحِيدِ ... كَمَا أَتى النصُّ بلاَ مَزِيدِ

قال القرطبي في التذكرة باب تلقين الميت لا اله الا الله أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وذكر ابن ابي الدنيا عن زيد بن اسلم قال قال عثمان بن عفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضرتم الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة قال عمر بن الخطاب احضروا موتاكم وذكروهم لا اله الا الله فهم يرون ما لا ترون وذكر أبو نعيم من حديث واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم « احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحليم من الرجال يتحـــول عند ذلك وان الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع والذى نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف والذى نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله قال القرطبي غريب من حديث مكحول ا هـ قلت ولم يخرج البخاري حديث التلقين قال في فتح الباري كأن المصنف لم يثبت عنده شيء في التلقين على شرطه فاكتفى بما يدل عليه وأراد صاحب الفتح قول البخاري في الترجمة ومن كان آخر قوله لا اله الا الله وهو اشارة الى مـا أخرجه أبو داود من حديث معاذ رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » قال الزين بن المنير هذا الحديث يتناول بلفظه من قالها فبغته الموت أو طالت حياتـــه لكنه لم يتكلم بشيء غيـــره ويخرج بمفهومه من تكلم يعني بعد قولها لكنه استصحب حكمها من غير تجديد نطق فان عمل اعمالا سيئة كان في المشيئة وان عمل اعمالا صالحة فقضية سعة رحمة الله ان لا فرق بين الاسلام النطقي الحكمي والمستصحب ا هـ قلت ويدل للاستصحاب ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة فعبر بالعلم الذي هـو شأن المؤمن ومثله أخرج مسلم من حديث أبي زراره انه قال صلى الله عليه وسلم « ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وأخرج الحاكم عن عمر عنه صلى الله عليه وسلم « انى لا علم كلمة مايقولها عبد حقا في قلبه فيموت الا حرم على النار « لا اله الا الله » قال الحـــافظ ابن حجر المراد لا اله الا الله في هذا الحديث وغيره كلمة الشهادة فلا يرد اشكال ترك ذكر الرسالة قال الزين

ابن المنير قول لا اله الا اله لقب جرى على النطق بالشـــهادتين قال القرطبى قال علمائنا تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون وذلك ليكون آخر كلامه لا اله الا الله فيختم له بالسعادة وليدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة» أخرجه أبو داود كما قدمناه وصححه عبد الحق قلت والمراد بالميت فى هذه الاخبار هو من فى سياق الموت ثم ظـــاهر الاوامر فى الحديث وجوب ذلك كفاية على من حضره ثم قال القرطبـى ولينبه الميت على ما يدفع به الشيطان فانه يتعرض للمحتضر فيفسد عليه عقيدته عــلى ما يأتى فاذا تلقنها الميت وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر قال ابن المبارك « لقنوا الميت لا اله الا الله فان قالها فدعوه » قال أبو محمد بن عبد الحق وانما ذلك لأنه يخاف عليه اذا الح عليه بها ان يتبرم منها ويضجر ويثقلها عليه الشيطان فيكون سببا لسوء الخاتمة قال الحسن بن على قال لى ابن المبارك لقنى يعنى كلمة الشهادة ولا تعد على الا ان أتكلم بكلام ثان والمقصـــود ان يموت الرجل وليس فى قلبه الا الله تعالى لان المدار على القلب وعمل القلب هو الذى ينظر فيه وتكون النجاة به وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها ولا خير عندها قال الشيخ وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كمــا ذكره أبو نعيم ان أبا زرعة (١) كان فى السوق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلمـــاء فذكروا حديث التلقين فاستحوا من ابى زرعة فقالوا ياأصحابنا انطلقوا بنا نتذاكر الحديث قال محمد بن مسلم أخبرنا الضحاك عن أبى مجلز قال أنا أبو عاصم حدثنا الحميدى بن جعفر عن صالح بن ابى عريب ولم يجاوزه والباقون سكوت فقال أبو زرعة وهو في السوق ثنا ابو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى عريب عن كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى رواية حرمه الله على النار وتوفى رحمه الله قلت وذكر هذه الحكاية البخارى بغير اسناده وقال انه قال أبو زرعة لا اله الا

---

(١) هو أبو زرعة الرازى عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروج امام حافظ مشهور ولد سنة ٢٠٠ ومات سنة ٢٦٤ اهـ

الله وخرجت روحه مع الهاء قبل ان يقول دخل الجنة ودخل الشعبى على رجل مريض يعوده فوجد عنده رجلا يلقنه لا اله الا الله وهو يكثر عليه فقال له الشعبى ارفق به فتكلم المريض فقال ان يلقننى أولا يلقننى فانى لا ادعها ثم قرأ « والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها قال الشعبى الحمد لله الذى نجا صاحبنا هذا وقيل للجنيد عند موته قل لا اله الا الله قال ما نسيته حتى اذكره قلت ونظرت فى ترجمة بعض الصالحين انه قيل له وهو في السياق قل لا اله الا الله ففتح عينه وانشد .

وَغَدَا يُذَكِّرُنِى عُهُودًا بِالحِمَى   وَمَتَى نَسِيتُ العَهْدَ حَتَّى أَذْكُرَا

وذكر ابن أبى الدنيا وأخرجه الطبرانى فى كتاب المحتضر من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا قال فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص » وذكر القرطبى بابا فى سوء الخاتمة أعاذنا الله من ذلك وذكر أن الشيطان يحضر الميت فى صورة أبيه الذى مات قبله ويدعوه الى ان يموت يهوديا ويحضره شيطان آخر فى صورة أمه التى ماتت قبله وتدعوه ان يموت نصرانيا ويروى فيه حديثا مرفوعا وذكر عن عبد الله بن احمد بن حنبل انه حضر أباه احمد بن حنبل فكان يعرق ثم يفيق ويقول بيده لا بعد لا بعد فعل هذا مرارا فقلت له ياابه اى شيء يبدو عليك قال ان الشيطان قائم بحذاى عاض على انامله يقول يا أحمد فتنى وأنا أقول لا بعد حتى أموت قال القرطبى سمعت شيخنا أبا العباس احمد بن عمر القرطبى بثغر الاسكندرية يقول حضرت أخا شيخنا احمد بن محمد القرطبى بقرطبة وقد احتضر فقيل له قل لا اله الا الله فكان يقول لا لا فلما أفاق ذكرنا ذلك له فقال أتانى شيطانان عن يمينى وعن يسارى يقول احدهما مت يهوديا فانه خير الاديان والآخر يقول مت نصرانيا فانه خير الاديان فكنت أقول لهما لا لا اى لا تقولان وقد كتبت بيدى كتاب الترمذى والنسائي عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتى أحدكم عند الموت فيقول له مت يهوديا مت نصرانيا فكان الجواب لهما لا لكم قال القرطبى وقد تصفحت كتاب ابى عيسى الترمذى وسمعت جميعه فلم أقف على هذا الحديث فيه فان كان فى بعض النسخ فالله اعلم وأما كتاب

النسائي فسمعت بعضه وكان عندى كثير منه فلم أقف عليه وهو نسخ فيحتمل ان يكون فى بعضها اهـ ما ألحقناه نظما وشرحا وأما الذى أراده الحافظ جلال الدين فهو التلقين بعد دفنه فقيل انه يكون عند وضع الميت فى اللحد بعد ان يحثى عليه التراب وقيل قبل ان يحثى عليه التراب وهو الذى أشار اليه في البيت الاول وأشار الى الثانى فى الثانى وهو قوله :

وقِيل قبل أنْ يهال التربِ وإنْ يعد ثَلاثَةً فَندبِ
وَمِثله جَاء عَنْ الأَصْحَاب وطَلَب التثلِيث لاسْتِحْباب

هذا والذى قبله فى قوله قد أمر النبى هو التلقين الثانى وهو بعد الدفن وانما ذكر الناظم الخلاف هل هو بعد شن التراب وهو بعد ادخال الميت المحدوسده وحثو الحاضرين التراب عليه والادلة التى تذكر دلت على هذا وهو الذى أفاده البيت الاول وأما قوله هنا « وقيل قبل ان يهال التراب » فهذا ما أعرفه ولا أعرف قائلا به وهو تلقينه عند وضعه فى اللحد قبل يحثى عليه التراب والسيوطى طويل الباع فى الاطلاع كأنه وقف عليه فيما لم نقف عليه وأما دليل هذا التلقين فقد ذكر الحافظ ابن حجر فى التلخيص حديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل ـ أبو داود والحاكم والبزار عن عثمان قال البزار لا يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه اهـ الا أن هذا دليل سؤال التثبيت للميت بعد دفنه كما يأتى وأما التلقين المراد فى الابيات فقد قال الرافعى ويستحب ان يلقن الميت بعد الدفن فيقال ياعبد الله يا ابن أمة الله اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان الجنة حق والنار حق وان البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما وبالقبلة قبلة وبالمسلمين اخوانا ورد به الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر الطبرانى عن امامة اذا أنامت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصنع بموتانا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس

قبره ثم ليقل يافلان بن فلانة فانه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يافلان بن فلانه فانه يستوى قاعدا ثم يقول يافلان بن فلانة فانه يقول أرشـدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون به فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يأخذ كل منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته وقال رجل يا رسول الله وان لم يعرف أمه قال ينسبه الى أمه حواء يا فلان بن حواء واسناده صالح وقد قواه الضيـاء فى الاحكام له وأخرجا عبد العزيز فى النسائى كذا فى التلخيص فلينظره والراوى عن أبى امامه سعيد الازدى بيض له أبو حاتم ولكن له شواهد منها مارواه سعيد بن منصور من طريق راشد بن سعد وحمزة ابن جليب وغيرهما قالوا اذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس كانوا يستحسنون ان يقال للميت يافلان قل لا اله الا اله قل اشهد ان لا اله الا الله ثلاث مرات قل ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد ثم ينصرف وقال الاثرم قلت لاحمد بن حنبل هذا الذى تصنعونه اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان ابن فلانة قال ما رأيت أحدا يفعله الا أهل الشام حين مات أبو المغيرة يروى فيه عن أبى بكر بن ابى مريم عن اشياخهم انهم كانوا يفعلونه اهـ كلام الحافظ وذكر أشياء من الشواهد حذفناها لانها لا تقبل لها شهادة لعدم دلالتها على المراد وقال العلامـة المقبلى فى المنار ان حديث أبى امامة لا يشك الحديثى بل العاقل أن الفاظ ذلـك الحديث تدل على وضع مثل قوله يافلان بن فلانه وان لم يعرف اسمها قال يافلان بن حواء وكذلك فان منكرا ونكيرا يأخذ كل منهما بيد صاحبه فيقول قم بنـا ما يقعدنا عند من قد لقن حجته اهـ وقال ابن القيم فى كتاب الروح انه حديث ضعيف قال وقد سئل عنه احمد فامتحنه واجنح عليه بالعمل قلت ان أراد هـذا الذى نقلناه عن التلخيص عن احمد فليس فيه انه استحسنه بل اخبر انه لا يفعله الا أهل الشام وانهم يروون ذلك عن أبى بكر بن مريم قلت ونسبه احمـد كذلك الى ابى بكر بن مريم دليل تضعيفه للروايه وذلك لان أبا بكر بن ابى مريم كما قال الحافظ الذهبى فى الميزان أبو بكر بن أبى مريم الغسانى الحمصى يقال اسمه بكر وقيل بكير وقيل عمرو وقيل عامر وقيل عبد السلام ضعيف عندهم ثم ساق من أحواله وقال فى آخره عن ابى داود انه سمع أحمد يقول ليس بشىء اهـ

فالعجب قول ابن القيم انه استحسن احمد فعل التلقين لحديث ابن أبى مريم ثم قال
ابن القيم ان حديث ابى امامة حديث ضعيف قال لكنه وان لم يثبت
فاتصال العمل به فى سائر الامصار والاعصار من غير نكير كاف فى العمل به
وما أجرى الله العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهى أكمل الامم
عقولا وأوفر معارف وتطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل ويستحسن ذلك ولا
ينكره منها منكر بل سنه الاول للآخر ويقتدى فيه الآخر بالاول اه قلت
وهو كما تراه فى غاية الضعف فانه يقال له أو لا تشك انت ولا تنكر أن أعظم
الأئمة اتباعا واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم هم اصحابه ونعلم يقينا انه
لم يأت عنهم حرف واحد انهم لقنوا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليا رضى
الله عنهم ولا ان أحدا من هؤلاء الخلفاء لقن ميتا بعد دفنه بل ولا يمكن والله ان يأتى
برواية عن أحد من الصحابة انه قام على قبر غيره وقال يافلان بن فلانه ولا قام
أحد على قبر صحابى يناديه فكيف يقول ابن القيم مع امامته انه اتصل العمل فى
سائر الامصار والاعصار وأحمد يذكر انه لم يفعله احد الا أهل الشام حين مات
أبو المغيرة وكم من اعصار قبله خلت من وفاته صلى الله عليه وسلم وأما الامصار
فلم تكن انحصرت فى الشام واذا كان هذا ابن القيم يتعصب فى هذه المسئلة ليتم له
الاستدلال على سماع الموتى لمن يخاطبهم مع ان لا أدلة على ذلك صحيحة ناهضة
فكيف بغيره ممن حرم الانصاف بالكلية فاياك والاغترار بغير أدلة الكتاب والسنة
واذا عرفت ان قول الجلال السيوطى « قد أمر النبى بالتلقين » الى آخر الابيات
الثلاثة أراد ما سردناه من حديث أبى امامه وهو كما ترى والحافظ جلال الدين لم
يذكر فى كتابه شرح الصدور فى شرح حال الموتى فى القبور غير حديث ابى امامة
هذا ثم قال « تنبيه قال الآجرى يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت
مستقبل وجهه بالثبات فيقال اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا
وقد اجلسته لسؤاله فثبته بالقول الثابت فى الآخرة كما ثبته فى الدنيا اللهم ارحمه
وألحقه بنبيك ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا اجره وأخرج سعيد بن منصور عن ابن
ولا تبتليه فى قبره بما لا طاقة له به .
اللهم انه نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره اللهم ثبت عند المسألة منطقه
مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعدما يسوى فيقول

وقال الحكيم الترمذى الوقوف على القبر وسؤال التثبيت فى وقت الدفن مدة للميت بعد الصلاة عليه لان الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر وسؤال التثبيت مدد العسكر وذلك وقت ساعة شغل الميت لانه يستقبله هول المطلع وجزع ثم قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى :

﴿ اختصاص السؤال لهذه الامة أى عن رسولها صلى الله عليه وسلم ﴾

خُصَّ نَبِيُّ الله فيما قد ذُكر ... بأنه يُسْأَلُ عَنْهُ مَنْ قُبِر
ولَمْ يَكُنْ ذَا لِنَبِى قَبْلَهُ ... أبان رَب العَرْش مِنْهُ فضله
نَصَّ عَلَى ذَاكَ كَبِير الْقَدْر ... التِرْمذى وَابن عَبد البر
وَآخَرُونَ عَمَّمُوه فى الأُمَم ... وَبعْضُ أهل العِلْم نحو الوَقف أم

هذه مسئلة اختلف الناس فيها على ثلاثة أقوال الاول ان السؤال للميت خاص بهذه الامة قال ابن القيم فى كتاب الروح انه قال ابو عبد الله الترمذى اما سؤال الميت ففى هذه الامة خاصة لان الامم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة اما ما للخلق كما قال تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » امسك عنهم العذاب واعطى السيف حتى يدخل فى دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ولم يرسخ الايمان فى قلبه فامهلوا ثم ظهر امر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان فكانوا بين المسلمين فى ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتان القبر ليستخرج سرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين اه فهذا هو القول الاول الذى نسبة فى النظم الى الترمذى وابن عبد البر والقول الثانى لعبد الحق الاشبيلى والقرطبى فقالوا السؤال عام لهذه الامة ولغيرها من الامم ولم يستدل لهم ابن القيم بشىء الا ما يفيده مما يأتى من الجواب على أدلة من ادعى الاختصاص القول الثالث التوقف فى التعميم والتخصص قال ابن القيم وتوقف فى ذلك آخرون منهم أبو

عمر بن عبد البر فقال فى حديث ابن ثابت عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان هذه الامة تبتلى فى قبورها من يرويه تسأل وعلى هذا اللفظ يحتمل ان تكون هذه الامة خصت بذلك وهذا أمر لا يقطع عليه اهـ قلت وفى هذا النقل ما يخالف كلام الناظم فانه نسب الى ابن عبد البر انه قال بالاختصاص كالترمذى ونقل ابن القيم انه قال بالتوقف وكلام ابن القيم أقوم لانه نقل لفظ ابن عبد البر قال ابن القيم وقد احتج من خصه بهذه الامة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة تبلى فى قبورها وبقوله اوحى الى أنكم تفتنون فى قبوركم وهذا ظاهر فى الاختصاص بهذه الامة قالوا ويدل عليه قول الملكين ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول المؤمن أشهد انه عبد الله ورسوله وهذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم وقوله في الحديث الآخر انكم فى تمتحون وعنى تسألون قال الاخرون وهم القائلون التعميم لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الامة دون سائر الامم فان قوله ان هذه الامة اما ان يريد أمة الناس كما قال تعالى « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » وكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة وفى الحديث لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها ومنه أيضا حديث النبى صلى الله عليه وسلم « الذى قرصته نملة فأمر بقرية النمل فاحرقت فأوحى الله اليه من أجل ان قرصتك نملة واحدة احرقت أمة من النمل من الامم تسبح وان كان المراد أمته الذى بعث فيهم لم يكن فيه ماينفى سؤال غيرهم من الامم بل قد يكون ذكرهم أخبارا لهم بأنهم مسؤولون وان ذلك لا يختص بمن قبلهم بفضل هذه الامة وشرفها على الامم وكذلك قوله « أوحى الى أنكم تفتنون فى قبوركم » وكذلك اخباره عن قول الملكين ما هذا الرجل فيكم هو اخبار لامته بما تمتحن به فى قبورها والظاهر والله اعلم ان كل نبى مع أمته كذلك وانهم يعذبون فى قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم كما يعذبون فى الآخرة بعد السؤال واقامة الحجة انتهى قال الشيخ جلال الدين الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى :

سؤال من لم يدفن والمصلوب ومن تفرقت أجزاؤه ومن أكلته السباع

ومن ينقل والغريق

ويشمل المطروح والمصلوب والحى عن رؤيته محجوب

إذ لوْ رَأَيْنَاه مقاماً مُقعدا لَذَهَبَ الاصل الذى قَدْ عُقِدَا

مِنْ فَرْض إيمان عَلى الأنام بالْغَيب عَمَّا ثَمَّ مِنْ أحْكَام

السؤال عام لكل هالك على اى صفة مات بالطرح أو الغرق أو الالقاء فى النار أو أكلته السباع أو تخطفته الطير لعموم أدلة السؤال وقول الناظم والحى عن رؤيته محجوب • اعلم ان الله تعالى اخفى أمور البرزخ كلها فلا يشاهد الاحياء شيئا من أحوال الموتى بعد الموت كما قال المعرى •

اذا غيب الميت استسر حديثه
ولم تخبر الاذهان عنه بما يعنى

وقوله اذا لو رأيناه اى الميت المطروح والمصلوب مقاما اى قائما بعد موته من لحده أو من فوق خشبة صلبة مقعدا فى قبره أو عليها لبطل كون الاصل انه تعالى اخفى عنا علم البرزخ وأحوال الاموات فان حكمة الله قضت ان يكون كل ذلك مطويا عن الابصار لانه من احوال الآخرة التى يجب الايمان بها غيبا فقوله الاصل الذى قد عقدا بينه بقوله « من فرض ايمان على الانام » فمن هنا للتبين اى الاصل الذى هو الايمان بالغيب عما ثم بفتح المثلثة اسم مكان اى عما فى مكان من مات من لحد او خشبة او نحوهما قلت ونقل الناظم فى شرح الصدور ان من لم يدفن من الموتى يقع له السؤال او العذاب ويحجب الله تعالى أبصار المكلفين عن ذلك كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين وترد الحياة الى المصلوب ونحن لا نشعر به كما انا نحسب المغمى عليه ميتا كذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر ولا يستنكر شيئا من ذلك من خالط الايمان قلبه قال امام الحرمين وليس هذا بأبعد من الذر الذى أخرج الله من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم وكذلك من تفرقت أجزاؤه يعيد الله الحياة فى بعض أجزائه أو جميعها وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى وجه حكمة اخفاء عذاب القبور وأحوالها بقوله لولا ان لا تدافنوا لاسمعتكم ونحوه وانما قد تواترت المنامات الكثيرة الصادقة بشىء من احوال الموتى ولنذكر شيئا مما ذكره ابن القيم فى كتاب الروح فانه قال قال العباس ابن عبد المطلب كنت أشتهى ان أرى عمر فى المنام فما رأيته الا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراغى ان كان عرشى لينهد لولا ان لقيت رؤوفا رحيما • وقال عبد الله بن عمر عبد العزيز رأيت أبى فى المنام

بعد موته كأنه فى حديقة فدفع الى تفاحات فاولتهن الولد فقلت اى الاعمال وجدت أفضل قال الاستغفار اى بنى ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقلت يا أمير المؤمنين ليت شعرى الى اى حالة صرت بعد الموت فقال يامسلمة هذا أو ان فراغى والله ما استرحت الى الان قال فقلت فأين انت يا أمير المؤمنين قال مع أئمة الهدى فى جنات عدن وقال مالك بن دينار رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد على السلام فقلت ما يمنعك ان ترد على السلام قال أنا ميت فكيف أرد عليك السلام فقلت له فماذا لقيت بعد الموت قال لقيت والله اهوالا وزلازل عظاما شدادا قال فقلت له فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات وتجاوز لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه قال فلبث بعد ذلك أياما مريضا ثم انصدع قلبه فمات وصح عن حماد بن مسلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب ان الصعب بن جثامة وعوف ابن مالك كانا متواخيين قال صعب لعرف اى اخى اينا مات قبل صاحبه فليترا آله قال أو يكون ذلك قال نعم فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال اى أخى قال نعم قلت فماذا فعل بكم قال غفر لنا بعد المشاق قال ورأيت لمعة سوداء فى عنقه قال قلت اخى ما هذه اللمعة قال عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودى وهى فى قرنى فأعطوه اياها واعلم اى اخى انه لم يحدث فى أهلى حدث بعد موتى الا لحق بى خبره حتى هرة ماتت لنا منذ أيام وأعلم ان بنتى تموت الى ستة أيام فاستوصوا بها معروفا فلما اصبحت قلت ان هذا لعلما فأتيت أهله فقالوا مرحبا بعوف اهكذا تصنعون بتركة اخوانكم لم تقربنا منذ مات صعب قال فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت الى القرن فأنزلته فانتثلت ما فيه فوجدت الصرة التى بها الدنانير فبعثت الى اليهودى فقلت هل كان ذلك على صعب شىء قال رحم الله صعبا كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لتخبرنى قال نعم أسلفته عشرة دنانير فنبذتها اليه فقل هى والله « باعيانها » قال قلت هذه واحدة قال فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب قالوا نعم حدث فينا كذا حدث فينا كذا قلت اذكروا قالوا نعم هرة ماتت منذ أيام فقلت هاتان اثنتان فقلت أخى فقالوا تلعب فأتيت بها ومسستها فاذا هى محمومة فقلت استوصوا بها معروفا فماتت لستة أيام قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد سياقه القصة هذا من فقه عوف

رحمه الله تعالى حيث نفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته وعلم صحة قوله بالقرائن التى اخبره بها من ان الدنانير عشرة وهى فى القرن ثم سأل اليهودى فطابق قوله لما فى الرؤيا فجزم عوف بصحة الامر وأعطى اليهودى الدنانير وهذا فقه انما يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل أكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف ان ينقل الدنانير عن تركة الصعب وهى لايتامه وورثته الى يهودى بمنام قال ونظير هذا من الفقه الذى خصهم الله به دون الناس قصة قيس بن ثابت بن شماس وقد ذكرها ابو عمر بن عبد البر وغيره قال أبو عمر وساق سنده عن مالك ابن شهاب عن اسماعيل ابن محمد الانصارى ثابت بن قيس بن شماس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قال مالك فقتل ثابت ابن قيس يوم القيامة شهيدا فانه خرج مع خالد بن الوليد فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى ابى حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد منهما حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ أتاه آت فى منامه فقال له أوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت أمس مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومكانه فى أقصى الناس وعند خبائه فرس تستن فى طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رجل فأت فمره أن يبعث الى درعى فيأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعنى أبا بكر رضى الله عنه » فقل له ان على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان فأتى الرجل خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها وحدث أبا بكر رضى الله عنه برؤياه فأجاز وصيته قال ولا نعلم أحدا أجيزت وصيته بعد موته سوى ثابت بن قيس رحمه الله تعالى ا هـ ما ذكره أبو عمر قال ابن القيم رحمه الله فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابة معه على تنفيذ هذه الوصية والعمل بهذه الرؤيا وانتزع الدرع ممن هى فى يده وهذا محض الفقه ثم عد نظائر لهذه من قضايا قال بها العلماء رجوعا الى القرائن ا هـ قلت وبالجملة فعلم الرؤيا علم شريف وصدقه متيقن لكثرة ما وقع منه مما لا يدخله تشكيك لنا ولغيرنا وحكى لى شيخنا

رحمه الله تعالى انه كان له أخت وكان لها ثلاثة من الاولاد وانه توفى أحدهم فرآه فى المنام فسأله ما حاله بعد الموت فأخبره انه له فقال له بماذا قال انه جاء رجل سائل فقير يطلب صدقة وانه رمى الى منزلهم حجرا فكسرت قمرية فخرج أخواه ليضرباه فخرج يدافع عنه حتى دفعهما عنه فكان سبب حسن حاله بعدالموت قال شيخنا فخرجت فرأيت قمرية مكسورة فى بعض أماكن كريمته فسألها من كسرها فوصف له القصة التى أخبره بها ابنها بعد موته اه قلت وأعلم ان الله تعالى لما طوى أمور سكان القبور عن المشاهدة للمعذب منهم والمنعم جعل لبعض عباده اطلاعا على أحوالهم فى المنام ومشاهدتهم لامور صادقة عند الانام بحيث انه قد يخص تعالى رجلا أو امرأة بذلك وتصير معروفة باتيان الاموات فى منامهاوتأتى عنه بأخبار يصدقها فيه قراباتهم ومن كان يلابسه وقد يرسل بعض قرابة الميت من الاحياء الى من يريده من الاموات من عرف باتيانه بأخبار الموتى ويبلغ عنه ماتوصى به اليه ويأتى بجوابه وقد أخبرنا أمة بعدامة من خيار الناس بوقوع ذلك حتى صار يقينا لكثرة وقوعه ويسمون من يأتى الموتى بالمسفل والمسفلة وكأنهم اشتقوه ممن يأتى الارض السفلى التى دفن فيها الاموات وقد سمت جملة الآن مما سقناه عن الصحابة وغيرهم وسيأتى فى مواضيع من هذا الشرح جمل من ذلك تزيدك بصيرة فى صحة أخبار المخبرين عن الموتى بالاحلام وانه حق يخص الله به بعض الانام لينفع الله به من يشاء من العباد ويخلص به ذمما قبل يوم المعاد وسمعت بعض من قصر ادراكه ينكر هذا ويقول قال الله تعالى فى الموتى « فلا يستطيعون توصية ولا الى أهليهم يرجعون » وهذا باطل فالآية وارادة فى غير الموتى انما هى واردة فى الهالكين بالصيحة كما قال تعالى « ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون (اى لا يستطيعون توصية عند الصيحة وهم أحياء قبيل أخذها لهم والكلام فى أخبار الموتى بعد الموت فالآية خاصة بمن ذكر ولما كانت حياة الميت وسؤاله مما تقرر بدليله كما عرفت اختلف العلماء هل تعود الحياة لجميع بدنه أو لبعضه وهذا فيمن تفرقت أجزائه لاغيره فأشار الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله الى الخلاف فى ذلك بقوله :

وَيَخْلُق الله الحَياة فى الذى تفرَّقَتْ أجزَاءه أَو بعض ذِى
ثُمَّ يوجَّه السُّؤال غير مين نَص على ذاكَ امام الحَرَمين

وقد حكى فى شرحه الجزولى فى ذاك خلفاً فى ذوى النقول
قيل أنّ كل جزء يجمع وقيل يحى منه جزء يسمعُ
أو جزء قلب أو دماغ حلا وقيل بل فى كل عضو حلا
روح له حينئذ على حده فهذه مذاهب معدده

قوله ويخلق الله الحياة • أعلم أنه وقع الخلاف هل تعود الروح الى كل جزء وعضو من الميت الذى تفرقت أجزاءه أو تعود فى بعض أجزائه كما أفاده أو بعض ذى اى بعض الاجزاء الذى تقدم ذكرها وعلى الثانى اختلف فى اى جزء تعاد الحياة فقيل فى القلب وقيل فى الدماغ وقيل فى كل عضو جلته الحياة كما أشار اليه فى النظم فى قوله روح فاعل حلا واصله حل ماض لكنه لحقه ألف الاطلاق وقوله على حده بزنة عدة أى على توحده وانفراده واذا عرفت الاقوال فالمقبور تعاد اليه روحه فى قبره كما قام عليه الدليل بأنه تعود اليه الروح ويقعد فى قبره كما نصت به الاحاديث النبوية وقد تواترت الاخبار النبوية بذلك كما قدمناه فى أسماء الصحابة الذى رووه فى شرح قول الناظم « قد بلغت سبعين عند العده » وذلك كحديث السنن مما اخرجه الشيخان وغيرهما من طريق قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه أنه ليسمع قرع نعالهم ثم قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل الحديث وأحاديث الجميع ممن ذكرناه من الصحابة متفقة على حياته فى قبره وقعوده حتى ان فى حديث جابر بن عبد الله انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اذا دخل الميت فى قبره مثلت له الشمس عند غروبها فيجلس يمس عينيه يقول دعونى أصلى أخرجه ابن ماجه وابن أبى الدنيا وهذه الاحاديث قد ساقها الحافظ السيوطى بألفاظها فى كتابه شرح الصدور فى شرح أحوال الموتى فى القبور » وقد اتفقت على حياته وقعوده وخطابه وبعضها فيه رؤية مقعده من الجنة ان كان مؤمنا ومقعده من النار الذى سلمه الله منه وانه يقول المؤمن ذرونى أذهب الى أهلى أبشرهم وان كان غير مؤمن أرى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو كان من أهلها وهذا حال من تعود له الحياة الحقيقية وتعاد

اليه روحه كما كان لا انه يعاد اليه بعض روحه أو روحه كلها ويحل فى بعض من بدنه وقد عرفت تواتر عذاب القبر وانه يضرب الكافر والمنافق بمطراق أو مزربة من حديد وهذا العذاب لبدن فيه روحه ونقل الناظم فى شرح الصدور عن الحافظ ابن حجر ان الروح تحل فى النصف الاعلى من الميت اه والادلة كما قررناه دالة على حلوله فى بدنه جميعا ويأتى تصريح الناظم بانه تعود الروح الى بدنه كله فى قوله « وكله يحى لدى الجمهور » البيت الى آخره وتقدم حديث البراء بن عازب وهو أجمع الاحاديث وفيه التصريح بأنهما يقعدانه ويسألانه وهو ظاهر فى حياته كما كان وظاهر كلام الناظم ان الخلاف انما هو فى الذى تفرقت اجزاءه لا من بقى على حاله والاحاديث التى قدمناها كلها فى حياة من لم تتفرق اجزاءه الا انه لا يخفى ان هذا اى باب الاخبار عن حال الموتى لا طريق لمعرفته الا من السمع اذ لا مجال للعقل فى ذلك فالقائل بانه من الذى تفرقت اجزاؤه وانه القلب أو الدماغ أو غيرهما لم يأت بدليل سمعى يعتمد عليه فالاولى ادخال ذلك تحت عموم احاديث حياة الميت ولا مخصص أو الوقف ونكل علمه الى الله تعالى وخص الناظم مما تفرقت اجزاؤه ما تضمنه قوله

مَنْ يأكل السّباع والأطْيَار ... يُسْأَلُ حينَ يَحْصَل القرَار

فى جَوْفِهَا مِنْ غَيْر ما مجاز ... نصٌ عَلَيْه هكذا البرازى

هو من علماء الحنفية قال فى فتاويه السؤال فيما يستقر فيه الميت حتى لو اكله السبع فالسؤال فى بطنه اه وهذا تخصيص لبعض من تفرقت اجزاؤه وهو من أكله الطيور والسباع ولا ادرى ماخصص هذا من بين من تفرقت اجزاؤه ثم يقول اجزاؤه قد تفرقت فى حواصل الطير وبطون السباع فهل المراد انه يسأل فى كل جزء حيث يستقر فهذا يؤدى الى انه يسأل كل عضو أو بعضه وهو خلاف ما قام الدليل عليه وان اراد انه اذا اكله طائر واحد أو سبع واحد فهذا وان تفرقت اجزاؤه فى أجزاء ما اكله ولكنه لما اجتمع فى بطنه صار له قبرا فهذا لا يتم لانه انما يأكله دفعات فتخرج الدفعة الاولى من بطنه ثم يأكل غيره فلا تستقر أجزاؤه فى البطن جميعا فالاظهر ان هذا القسم من جملة ما تفرقت أجزاؤه حكمه حكمه ويمكن أن يريد هذا القائل ان الذى تفرقت أجزاؤه يسأل الجزء الذى قيل انه

يسأل منه من دماغ وقلب بعد استقراره فى بطون الطيور والسباع وقوله : ومن بتابوت وشبه جعلا • اى شبه التابوت مما يصان فيه مدة أيام لكيما ينقلا بالمثناة التحتية والنون والقاف من النقل أى يحول •

فَذاكَ لاَ يسْئَل مَا لَمْ يُدْفَنُ ‏ كَذاكَ أَبْدَاه بنْص بين

أى أن البرازى ذكر ان من يبقى فى نحو تابوت أياما وان طات لاجل ينقل الى موضع يدفن فيه فانه لا يسأل حتى يدفن أبدا هذا القول من ذلك بنص منه بين فانه قال فى فتاويه ان من يجعل فى تابوت اياما لينقل الى مكانه فانه لا يسأل ما لم يدفن نقله عن الناظم فى شرح الصدور فقوله بنص بين ليس المراد انه أتى بنص من كتاب أو سنة فى هذا الحكم بل هو نص عليه من كلامه فاما دليله فكأنه ظواهر الاحاديث اذا دفن الميت فانه علق الشارع الحكم بالدفن الا أن قوله :

وَيسْئَل الغَرِيق فى البِحَار ‏ حِينَ يَغيب نَص نيكَارى

خصص ذلك وكأنه خصه لاجل انه لايدفن بخلاف من فى نحو تابوت قلت : لا يخفى ان الوقف فى هذه الاشياء أقرب وارجاع تفاصيلها الى عالم الغيب والشهادة أصوب **فصل** لما وردت أحاديث بأن جماعة لا يسألون وهم سبعة فى التذكرة للقرطبى عدهم خمسة قال الناظم الجلال السيوطى رحمه الله تعالى :

(من خصصوا بأنهم لا يسألون)

وَاسْتَثْنِ جَمْعاً مَا لهُمْ سُؤال ‏ حصيصَة مَنَّ بها المفضال

هو مفعال من الافضال ولم يأت به سمع وانما أتى بذى الفضل والاشعرية وأهل السنة لا يجيزون اطلاق مالم يرد به سمع على الله تعالى كما هو معروف من أصولهم :

الأوَّل الشَّهِيدُ أىْ مَنْ يقْتَل ‏ نَص النَّبى أنَّهُ لا يسْئَل

أخرج النسائى عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد

قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة من لقى العدو وصبر حتى يغلب أو يقتل لم يفتن فى قبره قال القرطبى فى التذكرة قوله : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة معناه أنه لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق كان اذا التقى الزحفان وبرقت السيوف فر لان من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك ومن شأن المؤمن البذل والتسليم لله نفسا وهيجان حميته لله والغضب له لاعلاء كلمة الله فهذا قد ظهر صدق مافى ضميره حيث برز للحرب والقتل فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر قاله الحكيم الترمذى وأخرج فى سننه والترمذى فى جامعه وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده فى الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه • لفظ الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال ابن ماجة يغفر له من أول دفعة من دمه ويحلى حلية الايمان بدل قوله : « ويوضع على رأسه تاج الوقار قال القرطبى وقع فى جميع نسخ الترمذى وابن ماجه ست خصال وهى فى متن الحديث سبع وعلى ما ذكر ابن ماجه ويحلى حلية الايمان تكون ثمانيا وكذلك ذكره أبو بكر احمد ابن سليم النجار مسنده عن المقدام بن معدى كرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ثمان خصال وقوله اى من يقتل اشارة الى أن هذه الفضيلة تختص بمن يقتل فى سبيل الله دون غيره من الشهداء كما يأتى :

وَكَمْ إِمَامٍ راسِخٍ قَدْ وَافَى ... بِهِ وَلَمْ يَحْكِ بِهِ خِلافاً
لَكِنْ حَكَى الخُلْفَ بِهِ الجُزولى ... وَأَنَّهُ مِنْ جُملةِ المسئُول

يريد انه قال أكثر العلماء انه لا يسأل الشهيد لما مضى من الادلة وحكى الجزولى فيه خلافا ولم يذكر من الذى خالف ولا دليله ولا ذكره الجلال فى شرح الصدور والوجه مع الجمهور لانه خصص عموم السؤال الادلة الخاصة المذكورة وأشار الى الثانى من الذين لا يسألون فقال :

ثانى الذى لا يسْئل المرابط ... رَوَى الأَحاديث بذاك الضَّابط

اى العدل فانه لا يكفى الضبط فى قبول الراوى كما عرف فى علوم الحديث وكأنه أحال على ما يعرف فيها قال القرطبى الرباط هو الملازمة فى سبيل الله مأخوذ من رباط الخيل ثم تسمى كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطا فارسا كان أو راجلا واللفظة مأخوذة من الربط وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى منتظر الصلاة « فذلكم الرباط » انما هو تشبيه بالرباط فى سبيل الله والرباط اللغوى هو الاول وهو الذى يشخص « الى ثغر من ثغور » المسلمين فيرابط فيه مدة فاما سكان الثغور بأهليهم الذى يغزون ويسكنون هناك فانهم وان كانوا حماة فليسوا بمرابطين قاله علماؤنا انتهى •

وأما دليل ذلك فروى مسلم عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وامن من الفتانين فالرباط من أفضل الاعمال ولذا يجرى للمرابط عمله بعد موته كما أخرج الترمذى وصححه عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة • ويأمن فتنة القبر وأخرج ابن ماجه بسند صحيح عن ابى هريرة الى بريرة رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا فى سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله آمنا من الفزع وأخرج احمد والطبرانى من عتبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه يجرى عليه أجر عمله حتى يبعثه الله ويؤمن من فاتنى القبر وأخرج البزار عن عثمان بن عفان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا فى سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الاكبر •

الثالث المطعون حين الحقا   بالشهداء فى حديث صدقا

المطعون هو الذى يموت بالطاعون فى القاموس الوبا قال الناظم فى شرح الصدور انه جزم شيخ الاسلام ابن حجر فى كتاب • بذل الماعون فى فضل الطاعون

بأن الميت بالطاعون لا يفتن لانه نظير المقتول فى المعركة وبأن الصابر بالطاعون محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب له اذا مات فيه بغير الطعن لا يفتن أيضا لانه نظير المرابط هكذا ذكره وهو متجه اه وقوله حين الحقا الى آخره يشير الى حديث مسلم « الطاعون شهادة لكم مسلم » أخرجه من حديث أنس وأخرج احمد والبخارى عن عائشة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم والطاعون كان عذابا الله على من يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد وأخرج احمد عن عائشة رضى الله عنها عنه صلى اللهعليهوسلم الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف وأخرج الحاكم عن ابى موسى عنه صلى الله عليه وسلم والطاعون وخز اعدائكم من الجن وهو لكم شهادة » وأخرج الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى فوائد أبى بكر بن خلاد عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم « الطاعون شهادة لامتى ووخز أعدائكم من الجن غدة كغدة البعير تخرج فى الاباط والمراق من مات منه فهو شهيد ومن اقام فيه كالمرابط فى سبيل الله ومن فر منه كالفار من الزحف قلت فهذه احاديث ناصة بأن الطاعون شهادة والناظم الجلال اقتصر عليه وجعله ثالثا واشار الى انه قد عمم القرطبى الحكم فى كل شهيد فقال

ومُقْتَضَى ماقَدْ رواهُ القُرْطُبي ... كُلٌّ أخِي شَهادَة بذاحِبي

قوله حبى بالحاء المهملة والموحدة قوله من حباه اذا اعطاه وانما غير هنا صيغته والقرطبى بضم القاف فراء ساكنة فطاء مضمومة منسوب الى قرطبة وهى كما فى القاموس بلدة المغرب وهو العلامة الكبير المحدث أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر بن فرج الانصارى الخزرجى الاندلسى من ائمة الحديث له « التذكرة فى علوم الاخرة » ومنها النقل هنا فانه قال قوله صلى الله عليه وسلم (من مات مريضا مات شهيدا) عام فى كل الامراض لكن قيده فى الحديث الاخر بمن قتله بطنه وفيه قولان احدهما ان الذى يصيبه الصرب وهو الاسهال تقول العرب اخذه البطن اذا اصابه الداء وذرب الجرح اذا لم يقبل الدواء وذربت معدته اذا فسدت والثانى انه الاستسقاء وهو اظهر القولين فيه لان العرب تنسب

موته الى بطنه يقولون قتله بطنه يعنى الداء الذى اصابه فى جوفه وصاحب الاستسقاء قل ان يموت الا بالذرب فكأنه جمع بين الوصفين وغيرهما ومثل ذلك صاحب السل اذ موت الاخر لا يكون الا بالذرب وليست حالة هؤلاء كحالة من يموت فجأة أو يموت بالسم والبرسام والحميات المطبقة والقولنج والحصاة فتغيب عقولهم لشدة الالم ولورم ادمغتهم ولفساد امزجتها واذا كان الحال هكذا فالميت يموت وذهنه حاضر ويموت وهو عارف بالله انتهى بلفظه قلت وحديث من مات مريضا مات شهيدا اخرجه ابن ماجه من حديث ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقى فتنة القبر وغدى عليه وريح برزقه من الجنة واعلم ان الناظم نقل كلام القرطبى هذا ثم قال قلت لا حاجة الى شىء من هذا التقييد فان الحديث غلط فيه الراوى باتفاق الحفاظ وانما هو من مات مرابطا لا من مات مريضا وقد اورده ابن الجوزى فى الموضوعات لاجل ذلك اه قلت اذا عرفت هذا فما كان للجلال الناظم ان يذكره هنا وينسبه الى القرطبى أما اولا فلأن القرطبى لم يلحق كل ذى شهادة بل قيد المرض بالبطن وفسر البطن بالاستسقاء والحق به السل ولو الحق كل ذى شهادة لالحق قريبا من الثلاثين ممن سماهم الشارع شهداء كما يأتى انا عددهم وأما ثانيا فلأن القرطبى بنى الاطلاق والتقييد على ثبوت رواية من مات مريضا وقد بين ضعفها الحافظ الناظم فما كان يحسن ان يذكر فرعا قاله القرطبى قد ابطل هو اصله وقال ابن القيم فى حديث ابن ماجه انه من افراده وفى افراده غرايب ومنكرات وهذا الحديث مما يتوقف فيه ولا يشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله ثم قال كما قال القرطبى ان صح قيد بحديث المبطون ثم اشار على الشهداء بقوله

الرابع الصِّديق ذو العرف الشذِى　　　نص عليهِ القرطبى والترمذى

المراد بالصديق كما فى القاموس الصديق كسكيت كثير الصدق ولقى ابى بكر شيخ الخلفاء والعرف بفتح العين المهملة الريح الشذى بالمعجمتين هو ذكاء الرائحة اى العرف الطيب قال القرطبى اذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطرا اى اعظم اجرا وهو احرى ان لا يفتن فانه مقدم ذكره فى التنزيل على

الشهداء فى قوله تعالى « اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » الاية وقد جاء فى المرابط الذى هو اقل رتبة من الشهيد فكيف بمن هو اعلى رتبة منه قال ابن القيم بعد نقله كلام القرطبى هذا ما لفظه والاحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبين ان الصديق يسئل فى قبره كما يسئل غيره وهذا عمر رضى الله تعالى عنه رأس الصديقين قد قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما أخبره عن سؤال الملك فى القبر « فقال وأنا على مثل حالتى هذه قال نعم الحديث اه قلت والحديث عن عمر ذكره القرطبى فى التذكرة واخرجه البيهقى فقال ولقد قال عمر بن الخطاب لما اخبره النبى صلى الله عليه وسلم بفتنة الميت القبر وسؤال منكر ونكير وهما الملكان قلت يارسول الله ايرد على عقلى قال نعم قال اذا اكيفيكهما والله ان لا يسألانى لاسألهما فاقول انا ربى الله فمن ربكما انتما اه واما الترمذى الذى ذكره الناظم فالمراد به الحكيم فانه قال ما لفظه ويفعل الله ما يشاء وتأويله عندنا والله اعلم ان من مشيئته ان يرفع اقواما عن السؤال وهم الصديقون والشهداء اه ذكره الناظم فى شرح الصدور ولا يخفى ما فيه قال ابن القيم ولا يلزم من هذه الخاصة التى اختص بها الشهداء ان يشاركه الصديق فى حكمهما وان كان اعلى منه فخواص الشهيد قد تنفى عمن هو افضل منه وان كان أعلا درجة منه والناظم بنى على ما قاله القرطبى من الحاق الصديق بالشهيد واشار الى ما علل به القرطبى ذلك بقوله

لأَنَّه من الشَّهيد أعلى مَرْتَبَه فَهُوَ بذَاكَ أَوْلَى

فصل وأما الانبياء قد عرفت ما رده به ابن القيم قريبا والحق معه فاشار الناظم الى انهم لا يسئلون ايضا بقوله

وَمَنْ هنا يقطعُ بانتفاءه عَنْ رسُلِ الله وَأَنْبيَاءهُ

قال ابن القيم فى كتاب الروح وقد اختلف فى الانبياء عليهم السلام . هل يسألون فى قبورهم على قولين وهما وجهان فى مذهب احمد وغيره انتهى فاعجب لقول الناظم انه يقطع بانتفائه فانه أقاس على انتفائه عن الصديق انتفاءه عن الانبياء والرسل من باب قياس الاولى والمقيس عليه لم ينهض عليه الدليل الظنى فكيف

يقال بأن حكم المقيس عليه قطعي هذا قطع بغير تقدير ولا هـدى ولا كتاب منير ولو قال • ومن هنا قال (قيل) بانتفائه • عن رسل الله وانبيائه لكان اهون من القول بالقطع

وَكل إمَام قاله وَكمْ أمَم ° وَالنَّسفى فى بَحْره به جَزَم

اى ان العلامة النسفى الماتريدى جزم بانتفاء السؤال عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو نسبة الى نسف كجبل بالنون والسين المهملة والفاء والذى ذكره عن النسفى فى شرح الصدور انه قال فى بحر الكلام ان الانبياء واطفال المؤمنين ليس عليهم حساب ولا عذاب القبر ولا سؤال منكر ونكير اه ولم يذكر لدعواه دليلا ولا زاد الناظم على هذا الذى فى شرح الصدور شيئا

والشَّيْخ سعْد الدينْ منْهمْ نقلا   خلفاً وَهذَا الخلف مِمَّا أشكلا

اى ان سعد الدين التفتازانى نقل خلافا عن العلماء فى سؤال الانبياء منهم من اثبته ومنهم من نفاه فقال الناظم ان هذا الخلف اى الخلاف مشكل فانه لا ينبغى القول بانهم يسألون وقد عرفت انه لم يستدل لانتفاء السؤال عن الانبياء والرسل الا بالقياس على الصديق وهذا كما عرفناك فلا اشكال فى الخلاف بل الاشكال فى القول بانتفائه اذ لم يأت مخصص لهم الا القياس وهو كما عرفت ومن العجب ان الجلال الناظم لم يذكر فى شرح الصدور ان الانبياء والرسل لا يسألون مع تعرضه لمن لا يسئل فذكر الشهيد والصديق والمطعون وغيرهم ولم يذكر الانبياء ولا الرسل واشار الى دليل ذكره من اشار اليه بقوله

وَالنيكساري قال أنَّ المسألة   عَنْ النَّبي جَلَّ مَنْ قدْ أرْسَلَه

النيكسارى بالنون فمثناة تحتية بعد الكاف سين مهملة ثم الف ثم راء لا ادرى الى ما هذه النسبة ولا اعرف اسم المنسوب ولا شيئا من احواله فليبحث عنه • هذا الدليل الذى ذكره بقوله

يسأل عنْه غيره فى رمْسه   فكيف يسأل النبى عنْ نفسه

معناه ان السؤال عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول السائل ما تقول فى هذا الرجل كما تقدم فكيف يسئل هو عن نفسه قلت وهذا مجرد استبعاد ثم انه ليس السؤال عنه فقط بل عن ربه اولا ثم عنه ثانيا واى مانع عن سؤاله عن نفسه فان الله تعالى يسأل رسله عما اجيبوا به وهو عالم بذلك حيث يقول « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم » الاية والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فى تشهده اشهد ان محمدا رسول الله وبالجملة فالادلة على النفى غير ظاهرة ودخول الانبياء فى العموم ظاهر والاولى عندى الوقف فى المسألة

الْفاكهانى قالَ فى الْملائك الظّاهِر انْتِفَاه فى أُولَئِك

الفاكهانى نسبة الى الفاكهة قال فى القاموس الفاكهة الثمر كله والفاكهانى بائعها اه ولم يذكر المصنف مستند الفاكهانى هنا ولا ذكر كلامه فى شرح الصدور وكأن مستنده الى نفى السؤال عن الملائكة ان الفاظ الاحاديث غالبها بذكر الانسان أو ابن ادم وقد جاءت بلفظ العبد المؤمن وهو عام وايضا قد قرر ان النبى صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة فهم من امته والاقرب الوقف هنا سيما ولم يأت حديث بان الملائكة تدفن بعد موتها ولا ان لها مستقرا بعد قبض ارواحها وان كان لا يشترط ذلك فى السؤال ثم رأيت بعد هذا فى فتح البارى ما لفظه واما الملائكة فلا اعرف احدا ذكره والذى يظهر انه لا يسأل لان السؤال يختص بمن شأنه ان يقبر اه قلت اى من هو من الذين يقبرون وشأنهم ذلك وان اتفق ان بعضهم لا يقبر كأكيل السباع والطير ونحو ذلك

قُلت وأمّا الجِن فالأدِلّة تَعمهم فَيُسألون جملة

اذ هو يصدق عليهم ما ورد من لفظ العبد ولفظ الميت والحاصل انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم فحكمهم فى جميع الاحكام حكم الانسان فلذا قال فالادلة تعمهم وقوله جملة اى كلهم مؤمن وكافر ومنافق ويأتى فى الاستثناء للشهيد ونحوه ما اتى فى بنى ادم

الخامس الاطفال دُونَ الحِنث فى أرجَح قَولِهِمْ وَجزم النّسفى

تقدم كلام النسفى قريبا بان اطفال المؤمنين والانبياء لا يسألون وقد عرفت ان من عذاب القبر السؤال وان الاطفال لا يعذبون فلا يســـألون قال ابن القيم فى كتاب الروح فى المسألة الثالثة اختلف الناس فى الاطفال هل يمتحنون فى القبر أم لا على قولين وهما وجهان لاصحاب احمد وصحبه من قال انهم يسألونه انـه شرع الصلاة عليهم والدعاء لهم وسؤال الله ان يقيهم عـذاب القبر وفتنة القبر كما ذكر ذلك مالك فى موطئه عن ابى هريرة رضى الله عنه انه صـلى عـلى صبى صغير فسمع من دعائه « اللهم قه عذاب القبر » واحتجوا بما رواه ابن معبد عن عائشة انه مر عليها بجنازة صبى فبكت فقيل لها ما يبكيك يا ام المؤمنين فقالت هذا الصبى بكيت عليه شفقة من ضمة القبر واحتجوا بما رواه هنـاد بن السرى قال حدثت ابو معاوية عن يحى بن سعيد عن سعيد بن المســيب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه كان يصلى على المنفوس ما ان عمل خطيئة قط فيقول اللهم أجره من عذاب القبر قالوا والله سبحانه يكمل عقولهم ليعرفـوا بذلك منزلتهم ويلهمون الجواب عما يسئلون عنه قال وقد دل على ذلك الاحاديث الكثيرة انهم يمتحنون فى الاخرة وحكاه الاشعرى عن اهل السنة والحديث فاذا امتحنوا فى الاخرة لم يمتنع امتحانهم فى القبور قال الاخرون السؤال انما يكون لمن عقـل الرسول والمرسل فيسئل هل آمن بالرسول واطاعه ام لا فيقال له ما كنت تقـول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فاما الطفل الذى لا تمييز له بوجه ما فكيف يقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ولو رد عليه عقله فى القبر فانه لا يسأل عما لم يكن يتمكن من معرفته والعلم به ولا فائدة من هذا السـؤال بخلاف امتحانهم فى الاخرة فان الله تعالى يرسل اليهم رسولا ويأمرهم بطاعة أمره وعقولهم معهم فمن اطاعه نجا ومن عصاه دخل النار فذلك امتحـــان بأمر يأمرهم به يفعلونه ذلك الوقت لا انه سؤال عن أمر مضى لهم فى الدنيا من طـاعة منهم أو عصيان كسؤال الملكين فى القبر وأما حـديث ابى هريرة فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك أو فعل معصية قطعا فان الله لا يعذب احدا الا بذنب عمله بل عذاب القبر لهم قد يراد به الالم الذى يحصل للميت بسـبب غيره وان لم يكن عقوبة على عمل عمله ومنه قوله صلى الله عليهوآلهوسلم انالميت

ليعذب ببكاء اهله عليه اى يتألم بذلك ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحى ولا تزر وازرة وزر اخرى كقوله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب فالعذاب اعم من العقوبة ولا ريب ان فى القبر من الالام والهموم والغموم والحشرات ما قد يسرى اثره الى الطفل يتألم به فيشرع للمصلى ان يسأل الله ان يقيه ذلك العذاب انتهى بلفظه والله اعلم

وَداكَ مُقْتَضَى كلام النَوَوى وابن الصَّلَاح لا يُلقَّن الصبى

قال النووى فى الاذكار ما لفظه وسئل الشيخ الامام ابو عمر وبن الصلاح رحمه الله تعالى عن هذا التلقين فقال فى فتاويه الذى هو يختاره ويعمل به وذكره جماعة من اصحابنا الخرسانيين قال وقد روينا فيه من حديث أبى أمامة وليس اسناده بالقائم ولكن اعتضد بشواهد وبعمل اهل الشام به قديما قال واما تلقين الطفل المرضع فما فيه مستند يعتمد ولا نراه والله اعلم قلت الصواب انه لا يلقن الصغير مطلقا رضيعا كان او اكبر منه ما لم يبلغ ويصير مكلفا والله اعلم انتهى بلفظه فهذا هو الذى اشار اليه الناظم بكلام الرجلين وفى فتح البارى واختلف فى الطفل غير المميز فجزم القرطبى فى التذكرة بانه يسأل وهو منقول عن الحنفية وجزم غير واحد من الشافعية بانه لا يسأل ولذا يستحب ان يلقن انتهى وقدمنا لك مافى التلقين مطلقا من عدم الدليل

فالزَّركشى أضحى لَهُ مُعَلِّلا بأنه فى قَبره لَنْ يُسْئَلا

لا يخفى ان هذا ليس علة لنفى السؤال بل اخبار بانه لا يسأل فاين العلة التى اشار اليها

وَقيـل كل طفل يُسـأل وَيَحْصُلُ الْعَقل لهم وَيَكمُلُ

يقال هذا خروج عن محل النزاع فانه اذا حصل العقل وكمل لم يكن المسئول حينئذ طفلا

وَيلهِم الله الجَواب عَمّا قد عوهِدَ الذى عليه قدمَا

تقدم كلام ابن القيم فى تحقيق الاحوال فى ذلك وهو الذى قاله الناظم اشارة الى ما أخذه الله على عباده من العهد وهم فى عالم الذكر كما ورد فى تفسير قوله تعالى « واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم » الاية فانه اخرج عبد بن حميد وحشيش بن احزم فى الاستقامة وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس فى قوله تعالى « واذ اخذ ربك من بنى آدم » الاية قال خلق الله آدم واخذ ميثاقه انه ربه وكتب اجله ورزقه ومصيبته ثم اخرج ولده من ظهره كهيئة الذر فاخذ مواثيقهم انه ربهم وكتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم واخرج عبد بن حميد وعبد الله بن احمد فى زوائد المسند وابن جرير وابن ابى حاتم وابن منده فى الرد على الجهيمية وان مردويه والبيهقى فى الاسماء والصفات والضياء فى المختارة وابن عساكر فى تاريخه عن أبى كعب فى الاية الى قوله « ما فعل المبطلون » قال جمعهم جميعا فجعلهم ازواجا فى صورهم ثم استنطقهم فتكلموا ثم اخذ عليهم العهد والميثاق ثم اشهدهم على انفسهم « الست بربكم قالوا بلى قال فانى اشهد عليكم السموات السبع واشهد عليكم اباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة انا لم نكن نعلم بهذا » واعلموا انه لا اله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا انى سارسل اليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاقى وانزل عليكم كتبى قالوا نشهد بأنك ربنا آلهنا لارب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فأقروا اليهم آدم ينظر ايلهم فرأى الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك قال يا رب لولا سويت بين عبادك قال انى أحببت ان أشكر ورأى الانبياء فيهم مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر فى امر سالة والنبوة ان يبلغوها وهو قوله تعالى « واذا اخذنا من النبيين » الاية وهو قوله « فطرة الله التى فطر الناس عليها » وفى ذلك قال « وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين » وفى ذلك قال « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » قال فكان فى علم الله من يكذب به ومن يصدق فكان روح عيسى من تلك الارواح التى اخذ عهدها وميثاقها فى زمن آدم فارسله الله الى مريم فى صورة بشر فمثل لها بشرا سويا قال أبى فدخل فيها انتهى وقد ساق الناظم فى الدر المنثور عدة روايات فى هذا المعنى ولذا قال الناظم قد عوهد الذر فان الله اخرج بنى آدم فى صورة الذر

قَدْ قالَهُ الضَّحاكُ ذو الاحْراز وهُوَ الذى أفتى به البرازى

يعنى انه قال الضحاك يسأل الاطفال عن العهد فى عالم الذر وافتى به البرازى ايضا فى شرح الصدور انه اخرج ابن جرير قال مات ابن للضحاك ابن ستة أيام فقال اذا وضعت ابنى فى لحده فابرز وجهه وحل عقده فان ابنى يجلس ويسأل قلت عما يسأل قال عن الميثاق الذى اقر به فى صلب آدم انتهى .

وَالقُرْطبي والفاكِهانى جزَمَا به وَجَمْعٌ مِنْ كِبار العُلَماء

قال الناظم فى شرح الصدور انه جزم القرطبى بانه يكمل لهم العقل ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه

وَصَرَّحَ ابن يُونُس مِنْ صَحْبِنَا بأنَّهُ يَنْـدِب أنْ يُلقَّنَا

اى انه صرح من ذكرنا انه يلقن الصغير فى قبره كما يلقن الكبير بتلك الالفاظ التى مرت

وَقَالَ فى تَتِمةِ قَـدِيمًا قَدْ لَقَّنَ النَّبي ابراهِيما

ولده صلى لله الذى توفى وله ستة عشر شهرا وهذا خبر لا يوجد له سند

كذاكَ فى تَعْليقهِ القَاضى حَكَى وفى النظَامى وَهو لابن فوركا

المراد بالقاضى القاضى حسين وابن فورك بضم الفاء وسكون الواو فراء فكاف وهو ابوبكر محمد بن الحسن بن فورك العلامه الزاهد المتكلم الاصولى الاصبهانى نزيل نيسابور سمع مسند ابى داود من ابن فارس وغيره وعنه اخذ البيهقى وغيره وكان شديدا على الكرامية وله تآليف جيدة توفى مسموما سنة ٤٠٦ ست واربعمائة هجرية قال الناظم الجلال رحمه الله تعالى

واستغرب السبكى هذا الاثرا قال فى كتبه أصل يرى

اى ان السبكى العلامه الشافعى استغرب ما روى من تلقينه صلى الله عليه وسلم لولده ابراهيم عليه السلام وما ابعده من اثر عن الصحة وينبغى اعادة

ضمير كتبه الى العلم اى ما له فى كتب العلم اصل واما الابله وهو الغافل او الاحمق الذى لا تدبير له أو قليل الفطنة لمذاق الامور او من غلبته سلامة الصدر كما يفيده القاموس فقال الناظم فى الاشارة الى حكمه

وَالفَاكِهِى فى أبله توَقَّفَا وَذِى جُنُون أوْ بِفَتْرة وَفى

اى توقف الفاكهى فى سؤاله الثلاثة وعدمه فالابله لقلة فطنته كانه غير كامل التكليف قلت والاولى ان يقال انه خرج بالبلاهة عن التكليف فهو كالمجنون وان لم يخرج فهو كغيره من المكلفين واما المجنون فينبغى ان يجرى فيه ما جرى فى الاطفال وأما اهل الفترة وهم الذين لم يدركوا النبوة ولا كان عندهم من شرع من قبلهم ما يعرفونه ففيهم الخلاف وهذا مبنى على عموم السؤال للامم الماضية

السَّادسُ المَيْت يَوْمَ الجُمَعَة أوْ لَيْلَة لِسُنَّةٍ مُرْتَفِعَه

اى السادس من الذين لا يسألون من مات يوم الجمعة أو ليلتها لما اخرجه ابو نعيم فى الحلية عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء واخرج حميد فى ترغيبه عن اياس بن بكير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات يوم الجمعة كتب له اجر شهيد ووقى فتنة القبر واخرج من طريق ابن جريح عن عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم أو مسلمة يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة الا وقى عذاب القبر وفتنة القبر ولقى الله ولا حساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له واخرج ابو يعلى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة وقى عذاب القبر واخرج البيهقى عن عكرمة بن خالد المخزومى قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ختم له بخاتم الايماز ووقى عذاب القبر قال الناظم فى شرح الصدور بعد سرده لحديث عطاء هذا حديث لطيف صرح فيه بنفى الفتنة والعذاب معا وقد اجتمع مما ذكرناه جماعة لا يسألون وان عممنا كل شهيد اتسع الامر فان الشهداء اكثر من ثلاثين افردتهم بكراسة

حَسَنٌ ذَاكَ التِّرْمِذِى وَالْبَيهِقِى   وَكَمْ لَهُ مِنْ شَاهِدٍ مُصدق
لَـكِنَّهُ بِنَقْدِهِ الطَّحَاوِى   ضَعَّفَ فِى هَذَا الْحَدِيثِ الرَّاوِى

لم اقف على كلام الطحاوى ولا ذكره الناظم فى شرح الصدور الا انه قال الترمذى بعد اخراجه لحديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة الا وقاه الله عذاب القبر : انه حديث حسن غريب وليس انسناده بمتصل قلت وحديث جابر فيه ابو موسى الرجبى وهو مدنى ضعيف قلت ولم اطلع ايضا على ما افرده فى الشهداء فى كراسة ولكننى كنت نظمتهم قديما فاردت زيادة الافادة هنا بذكرهم فيما تضمناه نقلت .

روى لنا الاثبات عن خير الورى   رسولنا المبعوث من أم القرى
بأنه خص بنيل الفضل جماعة   كالشهدا فاستملى

قولنا « خص » اشارة الى ما ورد فى بعض الاثار ان تعدد اسباب الشهادة خصوصية لهذه الامة ولم يكن فى الامم السابقة شهيد الا القتيل فى سبيل الله خاصة .

من فى سبيل الله قد قضى كذا الغريق والحريق قد قضى

الاول من قتل فى سبيل الله وحديثه اخرجه الشيخان وهو غير مقصود بالنظم لانه انما اريد به ضم من الحق بهذا الشهيد فى أجره وانما اردنا الاستيفاء لعدد الشهداء اصلا وملحقا به اخرج مسلم فى الصحيح ومالك فى الموطأ والترمذى من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل فى سبيل الله قال ان شهداء امتى اذا لقليل قالوا فمن هم يا رسول الله قال من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ومن مات فى البطن فهو شهيد : قال ابو نعيم اشهد على ابيك يعنى أبا صالح انه قال والغريق شهيد هذه رواية مسلم وفى رواية الموطأ والترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء خمسة المبطون والمطعون والغرق وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله

فهؤلاء خمسة واما الحرق فذكره ابن الاثير فى جامع الاصول ولم ينسبه لاحد وهو ثابت فى حديث جابر بن عتيك سيأتى قريبا فالبيت اشتمل على ثلاثة وقولنا « قضى » الاول اى مات « وقضى » الثانى اى حكم وهو جناس تام وقولنا بذلك المختار والمبطون • ومن يجمع وكذا المطعون يتعلق الجار بقوله قضى والمختار فاعله ولا يخفى الجناس بين قضى بمعنى مات وقضى بمعنى حكم وتقدم دليل المبطون والمطعون فهؤلاء خمسة وقوله ومن بجمع بضم الجيم وبكسرها هى المرأة تموت بالنفاس اخرجه النسائى ومن حديث عقبة بن عامر واخرجه ايضا عن صفوان ابن اميه وفيه والنفساء شهادة

وصاحب الهدم وذات الجنب والسل والمحبوس لا لذنب

وهؤلاء أربعة ذكر حديث الذى يموت تحت الهدم وحديث ذات الجنب ابن الاثير فى جامع الاصول وبيض له وذكره الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير من حيدث جابر بن عتيك ونسبه الى مالك واحمد والى داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم واخرجه الشيخان والترمذى من حديث ابى هريرة واما صاحب السل فاخرج ابو الشيخ عن عبادة بن الصامت بلفظ « السل شهادة » واخرجه الطبرانى من حديث سلمان واحمد من حديث انس بن خنيس واما المحبوس بغير ذنب اذا مات فى حبسه فاخرجه ابن منده من حديث على كذلك المقتول دون اهله • أو مات فى حبسه فاخرجه ابن منده من حديث على عليه السلام

كذلك المقتول دون أهله أو دينه أو ماله فاستمله

هؤلاء ثلاثة الاول من قتل دون اهله الى اخره فانه اخرجه الترمذى وابو داود والنسائى من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون اهله فهو شهيد فهؤلاء اربعة الرابع افاده قولنا

او دمه ومن جنى عليه بعيره أو فرس لديه

هذان اثنان واليهما ما يفيده قولنا ، أو لدغة هامة أو من سبع ، له افترس وكذلك من صرع عن دابة اتممه بالشريق ، هؤلاء أربعة الملدوغ بحية أو عقرب أو نحوهما من

اتممه بالشريق . هؤلاء أربعة الملدوغ بحية أو عقرب أو نحوهما ومن افترسه سبع ومن صرعته دابة فهؤلاء الستة اخرج الحديث فيهم الطبرانى فى معجمه الكبير من حديث ابن عباس وعقبه بن عامر . والشريق من غص بريقه (وعاشق عف عن العشيق) اى من مات عشقا وكان عفيفا فانه شهيد اخرجه الديلمى عن ابن عباس والخطيب من حديث ابن عباس وعائشة بسند ضعيف بلفظ « من عشق وعف ثم مات شهيدا » وقال ابن القيم انه يروويه سويد بن سعيد وقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدى فى كامله هذا احد ما انكر على سويد وكذا ذكره البيهقى وابن طاهر فى الذخيرة والتذكرة وابن الجوزى وعده فى الموضوعات قلت والصواب فى الحديث انه من كلام ابن عباس فغلط سويد فى رفعه وقال فى حديث عائشة نحن نشهد الله ان عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وذكر ضعف رفع الحديث من جميع الطريق ثم قال ان صح عن ابن عباس فلا يدخل تحته حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله وهذا لا يكون الا مع قدرته على معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه وهذا من أحق من دخل تحت قوله تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) وتحت (ولمن خاف مقام ربه جنتان)

كذاك من يقتل دون مظلمة　　أو جارة قال به من علمه

هذان شهيدان أخرج الاول النسائى والضياء من حديث سويد بن مقرن وأحمد من حديث ابن عباس واخرج الثانى ابن عساكر من حديث أنس .

ومن أتاه الموت وهو فى الطلب　　للعلم أو عن أهله اغترب

وهذان شهيدان اخرج الاول أبو نعيم والبزار عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وأخرج الثانى ابن ماجة من حديث ابن عباس والدارقطنى وصححه من حديث ابن عمر واخرجه أبو بكر الخرايطى من حديث انس وأبى هريرة والصابونى من حديث جابر والطبرانى من حديث عنترة .

وصاحب الحمى ومن تردى . فى نحو بئر وكذاك الغيرى .

هؤلاء ثلاثة روى الاول منهم الديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس

والثانى أخرجه الطبرانى من حديث عنترة بهذا اللفــظ « المتردى فى نحو بئر والثالثة المرأة الغيرى على زوجها التى تقتلها الغيرة .

ومن نهى عن منكر ومن أمر بالعرف فاحفظ ما اتى به الخبر

هذا أخرجه ابن عساكر من حديث على عليه السلام :

وسائل بصدق بالشهادة ومن أتى بهذه العبـادة

سائل اشلهادة أخرجه مسلم بلفظ « من سأله الله الشهادة بصدق بلغة الله منازل الشهداء أخرجه من حديث أنس وقوله بهذه العبادة فسرها قوله .

ثلاث منه كل شهر . محافظا على الضحى والوتر أخرجه أبو نعيم من حديث ابن عمر بلفظ من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام فى كل شهر ولم يترك الوتر فـــى حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد . قال الناظم جلال الدين رحمه الله :

ومستعيذ فى الصباح والمسا ثلاث مرات وكان دارســا
ثلاث آيــات ختمن الحشرا وأنس لم يرو الا الــذكرا

أخرجه الديلمى والترمذى عن معقل بن يسار بلفظ « من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر فانه اذا مات من ليلته أو يومه مات شهيدا » وقوله وانس لم يرو الا الذكرا اشارة الى ماأخرجه الخرائطى عن انس بلفظ « من قرأ آخر سورة الحشر » الحديث .

ومن على ظهر الجواد قد مضى مرابطا أو واضيا حال القضا

الاول أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة والثانى أخرجه الآجرى عن أنس .

وقال من فى مرض المنون ماقال ذو النون ببطن النون

المنون بفتح الميم اى الموت ومنه « نتربص به ريب المنون » وذو النون هــو نبى الله يونس بن متى عليه السلام والنون الحوت والــذى قاله هو ما حكاه الله

من قوله : لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين .

كرره فى العد أربعينـــــا وآخر المنقول ما روينــــا

وهذا الحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك من حديث سعد بن ابى وقاص وقولـــه :

مؤذنا أذن باحتســـــاب وفقنا الله الى الصـــواب

مفعول ثان لقوله روينا وحديثه أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ..

وصل يارب على محمـــد والآل والاصحاب أهل الرشد

انتهت الابيات التى جمعنا فيها الشهداء ولنعد الى شرح الابيات الاصلية قال الناظم رحمه الله تعالى :

السابع القــارىء كل ليلة تبارك الملك يريد نيلـه
ففيه أخبار ذوات عـــده وبعضهم ضم اليه السجده

أخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجـــه وابن الضريس والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان سورة من كتاب الله ماهى الا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له . تبارك الذى بيده الملك وأخـــرج الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه والضياء فى المختارة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة فى القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة . تبـــارك الذى بيده الملك وأخرج الترمذى والحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباه على قبر وهو لا يحسب انه قبر انسان يقرأ سورة (الملك) حتى ختمهـــــا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجيه تنجيه من عذاب القبر قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك هى

المانعة من عذاب القبر » وأخرج ابن مردويه عن رافع بن خريج وأبى هريرة رضى الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « نزلت على سورة تبارك وهى ثلاثون آية جملة واحدة وهى المانعة فى القبور وأخرج أحمد فى مسنده واللفظ له والطبرانى والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس انه قال لرجل الا اتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال « قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له ان تنجيه من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت انها فى قلب كل انسان من أمتى .وأخرج ابن الضريس والطبرانى والحكم وصححه والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن مسعود قال يؤتى الرجل فى قبره فيؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه ليس لكم على ما قبلى من سبيل قد كان يقرأ بى سورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه ليس لكم على ما قبلى من سبيل قد كان يقرأ بى سورة الملك فهى المانعة تمنع من عذاب القبر وهى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد اكثر واطيب وفى هذا المعنى أحاديث وآثار أودعها الناظم الدر المنثور أما قوله « وبعضهم ضم اليه السجدة » فانه أخرج الدارمى فى مسنده عن خالد بن معدان قال بلغنى « ان آلم تنزيل تجادل عن صاحبها فى القبر تقول ان كنت من كتابك فشفعنى فيه وان لم أكن من كتابك فامحنى منه وانها تكون كالطير تجعل جناحيها عليه فتشفع له وتمنعه من عذاب القبر وفى تبارك مثله وكان خالد لا يزال يقرأهما وأخرج هو والترمذى عن جابر رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ تنزيل السجدة وتبارك .

واعلم انه قد استفيد من هذا أن سؤال منكر ونكير من عذاب القبر فانه استثنى الناظم هؤلاء السبعة واستدل لهم بأدلة دلت على عدم عذاب القبر فلنذكر الحديث الجامع لخلال من الخير دافعة لعذاب القبر قال ابن القيم فى كتاب الروح وقد جاء فيما ينجى من عذاب القبر حديث فيه الشفاء رواه أبو موسى المدينى وبنى عليه فى كتابه الترغيب والترهيب وجعله شرحا رواه من حديث ابى الفرج بن فضالة قال حدثنا هلال أبو صلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة

قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى صفة فى المدينة فقام علينا فقال انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره بوالديه فرد ملك الموت عنه ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاء وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فطرد الشياطين عنه ورأيت رجلا من أمتى احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من ايديهم ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما دنى من حوض منع منه وطرد فجاء صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتى والنبيون قعود حلقا حلقا كلما قعد الى حلقة طرد فجاء غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده الى جنبى ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ورأيت رجلا من أمتى يتقى بوجهه وهج النار وشرره فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظلل على رأسه ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يامعشر المسلمين انه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه الميرمنون وصافحوه وصافحهم ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ايديهم فأدخله فى ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله عز وجل ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه ورأيت رجلا من أمتى خف ميزانه فجاء أفراطه فثقلوا مزانه ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى بكى بها من خشية الله تعالى فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله فسكن روعته ومضى ورأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط ويحبوا أحيانا فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه وأنقذته ورأيت رجلا من أمتى انتهى الى أبواب السماء فغلقت الابواب دونه فجاءت شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وأدخلته

الجنة . قال ابو موسى المدينى هذا حديث حسن جدا ثم قال ابن القيم وسمعت شيخ الاسلام يعنى ابن تيمية يعظم أمر هذا الحديث وقال أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الاحاديث انتهى كلامه وقد تقدم ان قراءة قل هو الله أحد فى مرض الموت أمان تدفع من فتنة القبر ولفظه عنه صلى الله عليه وسلم « انه من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن ضغطة القبر الحديث ذكره القرطبى بلفظ روى من حديث ابن العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير وفى شرح الصدور انه أخرج الاصبهانى فى الترغيب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين فى ليلة الجمعة يقرأ فى كل واحدة منهما فاتحة الكتاب واذا زلزلت الارض خمسين مرة هون الله عليه سكرات الموت وأعاذه من عذاب القبر ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة وفى شرح الصدور ان من قال كل يوم لا اله الا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة أمن من فتنة القبر هذا معناه لا لفظه

ثم قال الجلال الناظم رحمه الله تعالى

« سؤال الكافر واطفال المشركين »

قال عبد البر فيما نقلوا — الكافر الصريح ليس يسأل
وانما السؤال للمنافق — منهم كما دل حديث الصادق
والقرطبى خالف وابن القيم — والارجح الاول عندى فافهم
والوقف عن سؤال طفل المشرك — يقال عن ابى حنيفة حكى

تقدم انه قال ابن عبد البر ان الآثار دالة على انه لا يكون السؤال الا لمؤمن أو منافق واما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه قال ابن القيم بعد نقله لكلام ابن عبد البر ما لفظه القرآن والسنة يدل على خلاف هذا القول وان السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » وقد ثبت فى

الصحيح انها نزلت فى عذاب القبر حين يسأل من ربك وما دينك ومن نبيك وفى الصحيحين عن انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا وضع العبد فى المنافق والكافر فيقال له ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ويصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين هكذا فى البخارى وأما المنافق والكافر بالواو انتهى قلت وذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى بعد ذكره لحديث البخارى هذا مالفظه قوله وأما المنافق والكافر كذا فى هذه الطرق بواو العطف وتقدم فى باب خفق النعل بها وأما الكافر والمنافق بالشك وفى رواية أبى داود وان الكافر اذا وضع وكذا لابن حبان من حديث ابى هريرة وكذا فى حديث البراء الطويل وفى حديث أبى سعيد عند احمد وان كان كافرا أو منافقا بالشك وله فى حديث أسماء وان كان كافرا وفاجرا وفى الصحيحين من حديثها وأما المنافق والمرتاب وفى حديث جابر عند عبد الرزاق وحديث أبى هريرة عند الترمذى وأما المنافق وفى حديث عائشة عن احمد وأبى هريرة عند ابن ماجه وأما الرجل السوء وللطبرانى من حديث ابى هريرة وان كان من اهل الشك فاختلفت هذه الروايات لفظا وهى مجتمعة على ان كلا من الكافر والمنافق يسأل ففيه رد على من زعم ان السؤال انما يقع على من يدعى الايمان ان محقا وان مبطلا مستندهم فى ذلك مارواه عبد الرازق من طريق عبيد بن عمر أحد كبار التابعين قال انما يفتن رجلان مؤمن ومنافق واما الكافر فلا يسأل عن محمد ولا يعرفه وهذا موقوف والاحاديث الدالة على ان الكافر يسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة فهى اولى بالقبول وجزم الترمذى الحكيم بان الكافر يسأل ثم ذكر الحافظ ابن حجر كلام ابن القيم الذى تعقب به كلام ابن عبد البر وقدره والعجب من الحافظ السيوطى هنا رجح فى ابياته كلام ابن عبد البر والدليل قائم على خلاف كلام ابن عبد البر فقال فى شرح الصدور ان ما قاله القرطبى وابن القيم ممنوع وانه لم يجمع بينهما فى شىء من الاحاديث وانما ورد فى بعضه ذكر المنافق وفى بعضها ذكر الكافر وهو محمول على ان المراد به المنافق بدليل قوله فى حديث اسماء وأما

المرتاب أو المنافق ولم يذكر الكافر اه وقد عرفت من كلام الحافظ ابن حجر انه ورد الجميع بينهما فى الفاظ احاديث كما نقلناه . **فصل فى اسم الملكين وصفتهما** قال الجلال السيوطى :

اذا تولى الناس من بعد الدفن ردت اليه روحه الى البدن

فى القاموس دفنه ستره وواراه فى كلام الناظم ان رد الروح بعد دفنه وظاهر الفاظ الاحاديث انه ترد اليه الروح قبل دفنه ففى شرح الصدور باب معرفة الميت من يغسله ويجهزه وسماعه ما يقال فيه ثم قال انه اخرج ابن ابى الدنيا فى القبور عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ميت يوضع على سريره فيخطى به ثلاث خطا الا يتكلم بكلام يسمعه الله من يشاء الا الثقلين الجن والانس يقول يا اخوتاه يا اخوتاه ويا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتنى ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بى خلفت ما تركت لورثتى والديان يوم القيامة يخاصمنى ويحاكمنى وانتم تشيعونى وتدعونى واخرج الشيخان عن ابى سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدمونى قدمونى وان كانت غير صالحة قالت ياويلها اين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق وأخرج احمد وابن ابى الدنيا والطبرانى فى الاوسط والمروزى وابن منده عن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الميت يعرف من يغسله ويحمله ويكفنه ومن يدليه فى حفرته وظاهر هذه الاحاديث عود الروح اليه فى هذا الحال قبل دفنه الا انه اخرج ابن ابى الدنيا عن بكر بن عبد الله المزنى قال بلغنى انه ما من ميت يموت الا وروحه فى يد ملك الموت فهم يغسلونه ويكفنونه وهو يرى ما يصنع اهله واخرج البيهقى عن حذيفة قال ان الروح بيد ملك الموت والجسد يقلب فاذا حملوه تبعهم فاذا وضع فى القبر بثه فيه الا ان الاول غير مرفوع والمزنى تابعى والثانى موقوف فان صحت هذه قيد بها احاديث انه يعرف من يغسله وانه يتكلم فوق نعشه الروح فقط وتم قول الناظم ردها بعد الدفن

وكله يحيا لدى الجمهور لاجزؤه الظاهر للمأثور

الاحاديث وردت بانه تعود اليه روحه ويقعد فى قبره ويخاطب وهى ظاهرة فى انها حياة كاملة لجميع اجزائه ونقل الناظم فى شرح الصدور عن فتاوى الحافظ ابن حجر انه سئل هل يقعد الميت حين يسأل وهو نائم فاجاب بانه يقعد قال لكن ظاهر الخبر ان الروح تحل فى نصفه الاعلى اه ولا اعرف الخبر الذى اشار اليه قال ابن القيم الاحاديث مصرحة باعادة الروح الى البدن لكن هذه الاعادة لا تحصل بها الحياة المعهودة التى تقوم بها الروح ويحتاج معها الى الطعام ونحوه وانما يحصل بها للبدن حياة اخرى يحصل بها لامتحان بالسؤال وكما ان حياة النائم وهو نائم غير حياة المستيقظ فان النوم اخو الموت ولا ينفى عن النائم اطلاق الحياة فكذلك حياة الميت عند الاعادة غير حياة الحى وهى حياة لاتنفى عنه اطلاق اسم الميت بل أمر متوسط بين الحياة والموت كما ان النوم متوسط بينهما ولا دلالة فى الحديث فى انها حياة مستقرة وانما تدل على تعلق ما لها بالبدن وهى لا تزال متعلقة به وان بلى وتمزق وقال ابن تيمية الاحاديث متواترة على عودة الروح الى البدن وقت السؤال وسؤال البدن بلا روح قول طائفة منهم ابن الزعوانى وحكى عن ابن جرير وانكره الجمهور وقال بل هم اخرون فقالوا السؤال للروح بلا بدن قال ابن حزم واخرون منهم ابن عقيل وهو غلط والالم يكن للقبر بذلك اختصاص انتهى قلت الاحاديث كما قاله ابن تيمية دالة على انه يعاد الروح الى البدن ثم يسأل فالسؤال للروح فى البدن

(فصل فى صفات منكر ونكير)

وجاء فى المنكر والنكير وصفهما بين الورى شهير

هكذا فيما رأيناه من الابيات ويحسن ان تكون القافية مقيدة فيوقف بالسكون على الراء فيهما والا كان لحنا لان شهير خبر وصفهما وتسمية الملكين بما ذكر ثبت فى حديث انس مرفوعا ومنكر بفتح الكاف اسم مفعول قال الحكيم الترمذى وسميا منكرا ونكيرا لان خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع ليس فى خلقهما أنس للناظرين انتهى

الجعد بفتح الجيم فى النهاية الجعد فى صفات الرجال يكون مدحا وذما فالمدح معناه ان يكون شديد الاسر والخلق أو يكون جعد الشعر وهو ضد السبط لان السبوطة اكثرها فى شعور العجم اه ولفظ جعدان فى وصف الملكين اخرجه ابن المبارك فى الزهد وابن ابى شيبة والآجرى من حديث أبى الدرداء وفيه « فجاءك ملكان ازرقان جعدان » الحديث وكأن المراد والله أعلم شدة الخلق وأما قوله اسودان ازرقان فانه أخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قبر الميت أو قال - أحدكم - أتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير الحديث واما قوله شعرهما تسحبه الرجلان فانه فى حديث تميم الدارى الذى اخرجه ابو يعلى وابن ابى الدنيا وساقه الناظم فى شرح الصدور بطوله وفيه « فيبعث الله ملكين ابصارهما كالبرق الخاطف واصواتها كالرعد القاصف وانيابهما كالصياصى وانفاسهما كاللهب يطآن فى اشعارهما بين منكبى كل واحد منهما مسير كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة الا بالمؤمنين يقال لهما منكر ونكير فى يد كل واحد مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها الحديث وقد عرفت صحة قوله

صوتهما كمثل رعد قاصف　　والعين تروى مثل برق خاطف
أو كقدور هى من نحاس　　أو كاللهيب مشبه الانفاس

واخرج البيهقى فى كتاب عذاب القبر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنت يا عمر اذا انتهى بك الى الارض فحفر لك ثلاثة اذرع وشبر فى عرض ذراع وشبر ثم أتاك منكر ونكير أسودان يجران اشعارهما كأن اصواتهما الرعد القاصف وكأن اعينهما البرق الخاطف يحفران الارض بانيابهما فاجلساك فزعا فتلتلاك وتوهلاك قال يا رسول الله وانا يومئذ على ما أنا عليه قال نعم قال اكفيكهما باذن الله تعالى واخرج ابن ابى الدنيا فى البعث والحاكم فى التاريخ والبيهقى فى عذاب القبر عن عمر بن الخطاب قال قال لى

فيستوى جالسا فى قبره فتسقط اكفانه فى حفرته فيقولان من ربك وما دينـــك ومن نبيك الحديث فقول الناظم سليبا يعنى مسلوبا عن كفنه وهو منتصب عـــلى الحالية ممن يسألانه أو من يقعدانه

وثرثــراه ثـم تلتـــلاه ووهــلاه ثـم هــولاه

ثرثراه بالمثلثة والراء مكررا فى القاموس الثرثارة والثرى التفريق والتبديـــد كالثرثرة والتلتله بالمثناة الفوقيه واللام مكررة فيها التحريك والاقلاق والزعزعة والزلزلة وفيه وهله توهيلا فزعه وفيه هوله فاهتـــال افزعه اخرج البيهقى فى كتاب عذاب القبر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيـف انت ياعمر اذا انتهى بك الى الارض فحفر لك ثلاثة اذرع وشبر فى ذراع وشبر ثم أتاك منكر ونكير اسودان يجران اشعارهما كأن اصواتهما الرعد القاصف وكأن اعينهما البرق الخاطف يحفران الارض بانيابهما فاجلساك فزعا فتلتلاك وتوهلاك قال يا رسول الله وانا يومئذ على ما أنا عليه قال نعم قال اكفيكهما بامر الله

وكرر سـؤاله فى المجلس ثلاث مرات بـــلا تأنس

قد اتى فى بعض الروايات ذكر هذا التكرير قال الناظم فى شرح الصدور فى رواية انه يسئل فى المجلس الواحد ثلاث مرات وباقى الروايات فى ذلك مطلقة فالمطلق يحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص

وهى اشد فتنة يلقاهـــا العبد طوبى للذى يوفاها

اى ان فتنة القبر اشد فتنة يلقاها العبد وقد ثبت بهذا اللفظ فى حديث مرفوع واخرجه جويبر فى تفسير عن الضحاك عن ابن عباس وفيه انه يقول له الملك ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقول من نبيك قال محمد فيقولان وما يدريك قال قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت وينتهرانه عندها وهى اشد فتنة تعرض عـــلى المؤمن فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوه من فرش الجنة واكسـوه من كسوتها وطيبوه من طيبها وافسحوا له فى قبره مد البصر والجواب سيأتى

يبدو له هنالك الشيطان يومى اليه قاله سـفيان

يشير الى ما اخرجه الحكيم عن سفيان الثورى قال اذا سئل المؤمن من ربـــك تراءى له الشيطان فى صورة فيشير الى نفسه انى ربك : قال الحكيم ويؤيده من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم عند الدفن : اللهم اجره من الشيطان فلو لم

يكن للشيطان هناك سبيل لما دعا له قلت يشير الى الحكيم الى ما اخرجه ابن ماجه والبيهقى فى سننه قال حضرت ابن عمر فى جنازة فلما وضعهافى القبر قال بسم الله وفى سبيل الله فلما اخذ فى تسوية اللحد قال أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر فلما سوى الكثيب عليها قام جانب القبر ثم قال اللهم جاف الارض عن جنبيها واصعد بروحها ولها منك رضوانا ثم قال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج الحكيم عن عمرو بن مرة قال كانوا يستحسنون اذا دفنوا الميت يقولوا اللهم اعذه من الشيطان الرجيم

وليس عن غير اعتقاد يسأل أتى بهذا خبر متصل

قال القرطبى اختلفت الاحاديث فى كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب الاشخاص فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسأل عن كلها ويحتمل ان يكون الاختصار على بعض من بعض الرواة واتى به غيره تاما قال الحافظ عقبه ما لفظه قلت الثانى هو الصواب لاتفاق اكثر الاحاديث عليه نعم يؤخذ منها خصوصا وان رواية أبى داود عن أنس فما يسأل عن شىء بعدها ولفظ ابن مردويه فما يسأل عن شىء بعدها غيرها انه لا يسأل عن شىء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح فى رواية البيهقى عن طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا الاية قال الشهادة يسألون عنها فى قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمه ما هو قال يسألون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والامر بالتوحيد اه واعلم ان الناظم رحمه الله تعالى وجزاه الله خيرا لم يتعرض لذكر جواب الميت وما يتفرع على جوابه فرأيت من تمام الافادة فى شرح كلامه توفية نظامه بنظم ما يقع من الاموات من الجواب وما يتفرع عنه من الثواب والعقاب فقلت

فصل

فصل فان ثبته رب السما قال جوابا نافعا عندهما
وجاءه القرآن والصلاة والصوم والصلاة والطاعات
عنه تجادلنا وفيه تشفع فيصرف الشر وعنه يمنع

اخرج البزار عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان البيت الذى يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور يقتدى بها اهل السماء كما يقتدى بالكوكب الدرى فى لجج البحار وفى الارض القفر فاذا مات صاحب القرآن رفعت تلك الخيمة فتنظر الملائكة من السماء فلا يرون ذلك النور فتلقاه الملائكة من سماء الى سماء تصلى الملائكة على روحه فى الارواح ثم تستغفر له الى يوم يبعث وما من رجل تعلم كتاب الله ثم صلى ساعة من ليل الا اوصت به تلك الليلة الماضية الليلة المستأنفة ان تنبهه بساعته وان تكون عليه حفيفة واذا مات وكان اهله فى جهازه جاء القرآن فى صورة حسنة جميلة فوقف عند رأسه حتى يدرج فى اكفانه فيكون القرآن على صدره دون الكفن فاذا وضع فى قبره وسوى عليه وانصرف عنه اصحابه اتاه منكر ونكير فيجلسانه فى قبره فيجىء القرآن فيكون بينه وبينهما فيقولان اليك حتى نسأله فيقول لا ورب الكعبة انه لصاحبى وخليلى فلست اخذله على حال فان كنتما امرتما بشىء فامضيا لما أمرتما ودعانى مكانى فانى لست افارقه حتى ادخله الجنة ثم ينظر القرآن الى صاحبه فيقول انا القرآن الذى كنت تجهر بى وتخفينى فانا حبيبك ومن احببته احبه الله ليس عليك بعد مسألة منكر ونكير هم ولا حزن فيسأله منكر ونكير ويصعدان ويبقىهو والقرآن فيقول لافرشنك فراشا لينا ولادثرنك دثارا حسنا جميلا كما سهرت ليلك وأنصبت نهارك فيصعد القرآن الى السماء أسرع من الطرف فيسأل الله ذلك فيعطيه ذلك فينزل به الف ملك من مقربى السماء السادسة فيجىء القرآن فيحييه فيقول هل استوحشت ما زلت منذ فارقتك ان كلمت الله تعالى حتى اخذت لك فراشا ودثارا وجئتك به فقم حتى تفرشك الملائكة فتنهضه الملائكة انهاضا لطيفا ثم يفسح له فى قبره اربعمائة عام ثم يوضع له فراش بطانه من حرير اخضر وحشوه المسك الاذفر وتوضع له مراقى عند رجليه ورأسه من السندس والاستبرق ويسرج له

سراجان من نور عند رأسه ورجليه يزهران الى يوم القيامة ثم تضجعه الملائكة على شقه الايمن مستقبل القبلة ثم يؤتى بياسمين الجنة ويصعد عنه ويبقى هو والقرآن حتى يبعث الحديث قال فى شرح الصدور انه حديث غريب فيه جهالة وانقطاع وورد بهذا اللفظ بطوله من حديث عبادة بن الصامت واخرج هنا فى الزهد وابن ابى شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبرانى فى الاوسط وان حبان فى صحيحه وابن مردويه والحاكم والبيهقى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان الميت اذا وضع فى قبره انه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عن يمينه والصوم عن شماله وفعل الخيرات والمعروف والاحسان الى الناس من قبل رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس قبلى مدخل فيؤتى عن يمينه فيقول الزكان ليس قبلى مدخل فيؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات والمعروف والاحسان الى الناس ليس قبلى مدخل فيقال له اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس قد قربت من الغروب فيقال له اخبرنا عما نسألك فيقول دعونى حتى اصلى فيقال انك ستفعل فاخبرنا عم نسألك فيقول عم تسألونى فيقال ما تقول فى هذا الرجل الذى كان فيكم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول اشهد انه رسول الله جاءنا بالبينات والهدى من عند ربنا وصدقنا واتبعنا فيقال له صدقت على هذا حييت وعلى هذا مت وعليه تبعث ان شاء الله ويفسح له فى قبره مد بصر فذلك قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة » ويقال افتحوا له بابا الى النار فيفتح له باب الى النار فيقال له هذا منزلك لو عصيت الله فيزداد غبطة وسرورا فيعاد الجسد الى ما يرى منه من التراب وتجعل روحه فى النسيم الطيب وهى طير خضر تعلق فى الجنة واخرج ابن ابى الدنيا فى المستجار وابن الضريس فى فضائل القرآن وابن زنجوبة فى فضائل الاعمال عن عبادة بن الصامت قال اذا قام احدكم من الليل فليجهر بقراءته فانه يطرد بقراءته الشيطان وفساق الجن وان الملائكة الذين هم فى الهوى وسكان الدار يستمعون لقراءته ويصلون لصلاته فاذا مضت هذه الليلة أوصت تلك الليلة المستأنفة فتقول نبهيه لساعته وكونى عليه خفيفة فاذا حضرته الوفاة جاء القرآن فوقف عند رأسه وهم يغسلونه فاذا فرغ

منه دخل القرآن حتى صار بين صدره وكفنه فاذا وضع فى حفرته وجاء نكير ومنكر خرج القرآن وكان بينه وبينهما فيقولان له اليك عنا فانا نريد ان نسأله فيقول والله ما أنا بمفارقه حتى ادخله الجنة فان كنتما امرتما فيه بشيء فشأنكما ثم ينظر اليه فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا القرآن الذى كنت اسهر ليلك واظمى نهارك وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك فستجدنى من بين الاخلاء خليل صدق ومن الاخوان اخا صدق فابشر فما عليك من بعد مسألة منكر ونكير من هم ولا حزن فيصعد القرآن الى ربه تعالى فيسأله له فراشا ودثارا فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة وياسمين من ياسمين الجنة فيحمله الف ملك من مقربى سماء الدنيا فيسبقهم القرآن اليه فيقول هل استوحشت بعدى ما زدت ان فارقتك على ان كلمت الله تعالى فى فراش ودثار ومصباح فهذا قدجئتك به فتدخل عليه الملائكة فيحملونه ويفرشونه ذلك ويضعون الدثار تحت رجليه والياسمين عند صدره ثم يحملونه حتى يضعونه على شقه الايمن ثم يصعدون عنه فيلقى عليه فلا يزال ينظر الى الملائكة حتى يلجوا السماء ثم يدفع القرآن فى قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء الله ان يوسع » الحديث كحديث معاذ قال الحافظ ابو موسى المدينى هذا خبر حسن رواه احمد بن حنبل وابن ابى حثمة وطبقتهما من المتقدمين عن ابن عبد الرحمن بسنده الى عبادة وقد اخرجه العقيلى فى الضعفاء وابن الجوزى فى الموضوعات من وجه اخر عن عبادة مرفوعا وقال لا يصح واخرج ابن ابى الدنيا فى ذكر الموت وابو يعلى من طريق يزيد الرقاشى عن انس عن تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله لملك الموت انطلق الى وليى فأتنى به فانى قد جربته فى السراء والضراء فوجدته حيث احب فأتنى به لأريحه من غموم الدنيا وهمومها فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم اكفان وحنوط من حنوط الجنة ومعهم صنابر الريحان اصل الريحانة واحد وفى رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الابيض فيه المسك الاذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتوشه الملائكة ويضع كل ملك يده على عضو من اعضائه ويبسط ذلك الحرير الابيض الاذفر تحت ذقنه ويفتح له باب الى الجنة فان

نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة مرة بازواجها ومرة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبى اهله اذا بكى فان ازواجه لتبتهش عن ذلك ابتهاشا وتنزو الروح نزوا ويقول ملك الموت اخرجى ايتها الروح الطيبة الى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب ولملك الموت اشد تعطفا به من الوالدة بولدها يعرف ان ذلك الروح حبيب الى ربه كريم على الله فهو يلتمس بلطفه تلك الروح رضى الله تعالى فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين وان روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وذلك قوله تعالى « الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قال روح من جهد الموت وريحان يتلقى به عند خروج نفسه وجنة نعيم امامه فاذا قبض ملك الموت روحه تقول الروح للجسد جزاك الله خيرا لقد كنت بى سريعا الى طاعة الله تعالى بطيئا عن معصيته فهنيئا لك اليوم فقد نجوت وأنجيت ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتبكى عليه بقاع الارض التى كان يطيع الله عليها وكل باب من ابواب السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه اربعين ليلة فاذا قبضت الملائكة روحه قامت الخمسمائة الملك عند جسده ولا تقلبه بنوا آدم لشق الا قلبته الملائكة مثلهم وعلته باكفان قبل اكفانهم وحنوط قبل حنوطهم ويقوم من باب بيته الى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار ويصيح ابليس عند ذلك صيحة يتصدع منها بعض عظام جسده ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون ان هذا كان معصوما فاذا صعد ملك الموت بروحه الى السماء يستقبله جبريل فى سبعين الف من الملائكة كلهم يأتيه بشارة من ربه فاذا انتهى ملك الموت الى العرش خرت الروح ساجدة لربها فيقول الله لملك الموت انطلق بروح عبدى فضعه فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب فاذا وضع فى قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه وجاء الصيام فكان عن يساره وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه وجاء مشيه الى الصلاة فكانت عند رجليه وجاء الصبر فكان ناحية القبر ويبعث الله عنقا من العذاب فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة وراءك والله ما زال

دائبا عمره كله وانما استراح الان حين وضع فى قبره فيأتيه عن يساره فيقـــول
الصيام مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد له مساغا الا وجـد
ولى الله قد احرزته الطـــاعة فخرج عنه العذاب عندما يرى ويقــول الصبر
لسائر الاعمال اما انه لم يمنعنى ان اباشره بنفسى الا انى نظرت ما عندكم فلـــو
عجزتم كنت انا صاحبه فاما اذا أجزأتم عنه فأنا ذخرا له عند الصراطوذخرا لهعند
الميزان ويبعث الله ملكين اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف
وانيابهما كالصياصى وانفاسهما كاللهب يطآن فى اشعارهما بين منكبى كل واحد
منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة الا بالمؤمنين يقال لهمـــا
منكر ونكير وفى يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوهـــا
فيقولان له اجلس فيستوى جالسا فى قبره فتسقط اكفانه فى جقوبـه فيقولان له
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله وحده لا شريك له ودينى الاسلام
ومحمد نبيى وهو خاتم النبيين فيقول له صدقت فيدفعان القبر فيوسعانه من بـــين
يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن قبل رجليه ثم يقولان له انظر فوقك
فينظر فاذا هو مفتوح الى الجنة فيقولان هـــذا منزلك يا ولى الله لما اطعت الله
فوالله الذى نفس محمد بيده انه ليصل الى قلبه فرحة لا ترتد ابدا فينظر تحته
فاذا هو مفتوح الى النار فيقولان يا ولى الله نجوت من هذا فوالله الذى نفســـى
بيده انه ليصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترد أبدا ويفتح له سبعة وسبعون بابـا
الى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله من قبره اه قوله ضباير بضاء معجمة
وموحدة آخره راء قال فى النهاية هى الجماعة فى تفرقة واحدتها ضباره بكسر اوله
مثل عماره وعمائر وكل مجتمع ضبايره وقوله بطرف الجنة بضم الطاء المهملـــة
وفتح الراء وفاء جمع طرفه وهى المستحدث من المال كالطريف والمطارف وهـــو
خلاف التليد والتالد وقوله يبتهش فى النهاية يقال للانسان اذا نظر الى شىء فاعجبه
واشهاه واسرع اليه قد بهش اليه وفى الصحاح بهش اليه يبتهش بهشـــا اذا
ارتاح اليه وخوله وقوله تنزو الروح نزوا فى الصحاح قلبى ينزو الى كـــذا اى
ينازع اليه ويسرع فيثب اليه وفى النهاية نحوه وقوله عنقا من النار اى طائفة من

العذاب وتقدم تفسير الصياصى والاحاديث فى الباب واسعة وجواب ان الشرطية قولنا قال جوابا نافعا عندهما ثم انه لما اجمل السيوطى فى بيان جواب المؤمن وفيما يأتيه من ربه تبارك وتعالى وان عمله الصالح يأتيه لتـأنيسه فى قبره بيناه بنظمنا فى قولنا يقول الى آخره فهو بدل من قولنا قال جوابا الخ

يقول ربى الله ثم احمد نبينا بلغنا ما يرشد
قد جاءنا بالبينات والهدى ثم ينادى حبذا ذاك الندا
من قبل الرب بأن قد صدقا فأفرشوا فى قبره النمارقا
ثم افسحوا فى القبر مد البصر وليفتحوا بابا له للنظر
ينظر منه فى الجنان منزله ياحبذا من منزل اعد له
وألبسوه خير ما ملبوس ثم ينام نومة العروس
والرجل الصالح هو العمل يأتيه فى مدفنه ويدخل
يأتيه بالوجه الذى للخير يجىء فيه الانس للمقبور

اخرج احمد وابو داود فى السنن والحاكم فى المستدرك وابن ابى شيبة فى المصنف والبيهقى فى عذاب القبر والطياسى وعبد فى مسنديهما وهناد بن السرى فى الزهد وابن جرير وابن ابى حاكم وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب وقد قدمناه وفيه . فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول ربى الله فيقولان ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقول ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو محمد رسول الله فيقولان وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا بابا له الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول عملك فيقول رب أقم الساعة حتى ارجع الى أهلى ومالى واخرج احمد والبيهقى بسند صحيح عن عائشة وفيه واما فتنة القبر فى

تقنون وعنى تسئلون فاذا كان الرجل الصالح اجلس فى قبره غير فزع ولا مشفوق ثم يقال فيم كنت فيقول فى الاسلام فيقال ما هذا الرجل الذى كان فيكم فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله وصدقنا فتفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر الى ما وقاك الله منه ثم تفرج له فرجة الى الجنة فينظر الى زهرتها وما فيها فيقال هذا مقعدك منها على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله واخرج ابن جرير وابن ابى حاتم والبيهقى فى عذاب القبر عن ابن عباس فاذا دفن فى قبره فيقال له من ربك فيقول ربى الله فيقال من رسولك فيقول محمد فيقال ما شهادتك قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » فيوسع له فى قبره مد بصره واخرج ابن جرير والطبرانى والبيهقى فى عذاب القبر عن ابن مسعود قال ان المؤمن اذا مات أجلس فى قبره فيقال من ربك وما دينك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد فيوسع له فى قبره ويفرج له ثم قرأ « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » الاية واخرج ابن ابى حاتم والطبرانى فى الاوسط وابن منده عن أبى قتادة الانصارى قال ان المؤمن اذا مات اجلس فى قبره فيقال له من ربك فيقول الله فيقال له من نبيك فيقول محمد بن عبد الله فيقال له ذلك ثلاث مرات ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلك لو زغت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال انظر الى منزلك فى الجنة واخرج ابن مردويه عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « يثبت الله الذى آمنوا بالقول الثابت » قال هو المؤمن فى قبره عند محنته يأتيه ممتحنان فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربى ودينى الاسلام فيقولان ثبتك الله لما يحب ويرضى ويفسحان له فى قبره مد بصره ويفتحان له بابا الى الجنة ويقولان نم قرير عين نومة الشاب النائم الآمن فى خير مقيل وفيه نزلت اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا قلت لم يذكر فى هذه الرواية جوابه عن قولهما ومن نبيك اما انه سقط من النساخ او انه اكتفى بكون دينه الاسلام عن ذلك لان من دينه الاسلام فنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذكره فى الروايات الاخر تفصيلا لذلك واخرج جويبر فى تفسيره عن ابن عباس

وفيه انه اذا تولى عنه من دفنه فانه يأتيه املاك ثلاثة ملكان من ملائكة الرحمة وملك من ملائكة العذاب وقد اكتنفه عمله الصالح والصلاة عند رجليه والصيام عند رأسه والزكاة عن يمينه والصدقة عن يساره والبر وحسن الخلق على صدره فكلما أتاه ملك العذاب من ناحية ذب عنه عمله الصالح فيتولى بمرزبة لو اجتمع عليها اهل منى لم يقلوها فيقول ايها العبد الصالح لولا ما اكتنفك من الصلاة والصوم والصدقة والزكاة لضربتك بهذه المرزبه ضربة يشتعل قبرك منها نارا هو لكما وانتما له فيصعد ملك العذاب فيقول احدهما لصاحبه ارفق بولى الله فانه قد جاء من هول شديد فيقول من ربك فيقول الله فيقول ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقال من نبيك فيقول محمد فيقولون وما يدريك قال قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت وينتهرانه عندها وهى اشد فتنة على المؤمن فينادى من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من فرش الجنة واكسوه من كسوتها وطيبوه من طيبها وافسحوا له فى قبره مد البصر وافتحوا له بابا من ابواب الجنة عند رأسه وبابا عند رجليه ثم يقولان له نم نومة العروس فى حجابها فان قلت فى الاحاديث انه يأتيه ملكان وهى اكثرها وفى بعضها ملك واحد وفى بعضها ثلاث كما هنا قلت قال القرطبى فى التذكرة انه لا تعارض بين الاحاديث فى ذلك بل ذلك بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا عند انصراف الناس ليكون اهول فى حقه واشد بحسب ما اقترف من الآثام واخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه تخفيفا عليه لحصول انسه بها واخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه واقل لمراجعته لما قدمه من العمل الصالح قال ويحتمل ان يأتى الاثنان ويكون السائل واحدا وان اشتركا فى الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا قال المصنف بعد نقله قلت هذا الثانى هو الصواب انتهى

قلت ولم يذكر من يأتيه الثلاثة كما فى حديث ابن عباس هذا وكانه يجاب عنه بما اجيب به عن الاثنين وانه لزيادة التهويل على بعض العباد وهذا كله فى جواب أهل الايمان وما اعده الله لهم بعد الجواب فقد بيناه فى نظمنا

فصل

واما جواب الاشقياء فاشرنا اليه بقولنا

وان يكن جوابه في القبر يقول هاه هاه لست ادرى
كان الجواب عنه لادرينا ولا تليت اذ قد افترينا
وبعده يضرب بالمطراق يسمعه من كان فى الآفاق

حين يصيح ما خلا ابن آدم والجن تستثنى من العوالم
ثم ينادى قداتى بالكذب فافرشوه النار ذات اللهب

ثم يقال انظر الى مكانك فى جنة الخلد من خسرانك
ابدلت عنه ما ترى فى سقر معذبا فى القبر حتى المحشر

هناك يأتيه قبيح المنظر والثوب والريح قبيح الخبر
يقول انى ما عملت فابشر بشر موعود له فانتظر

اخرج الترمذى وحسنه وابن ابى الدنيا وابن ابى عاصم والأجرى والبيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبر الميت اتاه ملكان اسودان ازرقان وقد تقدم الخبر وفيه وان كان منافقا قال اى فى جواب الملكين سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا ادرى فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التمى عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال بها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وفى حديث البراء الذى اخرجه الطيالسى وابن ابى شيبة واحمد بن حنبل وهناد وعبد بن حميد وابو داود وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى أنه يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا ادرى فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا ادرى فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادرى فينادى مناد من السماء ان كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيها من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له ابشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من انت فوجهك

الوجه الذي يجيء بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة واخرج احمد وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت وابن ابى عاصم فى السنه والبزار وابن جرير وابن مردويه والبيهقى بسند صحيح عن ابى سعيد الخدرى قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه اصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده فقال ما تقول فى هذا الرجل فان كان مؤمنا قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقال له صدقت الحديث وفيه وان كان كافرا أو منافقا قيل له ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول لا ادرى سمعت الناس يقولون شيئا فيقولان لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال هذا منزلك لو آمنت بربك وأما اذ كفرت فالله بدلك به هذا ويفتح له باب الى النار ويقمعه مقمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين واخرج ابن ابى حاتم وابن منده والطبرانى فى الاوسط عن ابى قتادة موقوفا وفيه اذا مات الكافر أُجلس فى قبره فيقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادرى كنت اسمع الناس يقولون فيقال له لا دريت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى منزلك لو ثبت ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلك اذ زغت فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال لا اله الا الله وفى الآخرة المسألة فى القبر وفى حديث تميم الدارى وقد قدمنا سنده ان الله تعالى يقول لملك الموت انطلق الى عدوى فأتنى به فانى قد بسطت له فى رزقه وسربلته نعمتى فابى الا معصيتى فأتنى به لانتقم منه اليوم فينطلق ملك الموت فى اكره صورة ـ ما رآها احد من الناس قط له اثنتا عشر عينا معه سفود من نار كثير الشوك ومعه خمسمائة معهم نحاس وجمر ومعهم سياط من نار تأجج فيضربه ملك الموت بذلك السفود يغيب اصل كل شوكة من ذلك السفود فى أصل كل شعرة وعرق من عروقه ثم يلويه ليا شديدا فينزع روحه من أظفار قدميه فيلقها فى عقبيه فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة ثم تضرب الملائكة وجهه ودبره بذلك السياط ثم يجذبه جذبة فتنزع روحه من عقبيه فتعلها فى ركبتيه فيسكر عدو الله تعالى سكرة وتضرب الملائكة وجهه

ودبره بذلك السياط ثم كذلك الى حقويه ثم كذلك الى صدره ثم كذلك الى حلقه ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه ثم يقول ملك المـــوت اخرجي ايتها النفس اللعينة الملعونة الى سموم وحميم وظل من يحمـــوم لا بارد ولا كريم فاذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسـد جزاك الله عنى شرا قد كنت سريعا بى الى معصية الله تعالى بطيئا عن طاعة الله قد هلكت واهلكـت ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الارض التى يعصى الله عليهـــا فتنطلق اجناد ابليس اليه يبشرونه بانه قد أمر بعبد من بنى ادم الى النـــار فاذا وضع فى قبره ضيق عليه قبره واختلفت اضلاعه فتدخـــل اليمنى فى اليسرى واليسرى فى اليمنى ويبعث الله حيات دهما فتأخذه بارنبته وابهام قدميه فتقرضه حتى يلتقى فى وسطه قال ويبعث الله الملكين وذكر مثل ما سلف من سؤالهمـــا وجوابه وضربه بالمطراق ونظره الى مقعده من النار وفتح سبعين بابا الى مقعـده منها والاحاديث هنا واسعة كلها بهذا المعنى وفى بعضـــها زيادة انه يقيض له فى قبره حيات وعقارب تلسعه الى يوم القيامة نسأل الله السلامة • انتهى ما أردنـــا زيادته نظما ونثرا مما فات الناظم الحافظ رحمه الله تعالى

فصـــــل

قال الجلال الناظم رحمه الله تعالى

ويسألان أهـل كل الارض　　　كحال عزرائيل عند القبض

هذا الذى نص عليه القرطبى　　　وهو الذى اختاره ثم اجتبى

هذا اشارة الى ما قاله القرطبى فى التذكرة فانه قال ما لفظه فصل ان قال قائل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفوا الاماكن متباعدو القبور فى الوقـت الواحد والجسم الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وكيف تنقلب الاعمال اشخاصا وهى فى انفسها اعراضا فالجواب عن الاول ما جرى ذكرهما فى هـــذا الخبر من عظم جثتهما فيخاطبان الخلق الكثير الذى فى الجهة الواحدة منهم فى المرة الواحدة مخاطبة واحدة يخيل لكل واحد منهم ان المخـــاطب هو دون من سواه ويكون الله يمنع سمعه من مخاطبة الموتى لها ويسمع هو مخاطبتهما ان لـــو

كانوا معه فى قبر واحد وقد تقدم ان عذاب القبر يسمعه كل شىء الا الثقلين والله يسمع من يشاء وهو على كل شىء قدير والجواب عن الثانى ان الله تعالى يخلق من ثواب الاعمال اشخاصا حسنه وقبيحه لا ان العرض نفسه ينقلب جوهرا اذ ليس هو من قبيل الجواهر ومثل هذا ما صح فى الحديث من انه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح ومحال ان ينقلب الموت كبشا لان الموت عرض وانما المعنى ان الله يخلق شخصا يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار وهكذا كل ما ورد عليك من هذا الباب التأويل فيه ما ذكرته لك اه بلفظه وقال فى موضع آخر عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مررت على ملك جالس على كرسى اذ جمع الدنيا وما فيها بين يديه أو ركبتيه وبيده لوح مكتوب فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالا فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا ملك الموت فقلت له يا ملك الموت كيف تقدر على قبض ارواح جميع من فى الارض برها وبحرها قال الا ترى ان الدنيا كلها بين ركبتى وجميع الخلائق بين عينى ويداى تبلغان المشرق والمغرب فاذا نفذ اجل عبد نظرت اليه فاذا نظرت اليه عرفت اعوانى من الملائكة انه مقبوض غدوا عليه فيبطشوا به يعالجون نزع روحه فاذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف عليه شىء من أمره مددت يدى فانتزعته من جسده والى قبضه وقال القرطبى فى فصل اخر وروى عن عكرمة قال رأيت فى صحف شيث أن ابن آدم قال يارب ارنى ملك الموت حتى انظر اليه فاوحى الله اليه ان له صفات لا تقدر على النظر اليها وسأنزله عليك فى الصورة التى يأتى بها الانبياء والمصطفين فانزل الله عليه جبريل وميكائيل واتاه ملك الموت فى صورة كبش املح قد نشر من اجنحته اربعة آلاف جناح منها جناح يجاوز السموات وجناح يجاوز الارضين وجناح يجاوز اقصى المشرق وجناح يجاوز اقصى المغرب واذا بين يديه الارض بما اشتملت عليه من الجبال والسهول والفياض والانس والجن والدواب وما احاط بها من البحار وما علاها من الادوات فى ثغرة من نحره كالخردلة فى فلاة من الارض واذا له عيون لا يفتحها الا فى موضع فتحها واجنحة لا ينشرها الا للمصطفين واجنحة للكفار فيها سفافيد وكلاليب ومقاريض فصعق — آدم صعقة

لبث فيها الى مثل الساعة من اليوم السابع ثم افاق وكان فى عروقه الزعفران ذكر هذا الخبر ابن ظفر الواعظ المكى ابو هاشم محمد بن محمد فى كتاب النصائح وروى عن ابن عباس ان ابراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ثم نظر اليه فرآه فى صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال والله لو لم يلق المؤمن شيء من السرور سوى وجهك لكفاه ثم قال أرنى كيف تقبض روح الكافر فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارنى قال اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ثم نظر اليه فاذا هو فى صورة انسان اسود رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء كاقبح ما انت راء من الصور تحت كل شعرة لهيب نار فقال له والله لو لم يلق الكافر سوى نظره الى شخصك لكفاه اه اذا عرفت هذا ففى قول الناظم ان حال الملكين كحال ملك الموت هو الذى افادته عبارة القرطبى ولا كاد القرطبى يوضح جواب السؤال والجواب الحقيقى انهذا ما يجب الايمان به ونكل تفاصيله الى علم الله حيث لم يأت بالتفاصيل اثر على ان القرطبى بنى سؤاله على عدم جواز حلول الشخص الواحد فى مكانين فى الوقت الواحد وهو اولا قياس للملائكة فى احكام أبدانهم على بنى آدم وهو قياس فاسد فان الملائكة ارواح لطيفة جعل الله لها الاقتدار على ما لا يقدر على معرفته بنو آدم فضلا عن عمله فانه يقطع الواحد منهم ما بين السموات والارض فى اسرع من طرفة العين ثم ان الجلال السيوطى قائل بان التطورات كائنة مقدورة غير محالة على بنى آدم والكون فى مكانين فى آن واحد غير محال عنده وفيه الف رسالته المعروفة بالقول المنجلى فى تطورات الولى وان كنا نرى بطلان ما قاله من التطورات ورددنا عليه رسالته التى ما كانت تليق بعلومه ومعرفته السنن النبوية ويحتمل انها مكذوبة عليه وان كان كلاما باطلا وعن كل دليل عاطلا واعلم انه تعرض القرطبى فى كلامه لمسألة تجسيم الاعراض وقد بسط هذا الجواب فى محل آخر من التذكرة عند ذكر شفاعة القرآن للمؤمن فقال

فصـــــل : فان قال قائل كيف يشفع القرآن والصيام وانما ذلك عمل العاملين قيل له تقدم هذا المعنى ونزيده وضوحا فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجىء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول انا الذى اسهرت ليلك واظمأت نهارك اخرجه ابن ماجه فى سننه من حديث بريدة واسناده صحيح فقوله يجىء القرآن اى ثواب قارىء القرآن وقد جاء فى صحيح مسلم عن النـواس بن سمعان الكلابى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول يؤتى بالقرآن يوم القيامة واهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد كأنما غمـامتان أو ظلمتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقـــان من طير صـــواف تحاجان عن صاحبهما قلت قوله شرق اى ضوء كما فى النهـــاية وفيها فرقان من طير صواف اى قطعتان قال القرطبى قال علماؤنا قوله تحاجان عن صاحبهما اى يخلق الله من تجادل عنه بثوابهما ملائكة كما جاء فى بعض الاحاديث انه من قرأ أشهد ان لا اله الا الله خلق الله سبعين الف ملك يستغفرون له الى يوم القيامة قال المؤلف اى القرطبى فكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين يشفعان له وكذلك ان شاء الله سائر الاعمال الصـالحة كما ذكر ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا رجل عن زيد بن مسلم قال بلغنى ان المـــؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة فى احسن صورة ومن احسن ما خلق الله وجهـــا وشبابا وأطيبه ريحا فيجلس الى جنبه كلما افزعه شىء أمنه وكلما تخوف شيـــئا هون عليه فيقول جزاك الله تعالى من صاحب خيرا من أنت فيقـول له أما تعرفنى وقد صحبتك فى قبرك وفى دنياك أنا عملك كان والله حسنا فلذلك ترانى حسنا وكان طيبا فلذلك ترانى طيبا تعال فاركبنى فطالما ركبتك فى الدنيا وهو قـول الله تعالى « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم » حتى يأتى به الى ربه فيقول يا رب ان كل صاحب عمل فى الدنيا قد اصاب فى عمله وكل صاحب تجارة وصـانع غير صاحبى قد شغل فى نفسه فيقول له الرب تبارك وتعالى ما تسأل فيقـول المغفرة

والرحمة ونحو هذا فيقول انى قد غفرت له ثم يكسى حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة بيضاء تضىء من مسيرة يومين ثم يقول يا رب ان ابويـه كان قد شغل عنهما وكل صاحب عمل وتجارة يدخل على أبويه من عمله فيعطيان مثل ما اعطى ويتمثل للكافر عمله فى صورة اقبح ما خلق الله وجها وانتنه ريحـا فيجلس الى جنبه كلما افزعه شىء زاده وكلما تخوف شيئا زاده خوفا فيقول بئس الصاحب أنت ومن أنت فيقول أوما تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك كان قبيحـا فلذلك ترانى قبيحا وكان نتنا فلذلك ترانى نتنا فطأطىء رأسك اركبك فطالمـا ركبتنى فى ادانيا وهو قوله تعالى « وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقـالهم » وقوله « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة » قال المؤلف ومثل هذا لا يقال من قبـل الرأى ومعناه يؤخذ من حديث قيس بن عاصم المنقرى ان النبى صـلى الله عليه وسلم قال له يا قيس انه لابد لك من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسـلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تبعث الا معه ولا تسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان كان صـالحا لا تأنس الا به وان كان فاحشا لا تستوحش الا منه وهو عملـك وذكر ابو الفرج بن الجوزى فى (كتاب روضة المشتاق والطريق الى الملك الخلاق) قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بالتوبة فى صورة حسنة ورائحة طيبة فلا يجد ريحها ولا يرى صورتها الا المؤمن فيجدون لها رائحة وأنسا فيقـول الكافر والعاصى المصر مالنا ما وجدنا ما وجدتم ولا رأينا ما رأيتم فتقول لهم التوبة طالما تعرضت لكم فى دار الدنيا فما اردتمونى فلو كنتم قبلتمونى لكنتم اليـوم وجدتمونى فيقولون نحن اليوم نتوب فينادى مناد من تحت العرش هيهات هيهات ذهبت ايام المهلة وانقضى زمن التوبة الحديث انتهى كلام القرطبى قلت : والذى يظهر لنا خلاف ماقاله القرطبى من انه يخلق من ثواب تلك الاعمال ملائكة بل يظهر ان تلك الاعراض تصير بنفسها أجساما وهو الظاهر من قوله تصير الزهراويان فأنه خبر عنها والتقدير خلاف الاصل وكذلك العمل الصالح فى القبر وجداله ولا مانع عن ذلك فى

القدرة الالهية وقد آمنا باحوال الآخرة والعقل لا يعرفها ولا يلم بكيفيتها فما لنا لا نؤمن بأن الاعراض تنقلب اجساما بقدرة خالق الاعراض والاجسام وعند ان انتهيت الى هنا رأيت فى سبيل الرشاد ما لفظه وقال الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى رسالة سماها « المعانى الدقيقة فى ادارة الحقيقة » ألفها جوابا عما استشكله بعضهم من تجسد الاعمال وتجسد الموت حيث يجاء به فى صورة كبش ويذبح ما نصه أقول التحقيق الشامل لذلك ولغيره انجميع المعانى المعقولة عندنا منصورة عند الله بصورة الاجسام ومشخصة بصورة الاشخاص وان كنا لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه قال والاحاديث النبوية ناطقة به وشاهدة له وذكر ايضا ان رؤيا المنام من ذلك فان الرائى يرى فى منامه اجساما تؤول باعراض فتلك الاجسام المرئية هى صورة تلك الاعراض المعبر عنها فى عالم الملكوت ثم قال وها أنا اسرد الاحاديث حديثا حديثا فى هذه الكراسة لينتفع بها من يقف عليها وبالله التوفيق ثم ساق احاديث فى تجسد الايمان والسكينة والصلاة والصيام والذنوب والخطايا والرحم والاذكار واللعنة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والايام وغير ذلك فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا اقول من تأمل تلك الاحاديث وفى معناها ما لم يذكره السيوطى فى تلك الرسالة وذكرها فى سائر كتبه لا ينبغى ان يتوقف فى التصديق بتجسد الاعمال اصلا قال السيوطى واخرج سعيد بن منصور عن عبد الله بن أبى اوفى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فجاء رجل حتى دخل فى الصف فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة لقد رأيت كلامك يصعد الى السماء حتى فتح له باب فدخل فيه فهذه رواية المكاشف المعصوم بتجسد الاعراض فى اليقظة اه وفى الدر المنثور فى قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) احاديث عديدة فيه وفى الجامع الكبير وفى غيرهما من كتب السيوطى احاديث كل من عرفها علم يقينا تجسد الاعراض باخبار الصادق منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال العبد لا اله الا الله الا فتحت له ابواب السماء حتى تفضى الى العرش وقد اطال

في سبيل الرشاد (١) الكلام في تقرير تجسد الاعراض **في** بحث الميزان في الاخرة وبيان ان الموزون هو صور الاعمال وقال الحافظ ابن حجر الصحيح ان الاعمال هى التى توزن واخرج ابو داود والترمذى وصححه وابن حبان عن ابى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يوضع فى الميزان يوم القيامة اثقل من حسن الخلق وفى حديث جابر رفعه يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن ثقلت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال ذرة دخل النار قيل ومن استوت حسناته وسيئاته قال اولئك هم الاعراف اخرجه حثمة فى فوائده وعبد الله بن المبارك فى الزهد ونحوه موقوفا

نصل قال الناظم رحمه الله تعالى

واختار فى منهاجه الحليمى تعداد هذا الملك الكريم
وقال بل ملائك السؤال جماعة ككاتب الاعمال
وبعضهم بمنكر يسمى وبعضهم له النكير وسما
فيرسل الله لكل ميت اثنين منهم بعثا للفتنة

قال الناظم فى شرح الصدور بعد نقله لكلام القرطبى الذى قدمناه قريبا فى شرح قوله :

« هذا الذى نص عليه القرطبى » ما لفظه قلت ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك كما فى الحفظة وغيرهم ثم رأيت الحليمى من اصحابنا ذهب اليه فقال فى منهاجه الذى يشبه ان يكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة يسمى بعضهم منكرا وبعضهم نكيرا فيبعث الى كل ميت منهم اثنان كما كان الموكلان عليه بكتابة اعماله اثنين انتهى • قلت هذه دعوى من الحليمى لا دليل عليها وانما هو قياس شبهى كما قال يشبه قاسه على الكتبة ولا مدخل هنا للقياس فأحوال الاخرة لا يجرى فيها القياس على احوال الدنيا وقد قدمنا بعد ذكرنا لكلام القرطبى وانه لم يفصح الجواب انه لا جواب الا بالايمان بما ورد به النص وتفاصيل عمله الى الله تعالى

(١) قلت : لا حاجة الى القول بتجسد الاعمال فى ذلك بل ينبغى ان يلاحظ أن الله تعالى القادر على نطق الاجساد ودخولها وخروجها قادر على ذلك فى الاعراض فاعلم

وقال المصنف فى شرح الصدور نقلا عن الحكيم الترمذى انما سميا فتانى القبر لان فى سؤالهما انتهارا وفى خلقهما صعوبة وسيما منكرا ونكيرا لان خلقهما لا يشبه خلق الادميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولاخلق الهوام بل هما خلق بديع وليس فى خلقهما انس للناظرين اليهما جعلهما الله تكرمة للمؤمنين ليثبتهم وينصرهم وهتكا لستر المنافق فى البرزخ من قبل ان يبعث حتى يحل عليه العذاب قلت بل هما صنف من الملائكة خلقا كما وصفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن يقل يمتثل النبى　　قال عياض ما هو المرضى

لم اجد من قال انه يمثل النبى صلى الله عليه وسلم فى القبر عند السؤال انما قال فى شرح الصدور انه سئل شيخ الاسلام حافظ العصر ابو الفضل بن حجر هل يكشف للميت حتى يرى النبى صلى الله عليه وسلم فاجاب انه لم يرد فى حديث وانما ادعاه بعض لا يحتج به بغير سند سوى ما تقوله فى هذا الرجل ولا حجة فيه لان الاشارة الى الحاضر فى الذهن اه والى كلام ابن حجر اشار بقوله :

وهكذا اجاب عنه ابن حجر　　وقال لا أصل لهذا فى الاثر
ومن غريب ما ترى العينان　　ان سؤال القبر بالسريانى
افتى بهذا شيخنا البلقينى　　ولم أره لغيره بعينى

البلقينى بالموحدة فى القاموس بلقين كفرنيق بالضم وكسر القاف بلدة بمصر وفى شرح الصدور ما لفظه فى فتاوى شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقينى ان الميت يجيب بالسريانية ولم اقف لذلك على مستند الحافظ ابن حجر عند ذلك فقال ظاهر الحديث انه بالعربى قال ويحتمل مع ذلك ان يكون خطاب كل واحد بلسانه اه قلت هذا الاحتمال قريب لبعد معرفة العجمى لسان العربية فى قبره وعكسه وان كانت قدرة الله قابلة لاعلامه بلغة غير لغته فى حياته

قلت قد صرح مجد الدين فى القاموس به

وضبط منكر بفتح الكاف فلست ادرى فيه من خلاف
وذكر ابن يونس من صحبنا ان اللذين يأتيان المؤمنا
اسمهما البشير والمبشر ولم أقف فى ذا على ما يؤثر

قلت بل الذى يؤثر خلاف ما قاله وقدمنا الفاظ الاحاديث بانه يأتى المؤمن منكر ونكير بل قال صلى الله عليه وسلم لعمر الفاروق بلفظ فاتاك منكر ونكير كما تقدم واخرج الطبرانى فى الاوسط بسند حسن عن ابن عباس اسم الملكين اللذين يأتيان فى القبر منكر ونكير وهو عام على أن كلام ابن يونس مبنى على تعداد الملائكة كما ادعاه الحليمى عن غير دليل وجمع الناظم فى شرح الصدور والدر المنثور احاديث السؤال وليس فيها حرف واحد بما ادعاه ابن يونس والحليمى ثم ذكر الملك الثالث والرابع

وقد اتى فى مرسل مضعف ان السؤال من ثلاثة يفى
ورابع أولئك الاثنان والحقوا ناكور مع رومان

فى شرح الصدور اخرج ابن لال وابن الجوزى فى الموضوعات عن ضمرة بن حبيب مرفوعا فيأتى القبر أربعة منكر ونكير وناكور ورومان قال ابن الجوزى هذا الحديث لا اصل له وضمرة تابعى ورواية الوقف ظاهرة عليه وسئل شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر هل يأتى الميت ملك اسمه رومان فاجاب بانه ورد بسند فيه لين اه وهذا هو الذى اشار اليه فى النظم ولم يذكر الناظم هذه الرواية فى الدر المنثور قال الناظم رحمه الله

« تكرير السؤال سبعة أيام »

يكرر السؤال للانام فيما رووا فى سبعة أيام
كذا رواه احمد بن حنبل فى الزهد عن طاووس الحبر العلى

هو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المروزى البغدادى احد الاعلام شيخ الاسلام امام السنة قطب الامة حجة الفقهاء وسيد المحدثين • سمع من خلق كثير بالحجاز والشام واليمن والعراق له التصانيف الكثيرة والكتب

النافعة روى عنه الشيخان كان سيدا ورعا . لم يقبل جائزة ولا رشا ولا شيئا من أموال الملوك وكانت معه ثلاث شعرات من شعرات النبى صلى الله عليه وسلم اوصى أن تجعل واحدة على لسانه واثنين على عينيه وقد الف البيهقى سيرته فى مجلد والف ابن الجوزى مجلدا فى سيرته ايضا ووفاته لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين ببغداد وطاووس هو ابن كيسان عالم اليمن الفارسى ثم اليمانى الجندى من ابناء الفرس الذين بعثهم كسرى الى اليمن سمع من زيد بن ثابت وعائشة وغيرهما وعنه أخذ ابنه عبد الله وابن شهاب وخلق كثير وكان رأسا فى العمل والعلم وشهرته كافية عن وصفه ولما ولى عمر ابن عبد العزيز كتب اليه طاووس ان شئت يكون عملك كله خيرا فاستعمل اهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة . توفى سنة ١٠٦ ست ومائة والحديث ذكره الناظم فى الدر المنثور اخرج احمد فى الزهد وابو نعيم فى الحلية عن طاووس قال ان الموتى يفتنون فى قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام قال هذا اثر مرسل كما سننبه عليه فى النظم قريبا واشار الى اخراج ابى نعيم له بقوله .

وبعده أبو نعيم اخرجه   فى حلية فيالها من درجه

ابو نعيم هو احمد بن عبد الله الحافظ الكبير محدث كبير . وعالم شهير له حلية الاولياء كتاب نفيس جمع كل معنى حسن واشتمل على تراجم افاضل السلف رحمة الله عليهم ورضوانه بحيث يعز نظيره

اسناده قد صح وهو مرسل   وقد يرى من جهة متصل

لم اجد الجهة التى اشار اليها انه يروى متصلا بل ما وجدناه الا منسوبا الى طاووس لا غير

وحكمة الرفع كما قد قالوا   اذ ليس للرأى به مقال

اشار الى ان حديث طاووس وان كان مرسلا فانه فى حكم المرفوع وذلك لما تقرر فى اصول الفقه وغيرها ان كل ما يأتى عن الصحابة وكبار التابعين مما

لا مسرح للاجتهاد فيه فانه له حكم الرفع فيكون دليلا وذلك لان الراوى ثقة وأمور الاخرة والبرزخ مما لا تدخل تحت الآراء الاجتهادية بل لا يؤخذ الا عن الطرق النبوية من الوحى فهذا مراد الناظم وبه يعرف صحة ردنا لكلام الحليمى فى تعدد ملائكة السؤال وكلام ابن يونس فى انهم جماعة قياسا على كتاب الحسنات والسيئات فانه قياس والقياس كما قال الناظم الجلال السيوطى رحمه الله تعالى

وليس للقياس فى ذا الباب　　من مدخل عند ذوى الالباب
وانما التسليم فيه لائق　　والانقياد حيث انبا الصادق
وفيه ان قد كانت الصحابة　　يرون اطعاما له استحبابه

قد قدمنا لك قول طاووس انهم كانوا يستحبون ان يطعم عنه تلك الايام وظاهر الضمير فى يستحبون انه للصحابة كما قاله الناظم

فى طول تلك السبعة الايام　　معونة فى ذلك المقام

التعليل بان الاطعام معونة هو الذى دل عليه سياق اثر طاووس وفيه دليل على لحوق الصدقة بالميت ونفعها له فى قبره ويأتى ذلك ان شاء الله • قال الناظم رحمه الله

ومثل هذا جاء عن مجاهد　　فياله من عاضد وشاهد

مجاهد هو ابو الحجاج مجاهد بن جبر حبر القران المخزومى المعزى المكى المفسر مولى السايب ابن ابى السايب اخذ عن سعد بن ابى وقاص وغيره عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ويقف عند كل آية ويسأله فيم نزلت وكيف كانت وكان كثير الاسفار حتى انه وصل ارض بابل وشاهد هاروت وماروت فى هور من الارض معلقين منكسين كالجبلين فما لبث ان سبح الله وخر مغشيا عليه توفى سنة ١٠٣ ثلاث ومائة اهـ اى انه جاء مثل ما روى عن طاووس عن طاووس عن مجاهد فهو عاضد له وشاهد قال الناظم رحمه الله ونفعنا بعلومه

وعنه ايضا تمكث الارواح فى قبورها سبعا بلا منصرف
روى الجميع فى القبور ابن رجب وهو امام حافظ ومنتخب

ابن رجب بلفظ اسم الشهر المعروف وهو امام عالم حنبلى كثير التأليفات

وعن عمير بن عبيد ورداوذاك فيما ابن جريج اسندا

عمير بن عبيد بن قتادة الليثى ابو عاصم المكى ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قاله مسلم وعده غيره من كبار التابعين وكان قاضى اهل مكة فجمع على ثقته ذكره فى التقريب

بانه يفتن سبعا مؤمن واربعين ذو النفاق يفتن

هذا الاثر اخرجه الناظم الدر فى المنثور بلفظ واخرج ابن جرير فى مصنفه عن الحارث ابن ابى الحارث عن عبيد بن عمير قال يفتن رجلان مؤمن ومنافق فاما المؤمن فيفتن سبعا واما المنافق فيفتن اربعين صباحا اه ولم أره فيه عن ابن جريج كما فى النظم فاظنه وقع غلطا فى نقل النظم وهو وذاك فيما ابن جرير الا انه لا يوافق قوله

وابن جريج أول اللذينا قد صنفوا العلم لنا تدوينا

قال ابن جريج هو أول من صنف الكتب فى الاسلام قال العامرى فى الغربال عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشى مولاهم المكى اول من صنف الكتب فى الاسلام على ما قيل وقد اثنى عليه ابن خلكان وغيره وفاته سنة ١٥٠ خمسين ومائة

نص عليه احمد بن حنبل وغيره من كل حبر معتل

أى نصبوا بأنه أى ابن جريج أول من ألف الكتب فى الاسلام قال الناظم رحمه الله ونفعنا بعلومه

وكم امام قد حكى فى كتبه ماقد عزى لابن عمير فانتبه
كحافظ الغرب ابن عبد البر فى
تمهده وكم له من مقتفى

التمهيد كتاب لابن عبد البر نفيس جامع وتقدم ذكر ابن عبد البر رحمه الله تعالى

تلاه فى شرح الموطا المغربى ابن رشيق وكذا ابن رجب

اى انهما نقلا ما عزى لعبيد بن عمير من الرواية المذكورة ولما كانت تخالف ما رواه طاووس ومجاهد قال الناظم مشيرا الى الترجيح بين روايتهما ورواية عبيد بن عمير رحمه الله تعالى

ثم ذكر وجه أجليته عليهما فقال

وابن عمير بن مجاهد اجل كذاك من طاووس الحبر البدل
اذ فى زمان المصطفى قد ولدا وقال قوم بلقاه سعدا
وان يك الراجح ان يعدا فى كبراء التابعين جدا
بمكة قد قص فى عهد عمر وذاك أول امرىء به ابتكر

ذكر ترجيح رواية عبيد بن عمير بانه ولد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه بلقياه سعد وكان صحابيا ورواية الصحابى أرجح من رواية التابعى ثم رجح انه من كبار التابعين وليس بصحابى فقوله يعدا مضارع مغير الصيغة والالف للاطلاق ولا يتوهم انه ضمير تثنيه وانه يرجع الى مجاهد وطاووس فانه ليس بصحيح ولا مراد وافاد المصنف انه أول من قص فى مكة فى عهد عمر اى ذكر للناس قصص الانبياء وغيرهم من ذكر القرون الخاوية والوعد والوعيد قلت وما كان الناظم الى هذا الترجيح فانه لا منافاة بين رواية لمجهد وطاووس ورواية عبيد بن عمير فانه وافقهما على السبع وزاد انها خاصة بالمؤمن وانه يزاد عليها المنافق ثلاثة وثلاثين يوما فروايته فيها زيادة وزيادة العدل غير المنافية مقبولة كما عرف فى الاصول وعلوم الحديث ثم اورد سؤالا على روايتى السبع ورواية الاربعين فقال

فان تقل فاكثر الاخبار خالية من صيغة التكرار

قد سردنا فيما سلف عدة روايات ليس فى شىء منها تكرير السؤال

اياما انما جاء فى رواية أنه يكرر فى المجلس ثلاث مرات كما قدمه الناظم وقدمنا شرحه فاجاب رحمه الله بقوله

جوابه ان السؤال فيها مجرد عن الذى ينفيها

اى تلك الروايات خالية عن التعدد وعن عدم ذكره ولم تثبته ولم تنفه فهى مطلقة تصدق بالمرة وبالاكثر كما قال

وكل ما جاء من الافراد يصدق بالمرة والتعداد

اى من افراد الروايات المطلقة فيقرأ بفتح الهمزة جمع فرد لا بكسرها مصدرا أفرد لانه يقضى بانها بصيغة الافراد وقد سلف فى قوله • خالية من صيغة التكرار لا سبعا ولا اربعين ويحتمل ان يقرأ بكسر الهمزة ويراد بالافراد الروايات التى اتت بافراد السبع عن غيرها وان كان لا يلائمه قوله « يصدق بالمرة والتعداد » فان الرواية المقيدة بالسبع ليست خالية عن التكرار لكن قوله

فحكم هاتيك لحكم المطلقة وحكم هذى كزيادة الثقه

يشعر قوله هاتيك انه اراد بها روايتى طاووس ومجاهد واراد بهذا فى قوله وحكم هذا رواية عبيد بن عمير ومراده ان روايتهما قيدت بسبع فهى كالمطلقة بالنسبة الى روايته المقيدة باربعين فزيادة روايته كزيادة الثقة وهى مقبولة كما قدمناه ويجرى هذا الجواب بعينه فى روايتها ورواية عبيد بن عمير بالنظر الى سائر الروايات التى قدمناها التى هى مطلقة حقيقة لا انها فى حكم المطلقة ولو انه حذف قوله « وكلما جاء » الخ • وقال عوض قوله فحكم هاتيك الخ

وكلما خلت عن القيود مطلقة وكلما قيد من زيادة الثقة

لكان اخصر واعم أما الاول فظاهر واما الثانى فالاعمية من حيث شمول الجواب لما خلا عن التقييد بالسبع وغيرها وعما قيد بالسبع دون غيرها فان الذى قيد بالسبع مفيد بالنظر الى ما خلا عنها وهى اكثر الروايات ومطلقة بالنظر الى رواية الاربعين والكل يصدق عليه انه من زيادة الثقة وجوابه هنا ان ما قيد من باب زيادة الثقة هو الذى اشرنا له اليه فى قولنا انه لايحتاج الى الترجيح لعدم التنافى ثم انه استظهر لما جمع به بانه قد سبق اليه القرطبى فقال

الا ترى للقرطبى كيف جمع   بين روايات بها الخلف وقع

يأتى ان القرطبى فى التذكرة أورد سؤالا فى اختلاف الروايات ثم جمع بينهما بقوله رحمه الله

بان راوى البعض لم ينف الذى
اثبته الاخر فاجمع ذى وذى

اراد قول القرطبى فى جواب سؤال اورده حاصله انه ورد فى حديث الشيخين والترمذى ان اللذين يسألان الميت ملكان وجاء فى حديث ابى اداود انه يسأله ملك واحد فقال بعد ذكر جواب اول قدمناه انه بالنسبة الى الاشخاص وقال ان حديث ابى داود يحتمل وجها آخر وهو ان الملكين يأتيانه جميعا ويكون السائل أحدهما وان تشاركا فى الاتيان فيكون الراوى اقتصر على ذلك الملك السائل وترك غيره لانه لم يقل فى الحديث انه لا يأتيه الى قبره الا ملك واحد اه واعلم ان هذه قاعدة معروفة بين العلماء وهو ان عدم الذكر ليس ذكرا للعدم وقوله « ذى » وذى اسم اشارة اليهما لانه اشار الى الروايتين وهى مؤنثة

وجاء عن عبد الجليل البصرى   فى شعب الايمان قول فادرى

عبد الجليل هو عبد الجليل بن عطية القيسى القصرى اخرج له ابو داود والنسائى والبخارى فى التاريخ قال ابن حجر انه صدوق يهم وقوله فى شعب الايمان اى انه اخرج البيهقى فى شعب الايمان رواية القصرى والذى جاء عنه هو قوله

الروح اما يك فى نعيم   أو فى عذاب دائم اليم
أو يك محبوسا الى الخلاص من
ملائك الفتنة فافهم واستبن
وعنه قل اورده الجزولى   مرتضيا فى حيز المنقول

اى انه روى الجزولى عن عبد الجليل هذه الرواية وارتضاها وهذه الرواية افادت ان هذه الارواح لها بعد الموت ثلاث حالات احدها النعيم والثانى العذاب الاليم والثالث حبسها عن العقاب قال ابن القيم مسألة مقر الارواح بعد الموت مسألة عظيمة لا تلقى الا من السمع وقد قيل ان ارواح المؤمنين كلهم فى الجنة الشهداء وغيرهم اذا لم تحبسهم كبيرة لظاهر حديث كعب وام هانىء وام مبشر وابى سعيد وضمرة ونحوها ولقوله تعالى « فأما ان كان من المقربين فروح

وريحان وجنة نعيم » فانه قسم الارواح عقب خروجها من البدن الى ثلاثة مقربين واخبر انها فيجنة النعيم واصحاب يمين وحكم لها بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة واخبر ان لها نزلا من حميم وتصلية جهنم وقال تعالى « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فيعبادى وادخلى جنتى » قال جماعة من الصحابة والتابعين انه يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة ويؤيده قوله تعالى فى مؤمن آل يس (قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون) اه وقد قدمنا كلامه فى مقر الارواح وفى الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) اخرج ابن ابى شيبة وهناد وعبد بن حميد عن هذيل بن شرحبيل قال ان ارواح آل فرعون فى أجواف طير سود تروح وتغدو على النار فذلك عرضها وارواح الشهداء فى اجواف طير خضر واولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحنث عصافير فى الجنة واخرجعبد بن حميد عن الضحاك انه سئل عن ارواح الشهداء فقال تجعل ارواحهم فى اجواف طير خضر تسرح فى الجنة وتأوى فى الليل الى قناديل من ذهب معلقة بالعرش قيل فارواح الكفار قال تؤخذ ارواحهم فتجعل فى اجواف طير سود تغدوا وتروح على النار ثم قرأ هذه الآية (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وأخرج عبد الرازق وابن ابى حاتم عن ابن مسعود قال ارواح الشهداء فى اجواف طير خضر تسرح بهم فى الجنة حيث شاءوا وان ارواح اولاد المؤمنين فى أجواف عصافير تسرح فىالجنة حيث شاءت وان ارواح آل فرعون فىاجواف طير سود تغدوا على جهنم وتروح فذلك عرضها واخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة رضى الله عنه انه كان له صرختان عند كل يوم غدوة وعشية كان يقول اول النهار ذهب الليل وجاء النهار وعرض آل فرعون على النار فكان لا يسمع احد صوته الا استعاذ بالله من النار وساق روايات بهذا المعنى وفى شرح الصدور ساق روايات ومنامات كبيرة قال القرطبى باب منه فى عذاب الكافر فى قبره ذكر الوائلى الحافظ فى كتاب الابانة من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينما انا اسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من الارض فى عنقه سلسلة طرفها اسود فقال يا عبد الله اسقنى لا ادرى أعرف اسمى أو كما يقول

الرجل يا عبد الله وخرج رجل من تلك الحفرة فى يده سوط فنادانى يا عبدالله لا تسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل به الارض قال ابن عمر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته قال أوقد رأيته ذاك عدو الله ابو جهل قال فى شرح الصدور انه اخرجه الطبرانى فى الاوسط وابن ابى الدنيا واللالكائى فى السنة وابن عمر وهذا اللفظ الذى أثبتناه لفظ شرح الصدور وأخرج تمام بن محمد البرازى فى كتاب الرهبان له وابن عساكر فى طريقه عن أبى على محمد بن هارون الانصارى عن عصمة بن أبى عصمة البخارى عن أحمد بن عمار بن خالد التمارى عن عصمة العبادانى قال كنت أجول فى بعض الفلوات اذ أبصرت ديرا واذا فى الدير صومعة وفى الصومعة راهب فقلت حدثنى بأعجب ما رأيت فى هذا الموضع قال نعم بينما أنا ذات يوم اذ أبصرت طائرا أبيض مثل النعامة قد وقع على تلك الصخرة فتقيأ رأسا ثم رجلا ثم ساقا واذا هو كل ما تقيأ عضوا من تلك الاعضاء التأمت بعضها على بعض أسرع من البرق حتى استوى رجلا جالسا فاذا هم بالنهوض نقره الطائر نقرة قطعت أعضاؤه ثم يرجع فيبتلعه فلم يزل على ذلك أياما فالتفت اليه يوما وقلت أيها الطائر اسألك بحق الله الذى خلقك وبراك ألا أمسكت عنه حتى أسأله فيخبرنى بقصته فأجابنى الطائر بصوت عربى طرق لربى الملك وله البقاء الذى يفنى كل شىء ويبقى أنا ملك من ملائكة الله موكل بهذا الجسد لما اجترم فالتفت اليه فقلت يا هذا الرجل المسىء الى نفسه ما قضيتك ومن أنت قال أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب وأنى لما قتلته وقتلت وصارت روحى بين يدى الله ناولنى صحيفة مكتوبة فيها ما عملته من الخير والشر منذ ولدتنى أمى الى ان قتلت عليا وأمر الله هذا الملك بى الى يوم القيامة فهو يفعل ما تراه ثم سكت فنقره ذلك الطائر نقرة ونثر اعضاؤه بها ثم جعل يبتلعه عضوا عضوا ثم مضى • قال فى شرح الصدور عقب ايراده قلت هذا الاسناد ليس فيه من تكلم فيه سوى ابى على شيخ تمام فقد قال الذهبى فى الميزان انه كان يتهم وقال رويت هذه الحكاية من وجه آخر اخرجها البخارى فى تاريخه من طريق السلفى وساق سندها ثم قال ورويت من طريق آخر وساقها وقد اخرج ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقى والطبرانى عن ابى امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح فقال انى

رأيت رؤيا وهى حق فاعقلوها اتانى رجل فاخذ بيدى فاستتبعنى حتى اتى جبلا وعرا طويلا فقال لى ارقه فقلت لا استطيع فقال انى مساهله لك فجعلت كلما رفعت قدمى وضعتها على درجة حتى استوينا على اعلا الجبل فانطلقنا فاذا نحن برجال ونساء مشققة اشداقهم فقلت ما هؤلاء فقال الذين يقولون ما لا يفعلون ثم انطلقنا فاذا نحن برجال ونساء مسمرة اعينهم وآذانهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يرون اعينهم ما لا ترى ويسمعون آذانهم ما لا يسمعون ثم انطلقنا فاذا نحن بنساء معلقات بعراقيبهن مصوبة رؤوسهن تنهش ثديهن الحيات قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتى يمنعن اولادهن البانهن فانطلقنا فاذا نحن برجال ونساء معلقين بعراقيبهم مصوبة رؤوسهم يلحسون من ماء قليل وحماء قلت من هؤلاء قال الذين يصومون ثم يفطرون قبل تحلة صومهم فاذا نحن برجال ونساء اقبح شيء منظرا واقبح لونا وانتنه ريحا كانما ريحهم ريح المراحيض قلت من هؤلاء قال هؤلاء المراؤون والزناة ثم انطلقنا فاذا نحن بموتى اشد شيء انتفاخا واقبح ريحا قلت من هؤلاء قال هؤلاء موتى الكفار ثم انطلقنا فاذا نحن برجال تحت ظلال شجرة ما هؤلاء قال هؤلاء موتى المسلمين ثم انطلقنا فاذا نحن بغلمان وجوار يلعبون بين نهرين قلت ما هؤلاء قال ذرية المؤمنين ثم انطلقنا فاذا نحن برجال احسن شيء وجوها وأحسنه لبوسا واطيبه ريحا كأن وجوههم القراطيس قلت من هؤلاء قال هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون اه * قوله مصوبة اى مخفوضة الى اسفل وفى الامهات حديث طويل رأى صلى الله عليه وسلم عوالم من المعذبين فالحاصل انه يعلم من مجموع ما ورد ان الارواح من بعد الموت منعمة أو معذبة قال ابن القيم عذاب القبر قسمان دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة ثم يرفع عنه وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك وقال فى البدائع نقلت من خط القاضى أبى يعلى فى تعاليقه لابد من انقطاع عذاب القبر لانه من عذاب الدنيا وعذاب الدنيا وما فيها منقطع فلابد ان يلحقهم الفناء والبلاء ولا يعرف مقدار مدة ذلك قال فى شرح الصدور بعد نقله ما تقدم قلت ويؤيد هذا ما اخرجه هناد بن السرى فى الزهد عن مجاهد قال للكفار ضجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فاذا اصيح باهل القبور يقول الكافر يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ويقول المؤمن الى جنبه (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اه واذا عرفت هذا فقول الناظم ان من

الارواح ما يكون محبوسا عن فتنة القبر فلم اجده بل ظاهر ما اسلفنـــــاه من الاحاديث من اول الكتاب انه لا يسلم احد من فتنة القبر ولا يحبس عنهـــا فالله اعلم بمراده ان اردا فتنة اخرى قال الناظم •

وهــذه المسألة الشريفه اودعتها كراســـة لطيفه

يريد مسألة تقسيم الارواح الى منعمة ومعذبة ومحبوسة كما هو ظـــاهر سياقه رحمه الله تعالى

ضمنتهما فوائد نفيســـه لمن له اهلية أنيســـــه
اذ شهرت عنى ملأ البلد ولم يكن يعرفهـــا من أحد
وانمـــا بادر بالانكار من ليس أهل الحفظ للآثار
ومن غدا ليس من اهــل المعترك
فذاك ذو الحمــاقة بل ذاك ارك
فصنت ما الفتنة عن بذله فانهم لم يغنـــدو من اهله
وانمـــا يصــلح للافــاده ذو ادب نرجى له السعاده

كانه وقع انكار من جماعة من اهل عصره لما اشتملت عليه الكراسة التى ذكرها وذلك لقصورم عن معرفة ما عرفه والفه وصنفه فصان بعد ذلك مـؤلفه عمن لم يكونوا من اهله قال

خـــاتمة

اللالكائى روى فى السنه
عن بعض اهل الكشف اهل الرؤية

فى القاموس اللالكائى بهمزة فى آخره بعدها ياء النسب هو ابو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازى الضرير اه وفى تذكرة الحافظ الفقيـــــه الشافعى محدث بغداد والف كتابا فى السنة وكتابا فى رجال الصحيحين وكتابـا فى السنن وعاجلته المنية وقوله اهـل الكشف • والكشف فى اللغة الاظهار ورفع شىء عما يواريه كما فى القاموس ومراد الناظم هنا المعنى الاصطلاحى الذى عرفه المناوى بقوله انه اصطلاحا الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعانى المغيبة والامور الخفية الحقيقية وجودا وشهودا انتهى

بأن ثمـــة ملكين ينزلان يلقنا الحجة حين يسـألان

والرواية التى اخرجها اللالكائى ذكرها الناظم فى شرح الصدور فقال اخرج اللالكائى فى السنة بسنده عن محمد بن نصر الصائغ قال كان ابى مولعا بالصلاة على الجنائز من عرف ومن لم يعرف فقال يا بنى حضرت يوما جنازة فلما دفنوها نزل الى القبر نفسان ثم خرج واحد وبقى الآخر وحثى الناس التراب فقلت ياقوم يدفن حى مع ميت فقالوا ما ثمة احد فقلت لعله شبه لى ثم رجعت فقلت ما رأيت الا اثنين خرج واحد وبقى اخر لا ابرح حتى يكشف الله لى ما رأيت فجئت الى القبر فقرأت عشر مرات يس وتبارك وبكيت وقلت يارب اكشف عما رأيت فانى اخاف على عقلى ودينى فانشق القبر فخرج منه شخص فولى مبادرا فقلت بمعبودك هلا وقفت حتى اسألك فلما التفت الى فقلت الثانية والثالثة فالتفت الى وقال انت نصر الصائغ قلت نعم قال ما تعرفنى قلت لا قال نحن ملكان من ملائكة الرحمة وكلنا باهل السنة اذا وضعوا فى قبورهم نزلنا حتى نلقنهم الحجة وغاب عنى اه قلت واعلم ان الناظم قد جعل الكشف عمدة هذا الحكم ونحب انشاء الله صدقه الا ان الكشف لا يستدل به ولا بالالهام فى الاحكام قال العلامة ابو العباس ابن تيميه شيخ الاسلام فى كتابه منهاج الاعتدال ما حاصله ان الكشف والالهام لا يلتفت اليهما فى الاديان والاحكام قال ولو كان الالهام طريقا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احق من قضى به وقد قال صلى الله عليه وسلم قد كان فى الامم محدثون فان يكن فى امتى احد فعمر وعلى هذا فلم يكن عمر يحكم بالالهام أو بمجرد ما يقع على قلبه حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة فان وافقه قبله والا رده اه والالهام لغة ايقاع الشيء فى القلب كما يقال الهمه الله الصبر وعرفا ايقاع الشيء فى القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض اصفيائه وهو غير حجة ان صدر عن غير معصوم لعدم الثقة بخواطره لانه لا يؤمن من دسيسة الشيطان فيها وقيل هو حجة نفسه فقط وقيل مطلقا لادلة لا تجدى قاله القاضى زكريا فى شرح اللب وهو من ائمة الشافعية وفى النفسية ومؤلفها من ائمة الحنفية ان الالهام ليس من اسباب العلم وقواه سعد الدين فى شرحه ولا تجد من يدعى الكشف ويفرق ما بينه وبين الالهام الا بالدعوى هذا ما يتعلق بقوله الكشف وقد سرد القرطبى فصلا فى كتابه التذكرة ذكر فيه كلام أبى حامد الغزالى فى كتابه كشف علوم الآخرة حديثا طويلا لم انقله الى هنا لانه قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ان فى هذا الكتاب احاديث

واهية كثيرة ولعل هذا الحديث الذى ساقه القرطبى منها فان فيه عجائب وفيه ذكر الملك رومان الذى قدمناه قريبا ضعف الرواية بذكره .

وعن شقيق ان من يعانى بعينه قراءة القرآن

شقيق هو البلخى الزاهد التقى ومراده ان من يقرأ القرآن بعينيه من المصحف يلقن حجته ولم اجد رواية شقيق بلفظها قال الناظم رحمه الله تعالى

وفيه جاءت عدة آثار وبعضها اخرجها البزار

الآثار جمع اثر وهى مرفوعة على البدلية من عدة واكثر اطلاق الاثر على ما لم يكن مرفوعا ولا موقوفا على صحابى

هذا تمام ما اردت نظمه والحمد لله الذى اتمه

نظمته للمؤمنين تبصرة

ارجو بها التثبيت عند الثرثرة

فى مائة ونصفها سريه ابياتها كالانجم الدريه

السرى النفيس والدرى منسوب الى الدر والمراد انها فى الاضاءة واشراق معانيها كالكوب الدرى

واحمد الله على ما يلهم ثم على نبيه اسلم

حذف الصلاة ولم يذكر الآل كانه اكتفى بما سلف فى أول الابيات فانها كلام واحد وشىء متجدد الله يحسن جزاءه عن الاسلام واهله ويزيده من احسانه وفضله قال العبد الفقير الى مولاه محمد بن اسماعيل الامير اصلح الله له أمور دينه ودنياه ثم انى لما فرغت بحمد الله من شرح هذا النظام وايداع شرح فوائده تروق لذوى الافهام أحببت ان اكمله بنظمى رسالة الجلال السيوطى رحمه الله المسمى « بشرى الكئيب بلقاء الحبيب » وشرحها وشرح ذلك بما ارجو بهما من الاثابة اكمل اجر ونصيب وانما ضممته اليه لان ابيات التثبيت وشرحها من قسم الترهيب وبشرى الكئيب من قسم الترغيب ورأيت الله تعالى يجمع فى كتابه بين هذين الامرين كثيرا فيأتى بالوعيد ثم بالوعد وعكس ذلك فى عدة آيات فالله أسأله ان يجعله مرقوما فى صحائف الحسنات ويمحو به ما أسلفنا من السيئات ويجعل الموت راحة لنا من الآفات ويجعل القبر لنا روضة من رياض الجنات وهذا أول ما نظمناه وشرحناه وجعلته كالذيل لابيات التثبيت وسميته تأنيس الغريب فى النظم وشرح بشرى الكئيب

الحمد لله على التوفيق لشرح هذا النظم بالتحقيق
شرحا بديعا قدحوى نفائسا زففتها للاذكيا عرائسا

ثم رأيت بعد شرح النظم انى اذيل نظمه بنظمى

اى اجعل نظمى لما نظمه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب ذيلا لنظم السيوطى لابيات التثبيت التى فرغنا من شرحها ولذا قلنا

لما حوى بشرى الكئيب فاستمع
عسى يلقاك الحبيب تنتفع

قد قال خير الخلق ما معناه تحفة من يؤمن فى لقياه
للموت ما من راحة سواه ريحانه غنيمة يلقاه
وانما الدنيا له كالسجن ان مات لم يبق له من حزن

وانه خير له من الفتن وفى الحياة لا يزال فى محن
والموت كفارة كل مسلم يا حبذا يا حبذا من مغنم

اعلم انه اشتمل النظم على أن الموت تحفة كل مؤمن وراحة المؤمن وريحانته وغنيمته فهذه اربعة اسماء له بالنسبة الى المؤمن وان الدنيا سجنه وأن الموت خروجه من سجنه وأن الموت كفارة لكل مسلم وأنه خير له من الفتنة وهذه وردت بها احاديث مرفوعة فهذه اربعة اسماء له بالنسبة الى المؤمن واخرج ابن المبارك فى الزهد وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت والطبرانى فى معجمه الكبر والحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت • واخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن الحسين ابن على رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ريحانة المؤمن الموت • واخرج أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت غنيمة المؤمن واخرج احمد بن حنبل فى مسنده وسعيد بن منصور فى سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يكره المؤمن الموت والموت خير له من الفتنة • واخرج ابن المبارك فى الزهد والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا مات فارق السجن والسنه قوله وسنته بالسين المهملة بلفظ السنة المعروفة اضيفت اليه والسنة القحط كما فى القاموس أو المجدبة من الارض كما فيه واخرج أبو نعيم عن انس رضى

الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم • واخرج ابن المبارك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المغمن حين يخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فاخرج منه فجعل يتقلب فى الارض ويتفسح فيها واخرج ابن لال عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا الدنيا لا تصفو للمؤمن كيف وهى سجنه وبلاؤه واخرج ابن أبى شيبة والطبرانى عن ابن مسعود قال الموت تحفة لكل مسلم واخرج ابن المبارك وابن ابى شيبة عن ارلبيع بن خثيم قال ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت واخرج احمد فى الزهد عن ابن مسعود قال ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله واخرج ابن ابى الدنيا عن مالك بن مغول قال بلغنى ان اول سرور يدخل على المؤمن الموت لما يرى من كرامة الله وثوابه واخرج سعيد بن منصور فى سننه وابن جرير فى تفسيره عن ابى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال ما من مؤمن الا والموت خير له وما من كافر الا والموت خير له فمن من لم يصدقنى فان الله يقول وما عند الله خير للابرار « ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم • قلت قال الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير انه صححه ابن العربى وها هنا فوائد الاولى قوله صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن فى القاموس التحفة بالضم وكهمر البر واللطف والطرفة اه وفيه الغنيمة الفوز بالشىء بغير مشقة وفيه الريحان نبت طيب الرائحة أو كل نبت كذلك والكفارة ما كفر به من صدقة وصوم ونحوهما كل هذا أفاده القاموس وفى النهاية الكفارة هى عبارة عن الفعلة والخصلة التى من شأنها ان تكفر الخطيئة ان يسترها ويمحوها وهى فعالة كفتالة وضرابة للمبالغة وهى من الصفات الغالبة من باب الاسمية اه قال القرطبى وانما جعله كفارة لما يلقاه الميت عنده من الآلام والاوجاع وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من شوكة فما فوقها الا كفر الله عنه بها من سيئاته فما ظنك بالموت الذى سكرة من سكراته اشد من ثلثمائة ضربة بالسيف قلت وكذلك تسميته غنيمة لما ينال منه من الاجر والثواب كما سمى صلى الله عليه وآله وسلم الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة كما سماها تحفة فانه برد لطف بالعبد المؤمن ولطف به يخرجه مولاه من دار الاكدار الى اشرف جوار كما قال التهامى رحمه الله •

جاورت اعدائى وجاور ربه　　شتان بين جواره وجوارى

ولهذا قال فى الحديث الذى قدمناه فى حديث تميم الدارى

عنه صلى الله عليه وسلم انه تعالى يقول لملك الموت انطلق الى وليى فأتنى به فانى قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث احب فأتنى به لاريحه من هموم الدنيا وغمومها الحديث ولهذا أعده فى هذه الاحاديث راحة وريحان وقد اخرج الشيخان عن ابى قتادة قال مر على النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال مستريح ومستراح منه فقالوا يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه فقال العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا واذاها الى رحمة الله والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وسمى الدنيا سجن الميرمن والموت خروجه من السجن والسجن معرف معناه وهى الحبس وصاحبه سجان كما فى القاموس وانما كان المؤمن محبوسا فى الدنيا لانه ممنوع بالاوامر الشرعية والنواهى عن التفريط فى الاوامر والارتكاب للمناهى فلا يتخلص عن هذين الامرين الا بفراقه الدنيا ولانه فى سجن مصائب الدنيا وفتنتها ومدافعة اعدائه ومداراة اصدقائه ومكابدة التكليف وبلائه ولذا قال منصور الفقيه رحمه الله تعالى :

قد قلت اذ مدحوا الحياة فاسرفوا   فى الموت الف فضيلة لا تعرف
فيها أمان لقائه بقائه   وفراق كل معاشر لا ينصف

واخرج ابن ابى الدنيا عن مسروق قال ما غبطت شيئا لشىء كمؤمن فى لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من اذى الدنيا الفائدة الثانية فى جعل الدنيا سجنا للمؤمن وجنة للكافر سؤال مشهور وهو انه كم من مؤمن فى نعيم فى الدنيا وكم من كافر فى بلاء وضيق فيها وقد اجيب عنه بجوابين احدهما قد اشرنا اليه وهو ان المؤمن فى سجن تكاليف الاوامر والنواهى وتقيده بهما وجهاده لنفسه فعلا وتركا والكافر مطلق العنان لا يتقيد لامر ولا نهى فهو كالذى فى الجنة قد رفعت عنه التكاليف والجواب الثانى ان المؤمن باعتبار ما يؤول اليه حاله من الجنات والانهار والحور العين والانوار والجدم والخول ومالا يدخل تحت حصر انسان ولا قلم مما يكون فيه من النعيم لو لم يكن الا الخلود فى الابد والاستغناء عن كل واحد والملائكة يدخلون بالسلام عليهم من كل باب والولدان كاللؤلؤ المنثور يدورون عليهم بالكؤوس والاكواب فى سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمادق مصفوفه وزرابي مبثوثه ولحم طير مما يشتهون وفاكهة مما يتخيرون ونعيم لا يعد ولا يحصر ورضوان من الله اكبر يكون هو فى الدنيا فى سجن وان كان فى ماله كقارون وفى عزه كمن قهر الاقران واستأصل القرون وخضعت له الاكوان

ومن فيها من الحيوان بل لو نال ما ناله نبى الله سليمان لكان بالنسبة الى ما يناله كأنه كان فى ظلمة السجون واسر السجان فان الدار الاخرة هى الحيوان وان الكافر باعتبار ما ينضحه من الحريق وما يصبح به من الزفير والشهيق وما يدعو به من الويل والثبور فى النار وما يتجرعه من الحميم والغساق فى دار البوار وما يتبعه من الخلود وكلما نضجت جلودهم ابدلوا عنهـــا الجلود تنهشه حيات جهنم وتحاربها وتصهر بطونهم والجلود بمشاربها فهو لو كان فى اضيق ســجن من سجون الدنيا واقبح ضيق يناله الاحياء واعظم بلية يبتلى بها الانسان بل لو كان فى الدنيا تلتهب به النيران لكان بالنسبة الى ما آلت به معـــــاصيه وجلب له كمره وقبيح تعاطيه من الخلود فى الجحيم والعذاب المهين الاليم فى اعظم جنان الدنيا واشرف الرتب العليا الفائدة الثالثة فى تسميته صلى الله عليه سلم للدنيـــا سجن المؤمن ما يفيد انه من حين يموت يخرج من ضيق الى سعة وان منزله بعد فراقه الدنيا اوسع وحاله بعدها ارفع

منزله بعد الممات اوســع وقبره خير له وارفــع

اخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شبهت خروج ابن آدم من الدنيا الا مثــل خروج الصبى من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة الى روح الدنيـــا واخرج النسائى عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مـــا على وجه الارض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب ان ترجع اليكم ولهــا نعيم الدنيا وما فيها واخرج ابن ابى الدنيا من مراسيل سليمان بن عامر الجبــابرى مرفوعا ان مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن امه اذا خرج من بطنهــا بكى حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المــؤمن يخرج من الدنيا فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحــب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقد ثبت بالاحاديث التى قدمناها انه يوســع فى قبره وقد سلف عن ابن القيم ان نسبة سعة البرزخ بالنسبة الى سعة الدنيــا كمن يخرج من ضيق الرحم وهذا هو الذى افادته الاحاديث التى ذكرناها قريبا وقــد ثبت فى الاحاديث ان القبور روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النـــار وقد عقد الحافظ السيوطى فى شرح الصدور بابا فى احــوال الموتى فى قبورهم وانسهم فيها وانهم يصلون ويقرؤون القرآن ويتزاورون ويتنعمون ويلبســون

واخرج الطبرانى فى الاوسط والاصبهانى فى الترغيب عن ابن عمر قـال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة عند المـوت ولا فى قبورهم ولا فى منشرهم واخرج ابو القاسم الجيلى فى الديباج عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخبرنى جبريل ان لا اله الا الله انس للمسل عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره

فصـــل

في تسليم الله تعالى على من فى السياق من المؤمنين وتسليم الملائكة عليهم ايضا

وفى السياق بالسلام يلتقى من ربـه ومن اولئك الملا

الملا المراد بهم الملائكة الذين يرسلون الى من اراد الله قبض روحه ولك ان تجعله ترخيما للملائكة فهو جائز فى غير المنادى للضرورة والبيت اشـارة الى ما اخرجه أبو القاسم بن مندة عن ابن مسعود قال اذا اراد الله قبض روح المؤمن اوحى الى ملك الموت أقرئه منى السلام فاذا جاء ملك الموت لقبض روحه قـال ربك يقرئك السلام واخرج ابن ابى شيبة فى المصنف وابن ابى حاتم وابن ابى الدنيا والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب عن البراء بن عازب فى قوله تعـالى « تحيتهم فيها سلام » قال يوم يلقون ملك الموت ليس من مؤمن يقبض روحـه الاسلم عليه واخرج البيهقى فى الشعب وابو الشيخ فى العظمة وابو القـاسم بن مندة فى كتاب الاحوال عن ممحد بن كعب القرظى قال اذا استنقعت روح العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولى الله يقرأ عليه السـلام قوله استنقعت فى النهاية الستنقعت نفس المؤمن اذا اجتمعت فيه تريد الخروج كمـا يستنقع الماء فى قراره اه واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله تعالى « سلام لك من اصحاب اليمين » قال تأتيه الملائكة بالسـلام من قبل الله فتسلم عليه وتخبره انه من اصحاب اليمين واخرج عبد بن حميـد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله « سلام لك من اصحاب اليمين » قال سلام من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله فهذا سلام الله وسلام ملائكته المشـار اليه وكفى به تعظيما وتكريما

فصـــل

بشرى المؤمن ولقاء الملائكة لروحه بالاكفان وبالروح والريحان

يلقون بالبشرى وبالاكفان
والروح والريحـان والرضوان

اخرج الشيخان عين عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه فقالت عائشة انا لنكره الموت قـال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وبكرامته فليس شيء احب اليه ممـا امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه الحديث واخرج ابو القـاسم بن منده عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اول ما يبشر به المؤمن عنـد الوفاة روح وريحان وجنة نعيم واما أول ما يبشر به المؤمن فى قبره فيقـال ابشر برضى الله والجنة قدمت خير مقدم قد غفر الله لمن شيعك الى قبرك وصدق من شهد لك واستجاب لمن استغفر لك واخرج ابن ابى شيبة واحمد فى الزهد وعبد ابن حميد وابن المنذر عن الربيع بن خثيم فى قوله تعالى (فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) هذا عند الموت وتخبأ له الجنة الى يوم البعـــث واخرج عبد بن حميد وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت وعبد اله بن احمـــد فى زوائد الزهد عن ابى عمران الجونى فى قوله (فامـا ان كان من المقربين فروح وريحان) قال بلغنى ان المؤمن اذا نزل به الموت يلقى بقنابر من الريحـــان من الجنة فتجعل روحه فيه واخرج البزار وابن مردويـه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن اذا احتضر جاءته المـلائكة بحريرة فيها مسك وصنابر وريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقـال ايتها النفس المطمئنة اخرجى راضية مرضـــيه عنك الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت على الحريرة وذهـب بها الى عليين واخرج ابن ابى الدنيا فى ذكر الموت عن ابراهيم قال بلغنا ان المؤمن يستقبل عند موته بطيب من طيب الجنة وريحـــان من ريحان الجنة فتقبض روحه فتجعت فى حرير من حرير الجنة ثم ينضـــح بذلك الطيب ويلف فى الريحان ثم ترتقى به ملائكة الرحمة حتى يجعـــل فى عليين واخرج ابن ابى شيبه عن ربعى بن خراش قال اتيت فقيل لى قد مات اخوك فجئت سريعا وقـد

مسجى بثوبه فانا عند رأس اخى استغفر له واسترجع اذ كشف الثوب عن وجهه فقال السلام عليكم فقلنا عليك السلام سبحان الله قال سبحان الله انى قدمت على الله بعدكم فتلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان وكسانى ثيابا خضرا من سندس واستبرق ووجدت الامر يسرا فما تظنون ولا تتكلموا انى استأذن ربى انى اخبركم وابشركم اذهبوا بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عهد الى ان لا ابرح حتى آتيه ثم طغى مكانه واخرج ابو نعيم عن ربعى قال كنا اربعة اخوة وكان ربعى اخى اكثرنا صلاة واكثرنا صياما وانه توفى فبينما نحن حوله اذ كشف الثوب عن وجهه فقال السلام عليكم فقلنا عليك السلام ابعد الموت قال نعم اننى لقيت ربى بعدكم فلقيت ربا غير غضبان واستقبلنى بروح وريحان واستبرق الا ان ابا القاسم ينتظر الصلاة بى فعجلوا بى ولا تأخذونى ثم طغى فنمى الحديث الى عائشة رضى الله عنها قالت اما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يتكلم رجم من امتى بعد الموت قال أبو نعيم حديث مشهور واخرجه البيهقى فى الدلائل قال صحيح لا شك فى صحته واخرج ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف جدا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اذا كان العبد عند فراق الدنيا صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كأن وجوههم الشمس ينظر اليهم مايرى غيرهم مع كل ملك منهم اكفان وحنوط فان كان مؤمنا بشروه بالجنة وقالوا اخرجى ايتها النفس المطمئنة الى رضوان الله وجنته فقد أعد لك من الكرامة ما هو خير من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فلهم الطف وأرأف من الام الوالدة بولدها فيسلمون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الاول فالاول ويهون عليه الى ان قال فيتولى قبضها ملك الموت فيتلقاها باكفان بيض ثم تحضنها اليه فلهو اشد لزوما لها من المرأة بولدها ثم يفوح اليها اطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحبا بالروح الطيب والرائحة الطيبة اللهم صل عليه روحا وعلى جسده خرجت منه فيصعدون بها الى الله فيعرج لهم منها ريح اطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها وتفتح لهم ابواب السماء فيصلى عليها كل ملك فى كل سماء تمر بهم حتى ينتهى بها الى الملك الجبار فيقول الجبار مرحبا بالنفس الطيبة

وبجسد خرجت منه فاذا قال الرب لشيء مرحبا رحب به كل شيء فيذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة ادخلوها الجنة وأروها مقعدها من الجنـــة واعرضوا عليها ما اعددت لها من الكرامة والنعيم الحديث • واخرج جويبر فى تفسيره عن ابان عن ابن عباس قال حضرنا وفاة مورقا العجلى فلما ســجى وقلنا قد قضى رأينا نوا ساطعا قد سطع من عند رأسه حتى خرق السقف ثم رأينا نورا قد سطع من عند رجليه مثل الاول ثم رأينا نورا سطع من وسطه فمكثنـا ساعة ثم كشف الثوب من وجهه فقال هل رأيتم شيئا قلنا نعم واخبرناه بمـا رأيناه فقال تلك سورة السجدة كنت أقرأها كل ليلة وكان النور الذى رأيتم عند رأسى اربعة عشر آية من اولها والنور الذى رأيتم عند رجلى اربعة عشر آية عن آخرها والنور الذى رأيتم وسطى آية السجدة نفسها صعد وشفع لى وبقيت سورة تبارك تحرسنى ثم قضى واخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت من طريق آخر عن مورق العجلى قال عدنا رجلا وقد اغمـى عليه ثم ذكر خروج النور كما سلف ولفظه فخرج نور من رأسه حتى أتى السقف فخرقه فمضى ثم خرج نور من سرته حتى فعل مثل ذلك ثم خرج نور من رجليه حتى فعل مثل ذلك ثم افاق فقلنا له هل علمت ما كان منك قال نعم اما النــور الذى خرج من رأسى فاربع عشره آية من اول التنزيل واما الذى خرج من سرتى فانه السجدة واما النور الذى خرج من رجل فآخر سورة السجدة ذهبن يشفعن وبقيـت تبارك عندى تحرسنى وكنت اقرأهما كل ليلة ولا يبعد حصول ذلك للرجل الذى رآه مورق ثم حصل لمورق نفسه

فصـــل

فى بكاء السموات والارض على المؤمن اذا مات وترحيب قبره به

ثم عليه الارض تبكى والسما   ان كان يأتى الخير منه فيهما

اخرج الترمذى وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت وابو يعلى وابن ابى حاتم والخطيب عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبـد الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات فقداه وبكيا عليه ثم تـلا هذه الآية « فما بكت عليهم السماء والارض » وذكر انهم اى الذين لم تبك عليهم السماء والارض لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكى عليه ولم يصعد

لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام صـالح فتفقدهم فتبكى عليهم .

واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى « فما بكت عليهم السماء والارض » وهل تبكى السماء والارض على أحد قال نعم ليس احد من الخلائق الا له باب فى السماء منه ينزل رزقه ومنه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فاغلق بابه فى السماء فقده فبكى عليه واذا فقده مصلاه من الارض التى كان يصلى فيها ويذكر الله فيها بكت عليه وان قوما يموتون لم يكن لهم فى الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد الى الله منهم خير « فما بكت عليهم السماء والارض واخرج عبد ابن حميد وابو الشيخ فى العظمة عن مجاهد فى قوله تعالى « فما بكت عليهم السماء والارض » قال ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض فقيل له تبكى قال ما العجب وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس قال يقال تبكى الارض على المؤمن اربعين صباحا

فصل

في معرفة الميت من يغسله ويحمله ويكفنه ويدخله قبره

يعرف من يغسله ويحمل ويلبس الاكفان او من ينزل

اخرج احمد والطبرانى فى الاوسط وابن ابى الدنيا وابن منده عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يعرف من يغسله ويحمله ويكفنه ومن يدليه فى حفرته واخرج ابو نعيم فى الحلية عن عمر بن دينار قال ما من ميت يموت الا وروحه فى يد ملك ينظر الى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال له وهو على سريره استمع ثناء الناس عليه واخرج ابن ابى الدنيا عن سفيان ان الميت يعرف كل شيء حتى يناشد غاسله بالله الا خففت على غسلى قال ويقال له وهو على سريره استمع ثناء الناس عليك واخرج ابن ابى الدنيا عن بكر المزنى قال حدثت بان الميت يستبشر بتعجيله الى المقابر واخرج عن أيوب قال كان يقال من كرامة الميت على اهله تعجيله الى حفرته .

فصل

في ترحيب القبر بالميت ولطف ضمه له

له الى قبر به مرحب يضمه ضم الحبيب المعجب

وأما قولنا الى قبر به مرحب فهو اشارة الى ما اخرجه الترمذى وحسنه عن ابى سعيد رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دفن العبد المؤمن قال له قبره مرحبا واهلا اما ان كنت لاحب من يمشى على ظهر الى فاذا اوليتك اليوم فسترى متسعى فيتسع له مد البصر ويفتح له باب الى الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار واخرج البيهقى فى عذاب القبر وابن ابى الدنيا عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة قال القرطبى هذا عندنا محمول على الحقيقة لا المجز فان القبر يملأ على المؤمن خضرا وهو العشب من النبات وقد بينه ابن عمر فى حديثه بانه الريحان واخرج الطبرانى فى الاوسط عن ابى ايوب الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عباد الله كما تلقون البشير من أهل الدنيا الحديث واخرج ابن ابى الدنيا عن سعيد بن جبير قال اذا مات الميت استقبله قبره كما يستقبله ولده الغائب واخرج عن ثابت البنانى قال بلغنا ان الميت اذا مات احتوشته اهله واقاربه الذين كانوا يقدمونه من الموت فلهو افرح بهم وهم افرح به من المسافر اذا قدم الى اهله قلت فيدل عليه قول بعض الصحابة وهو فى سياق الموت اليوم القى الاحبة محمد وحزبه فانه يدل انه كان أمرا معروفا عندهم قال الحافظ أبونعيم لما اشتد بالحسن بن على ابن ابى طالب عليهم السلام وجعه دخل عليه رجل فرآه جزعا من الموت فقال يا ابا محمد ما هذا الجزع ما الا ان تفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك على وفاطمة وجديك محمد النبى صلى الله عليه وسلم وخديجة وعميك حمزة وجعفر وعلى واخوالك القاسم والطيب وابراهيم ومطهر وعلى وخالاتك رقية وام كلثوم وزينب فسرى عنه قوله سرى عنه بضم السين المهملة فراء مكسورة اى كشف وذهب ما كان به من الجزع واما قولنا يضمه ضم الحبيب المعجب اى

الفارح بالشيء فهو اشارة الى ما اخرجه البيهقي وابن منده عن سعيد بن المسيب ان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يا رسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال يا عائشة ان اصوات منكر ونكير فى اسماع المؤمنين كالاثمد فى العين وان ضغطة القبر كالام الشفيقة يشكو اليها ابنها الصداع فتغمز برأسه غمزا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للشاكين فى الله كيف يضغطون فى قبورهم كضغطة البيضة على الصخرة واخرج ابن ابى الدنيا عن محمد التيمي قال كان يقال ان ضمة القبر اما اصلها انها امهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما رد اليها اولادها ضمتهم اليها ضمة الوالدة التى غاب عنه ولدها ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعا ضمته برحمة وبرفق ومن كان عاصيا لله ضمته بعنف سخطة منها عليه لربها

فصل فى صلاة الاموات فى قبورهم

وربما صلوا به احيانا وفيه أيضا قرأوا القرآنا

ثبت فى الاخبار بانهم يصلون فى قبورهم فاخرج ابو يعلى والبيهقى عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « الانبياء احياء فى قبورهم يصلون » واخرج مسلم عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به مر بموسى عليه السلام وهو قائم يصلى فى قبره ثم ذكر له طرقا كثيرة واخرج ابن سعد فى الطبقات وابن ابى شيبة فى المصنف والامام احمد فى الزهد معا قال اخبرنا عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمه عن ثابت البنانى قال اللهم ان كنت اعطيت احدا الصلاة فى قبره فأعطنى الصلاة فى قبرى واخرج ابو نعيم عن جبير قال انا والله الذى لا اله الا هو ادخلت ثابت البنانى لحده ومعى حميد الطويل فلما سوينا عليه التراب سقطت لبنة فاذا انا به قائم يصلى فى قبره وكان يقول اللهم ان كنت اعطيت احدا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطنيها فما كان ليرد دعاه » واخرج الترمذى وحسنه والبيهقى والحاكم عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم هى

المنجية تنجيه من عذاب القبر قال ابو القاسم السعدى فى كتاب الروح هـــذا
تصديق من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الميت يقرأ فى قبره فان عبدالله
أخبره بذلك وصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام كمال الدين الزملكانى
فى كتاب العمل المقبول فى زيارة الرسول هذا الحديث واضح الدلالة على أن
الميت يقرأ فى قبره سورة الملك وقد وقع فى هـــذه الامة اكرام الله بعض
اوليائه بذلك واكرام بعضهم بالصلاة وكان يدعو الله فى حياته بذلك فاذا كان
من اكرام الله لبعض اوليائه تمكنهم من الطاعة والعبادة فى القبر فالانبياء عليهـم
الصلاة والسلام بطريق الاولى قال الحافظ زين الدين ابن رجب فى كتـــاب
اهل القبور قد يكرم الله بعض اهل البرزخ باعماله الصالحة فى البرزخ وان لم
يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكن انما يبقى عمله عليه ليتنعـم
بذكر الله وطاعته كما يتنعم بذلك الملائكة واهل الجنة فى الجنـــة وان لم يكن
على ذلك ثواب لان نفس الذكر والطاعة اعظم النعم عند اهلها فما تنعم المتنعمون
بمثل ذكر الله وطاعته وروى ابو الحسن ابن البراء فى كتاب الروضة عند عبدالله
ابن محمد بن منصور قال حدثنى ابراهيم الحفار قال حفرت قبرا فبدت لبنـــة
فشممت رائحة المسك حتى اتبعت اللبنة فاذا شيخ جـــالس يقرأ القرآن وروى
الحافظ ابو بكر الخطيب بسنده عن عيسى بن محمد الطومارى قال رأيـــت
ابابكر بن مجاهد المقرى فى النـــوم كأنه يقرأ فكأنى اقول له انت ميت وتقرأ
فكأنه يقول لى كنت ادعو الله دبر كل صلاة وعند ختم القرآن ان يعجلنى ممن
يقرأ القرآن فى قبره • واخرج الجلال فى كتاب السنة عن طريق ابراهيم بن
الحكم بن ابان وفيه ضعف عن ابيه عن عكرمة قال قال ابن عباس المؤمن يعطـى
مصحفا فى قبره يقرأ فيه اخرجه ابن البراء فى الروضـــة من طريق حفص بن
عمر العدنى وفيه ضعف ايضا عن الحكم بن ابان وروى الحـافظ ابو العلاء فى
النوم بعد موته وهو فى مدينة جدرانها وحيطانها كلها كتب فسئل عن ذلك فقال
سألت الله ان يشغلنى بالعلم كما كنت اشتغل به فانا اشـــتغل بالعلم فى قبرى
واخرج ابن ابى الدنيا عن يزيد الرقاشى قال بلغنى ان المؤمن اذا مات وقد بقى
عليه شىء من القرآن لم يتعلمه بعث الله اليه مـلائكة يحفظونه ما بقى منه حتى
يبعث من قبره واخرج عن الحسن بلغنى ان المـؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن

أمر حفظته ان يعلموه القرآن فى قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة معاهله واخرج ابن ابى الدنيا وابن مندة عن عطية العوفى قال ان العبد اذا لقى الله ولم يتعلم كتابه علمه الله كتابه فى قبره ليثبته عليه • واخرج ابن منده بسند ضعيف عن طلحة ابن عبد الله قد اردت مالى فى الغابة فادركنى الليل فآويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة القرآن ما سمعت احسن منها فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ذلك عبدالله الم تعلم ان الله تعالى قبض ارواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانها الذى كانت فيه واخرج النسائى والحاكم والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت قارئا يقرأ القرآن فقلت من هذا قالوا حارثة بن النعمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك البر كذلك البر وكان أبر الناس بامه واخرج البيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ارانى فى الجنة فبينما انافيها اذ سمعت صوت رجل بالقرآن فقلت من هذا قالوا حارثة ابن النعمان كذلك البر كذلك البر قلت فى الاستيعاب لابن عبد البر فى باب الحاء المهملة حارثة بن النعمان النجارى الانصارى شهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها وكان من فضلاء الصحابة ثم ذكر الحديث بسنده عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها بلفظ انه صلى الله عليه وسلم قال نمت فرأيتنى فى الجنة فسمعت صوت قارىء فقلت من هذا قالوا صوت حارثة بن النعمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك البر كذلك البر وكان أبر الناس بأبيه وأمه كما يقولون وامه هى جعدة بنت عبيد بن ثعلبة من بنى النجار قيل انه توفى فى خلافة معاوية اه باختصار ولا يخفى ان هذه القراءة التى سمعها النبى صلى الله عليه وسلم كانت فى حياة حارثة لا بعد موته وحكى اليافعى فى روض الرياحين عن بعض الصالحين قال حفرت قبر الرجل من العباد والحدثة فبينما انا اسوى اللحد سقطت لبنة من قبر يليه واذ برجل جالس فى القبر وعليه ثياب بيض تقعقع وفى حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه فقال قد قامت القيامة رحمك الله فقلت لا فقال رد اللبنة الى موضعها عافاك الله فرددتها

فصل فى تزاور الاموات فى قبورهم
وبعضها فيها يزور بعضا فحسنوا اكفان من تقضى

اخرج الحارث بن اسامه فى مسنده والديلمى فى الابانة والعقيلى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا اكفان موتاكم فانهم يتباهون ويتزاورون فى قبورهم واخرج مسلم فى صحيحه اذا ولى احدكم اخاه فليحسن كفنه قال العلماء المراد بتحسينه بياضه ونظافته وسبوغه وكثافته لا كونه ثمينا لحديث النهى عن المغالاة فيه واخرج ابن ابى شيبة فى المصنف عن ابى سيرين قال كان يحب حسن الكفن ويقال انهم يتزاورون فى اكفانهم واخرج ابن عدى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اكفان موتاكم فانهم يتزاورون فى قبورهم واخرج العقيلى والبخارى فى التاريخ عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولى احدكم اخاه فليحسن كفنه فانهم يتزاورون فى اكفانهم واخرج النسائى وابن ماجه ومحمد بن يحى الهمدانى فى صحيحه وابن ابى الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى قتاده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولى احدكم اخاه فليحسن كفنه فانهم يتزاورون فى فى قبورهم قال البيهقى بعد تخريجه وهذا لا يخالف قول ابى بكر الصديق انما هوللمهلة يعنى الصديد لانه كذلك فى رؤيتنا ويكون كما شاء الله فى علم الله قلت بل الجواب ما قاله ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه نفه فيما اخرجه عبد الله بن احمد فى زوائد الزهد عن عبادة بن بشر قال لما حضرت ابا بكر الوفاة قال لعائشة اغسلى ثوبى هذين وكفنينى بهما فانما ابوك احد رجلين اما مكسو حسن الكسوة أو مسلوب اسوأ السلب فقد حسن كفنه وأمر بغسله واخبر انه يكسى خيرا منه أو يسلب عنه واخرج ابن ابى الدنيا بسنده ان عمر بن الخطاب قال فى وصيته اقصدوا فى كفنى فانه ان كان لى عند الله خير منه بدلنى ما هو خير منه وان كنت على غير ذلك سلبنى واسرع سلبى واقصدوا فى حفرتى فانه ان كان لى عند الله خير وسع قبرى مد بصرى وان كنت على غير ذلك ضيعة حتى تختلف اضلاعى واخرج سعيد ابن منصور وابن ابى شيبة وابن

ابى الدنيا والحاكم عن حذيفة انه قال عند موته ابتاعوا لى ثوبين ولا عليكم ان تغالوا فان يصب صاحبكم خيرا يكسى خيرا منها والا سلبها سلبا سريعا قلت وكانت الكسوة فى القبر تختص ببعض عباد الله فقد اخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب المقامات بسنده الى راشد بن سعدان رجلا توفيت امرأته فرأى نساءا فى المنام ولم ير امرأته معهن فسألهن عنها فقلن انكم قصرتم فى كفنها فهى تستحى ان تخرج معنا فاتى الرجل النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم انظر هل الى ثقة من سبيل فاتى رجلا من الانصار قد حضرته الوفاة فاخبره فقال الانصارى ان كان احد يبلغ الموتى فتوفى الانصارى فجاء بثوبين مشدودين بالزعفران فجعلهما فى كفن الانصارى فلما كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته وعليها الثوبان الاصفران قال الحافظ السيوطى هذا مرسل لا بأس باسناده واخرج ابن الجوزى فى كتاب عيون الحكايات بسنده عن محمد بن يوسف الفريابى قال كانت امرأة بقيسارية توفيت فرأتها ابنة ربها فى المنام فقالت يا بنية كفنتمونى بكفن سىء وانا بين صواحباتى استحى منهن وفلانة تأتينا يوم كذا وكذا وفى موضع كذا اربعة دنانير فاشتروا لى بها كفنا وابعثوا به الى معها قالت البنت ولم اعلم ان لها فى الموضع الذى ذكرت دنانير كما ذكرت ولم يكن بالمرأة التى ذكرت بأس فلما كان بعد اعتلت قال الغريابى فجاءونى فقالوا لى يا عبد الله ما تقول وقصوا على القصة فذكرت الحديث الذى ورد انهم يتزاورون فى اكفانهم فقلت اشتروا لها كفنا وذهبت البنت الى المرأة وقالت ان حدث لك حادث الموت فانى ابعث لامى بشىء تبلغينه فماتت ذلك اليوم الذى ذكرت ووضعوا الكفن معها فى كفنها فرأت البنت امها فى المنام فقالت يابنية قد اتتنا فلانة ووصل الينا الكفن جزاك الله خيرا قال ابن القيم فى كتاب الروح فى مسألة تزاور الارواح • الارواح قسمان معذبة ومنعمة • فاما المعذبة فهى فى شغل عن التزوار والتلاقى واما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا فتكون كل روح منها مع رفيقها التى على مثل عملها وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الاعلى قال تعالى « ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى

البرزخ وفى دار الجزاء والمرء مع من احب فى هذه الدور الثلاثة قال ابن القيم وقد تواترت المرائى بذلك وذكر منها شيئا كثيرا ثم قال وقد جاءت سنة صريحة بذلك ثم ذكر انه اخرج ابن ابى الدنيا وساقه بسنده انه لما مات بشر بن البراء ابن معرور وجدت عليه امه وجدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل يتعارف الاموات فارسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذى نفسى بيده يا ام بشر يتعارفون كما تتعارف الطير فى رؤوس الشجر فكان لا يهلك هالك من بنى سلمة الا جاءته ام بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام وذكر ابن ابى الدنيا فى حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال اهل القبور يتلقفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول صالح مافعل فلان صالح ما فعل فلان فيقول الم يأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وذكر معاوية بن يحيى عن عبد الله بن سلمة ان ابا رهم التنوخى حدثه ان ابا ايوب الانصارى حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعلت فلانه وهل تزوجت فلانه فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه مات قبلى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية فبئست الام وبئست المربية

فصل

اما تلاقى الارواح الاحياء والاموات فانه قد عقد لها ابن القيم مسألة وقال ان شواهدها وادلتها اكثر من ان يحصيها الا الله تعالى والحس فى الواقع من اعظم الشهود لها فتلتقى ارواح الاحياء والاموات كما تتلاقى أرواح الاحياء ثم تكلم على ذلك وذكر مرائى صادقة واسعة وقد قدمنا كثيرا من ذلك مما ذكروه ومما لم يتقدم انه قال سعيد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى فقال احدهما للاخر ان مت قبلى فالقنى فاخبرنى ما لقيت من ربك وان انا مت قبلك لقيتك فاخبرتك فقال الآخر وهل يلتقى الاموات والاحياء قال نعم ارواحهم فى الجنة تذهب حيث شاءت قال فمات فلان فلقيه فى المنام فقال توكل وابشر فلم ار مثل المتوكل قط وقال العباس بن عبد المطلب كنت اشتهى ان ارى

عمر فى المنام فما رأيته الا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغى وان كان عرنيني لتهتد لولا ان لقيت رؤوفا رحيما وقال عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز رأيت ابى فى المنام بعد الموت كأنه فى حديقة فدفع الى تفاحات فاولتهن الولد فقلت اى الاعمال وجدت افضل قال الاستغفار اى بنى ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقلت يا امير المؤمنين ليت شعرى الى اى الحالات صرت بعد الموت قال يا مسلمة هذا اوان فراغى والله ما استرحت الا الآن قلت فأين أنت يا أمير المؤمنين قال مع ائمة الهدى فى جنات عدن ، ثم ساق عدة منامات وقال آخر سياقها وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات غير معصومة فتأمل من رأى صاحبا له أو قريبا أو غيره واخبره بما لا يعلمه الا صاحب الرؤيا أو اخبره ما دفنه هو أو غيره أو حذره من أمر يقع أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال أواخبره انه يموت هو أو بعض اهله الى كذا وكذا فيقع كما اخبره والواقع من ذلك لا يحصيه الا الله والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب قال والرؤيا على ثلاثة انواع رؤيا من الله تعالى ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصالحة منها الهام يلقيه الله فى قلب العبدوهو كلام يكلم به الرب عبده فى المنام قاله عباده بن الصامت ومنها التقاء روح النائم بارواح الموتى من أهله وأقاربه واصحابه وغيرهم كما ذكرنا ومنها عروج الروح الى الله سبحانه وتعالى وخطابها له ومنها دخول روحه الى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء ارواح الاحياء والموتى نوع من انواع الرؤيا الصحيحة التى هى عند الناس من جنس المحسوسات ثم قال وقد ذكره الحافظ ابو عبد الله بن منده فى كتاب النفس والروح من حديث محمد بن حميد قال حدثنا ابو عبد الرحمن الاوسى قال اخبرنا الازهر بن عبدالله الازدى عن محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال لقى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال يا ابا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاثة اسألك عنهن فهل عندك منها من علم فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وما هن ؟ قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال على رضى الله عنه نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الارواح جنود مجندة تلتقى فى

الهول فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف قال عمر واحدة قال عمر الرجل يحدث الحديث اذ نسيه فبينما هو فى نفسه اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما فى القلوب قلب الاوله سحابة كسحابة القمر بينما القمر مضىء اذ تخلله سحابة فأظلم اذ تجلت فأضاء وبينما القلب يتحدث اذ تخللته سحابة فنسى اذ تجلت عنه فتذكر قال عمر اثنان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل ينام فيمتلىء نوما الا عرج روحه الى العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب فقال عمر ثلاثة كنت فى طلبهن والحمد لله أصبتهن قبل الموت ثم قال وقد يوكل الله الرؤيا الصادقة ملكا علمه والهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها وتقلبها فى دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه شىء منها بشىء ولا يغلط فيها فتأتيه نسخته من علم عند الله من ام الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير أو شر فى دينه أو دنياه ويضرب له الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة تبشره بخير قدمه ويقدمه أو ينذره من معصية ارتكبها أو هم بها ويحذره من مكروه انعقدت اسبابه ليعارض تلك الاسباب باسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التى جعلها الله سبحانه فى الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكرة وتعريفا وجعل احد طرق تلك تلاقى الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الاخرة عن منام رآه أو رؤى له ممن استغنى واصاب كنزا ودفينا عن منام وهذا عبد المطلب دل على زمزم فى النوم واصاب الكنز الذى كان هنالك كما فى سيرة ابن هشام وغيرها

فصل

فى معرفة الاموات من اتاهم زائرا وأنسهم به وردهم السلام عليه

ويعرفون من اتاهم زائرا ... ويأنسون ان اتى المقابرا
وسلموا ردا على المسلم ... فى اى يوم قاله ابن القيم

اخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب القبور عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم واخرج البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال اذا مر رجل بقبر يعرفه فسلم عليه الا رد عليه السلام قال ابن القيم فهذا نص فى انه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام واخرج ابن عبد

البر فى الاســـتذكار والتمهيد عن ابن عباس رضى الله تعـالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وصححه ابن عبد الحق واخرج الصابونى فى المأثر عن ابى هريرة مرفوعا والاربعين الطـائفة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال آنس ما يكون الميت فى قبره اذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا واخرج ابن ابى الدنيا والبيهقى فى الشعب عن محمد بن واسـع قال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوار يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعـده واخرج ايضا عن الضحاك قال من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميـت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة قال ابن القيم الاحـــاديث والآثار تدل على أن الزائر متى علم به المزور وسمع سلامه انس بهورد عليـه وهذا عام فى حق الشهيد وغيره وانه لا توقيت بيوم الجمعة ولا غيرهـــا وقوله وهو اصح من خبر التوقيت اشارة الى الرد على من يقول بحمل المطلق عـلى المقيد فاجاب بان التقييد مرجوح فى ذلك وهو اصح من خبر الضـــحاك الدال على الوقت اه وهو الذى اشرنا اليه فى النظم ثم قال ابن القيم وقد شرع صـلى الله عليه وسلم لامته اذا سلموا على أهل القبور ان يسلموا عليهم ســـلام من يخاطبونه فيقول المسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسـمع ويعقل قلت لان التقدير اهل دار قوم كما يأتى التصريح به قريبا فى رواية اهل الديار ثم قال ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب الجماد والمعدوم قـال ويكفى فى هذا تسمية المسلم عليهم زائرا ولولا أنهم يشعرون لما صح تسميتـــه زائرا فان المزور ان لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح ان يقال زاره • هـــذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الامم وكذلك السلام عليهم ايضا فان السـلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محـــال وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم امته اذا زاروا القبور ان يقولوا السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون رحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية فهذا الخطاب والنداء لموجود يسمع ويعقل ويخاطب ويرد وان لم

يسمع المسلم الرد اه واخرج العقيلي عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قـال ابو رزين يا رسول الله ان طريقى على الموتى فهل من كلام اتكلم به اذا مررت عليهم قال قل السلام عليكم يا اهل القبور من المسلمين انتم لنا سلف ونحن تبع وانا ان شاء الله بكم لاحقون قال ابو رزين يا رسول الله يسمعون قال يسمعون ولكن لايستطيعون ان يجيبوا قال قوله ولكن لا يستطيعون ان يجيبوا اى جوابا يسمعه الحى والا فهم يردون وقد وهم جماعة فقالوا ان قوله تعالى « فـلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون دل عـلى انهم لا يعرفون زائرا ولا يبلغون خيرا جهلا بصدر الآية وتفسيرها والا فان صدرها (هل ينظرون الا صيحه واحدة تاخذهم وهم يخصمون) فاخرج عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى هـذه الآية قال تقوم الساعة والناس فى اسواقهم يتبايعون ويذرعون الثياب ويحلبون اللقاح وفى حوائجهم فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعـون واخرج عبد بن حميد وغيره عن الزبير بن العوام قال ان الساعة تقوم والرجل يـذرع الثوب والرجل يحلب الناقة ثم قرأ فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فالآية فى صيحة يوم القيامة وان الاحياء لا يستطيعون توصية

« الكلام فى الروح وحقيقته »

واعلم بان هذه الصـفات اكثرهـا للروح لا للذات
فاصرف عنـان القول نحو الروح
شرحا له بالحق والصحيح

اعلم انا لم رأينا الاحكام التى اسلفناها متعلقة باحوال الروح رأينا من تمام الافادة ذكر مسائل مربوطة بالدلائل تتعلق بالروح وهى ثلاث تضمنها قولنا

فالروح جسم حادث نورانى حى خفيف مسرع السريانى
ينفذ فى الاعضا نفوذ النار فى الفحم أو كالماء فى الاشجار

هذه اربع مسائل المسألة الاولى كون الروح جسما فهذه المسألة اختلـف فيها جماعة من النظار وائمة العلم الكبار من المسلمين وغيرهم وقد نقـل ابن القيم فى كتاب الروح الاقوال ورد ما هو حقيق بالابطال وذكر ما هو الحق فيها

وأوضح عليه الاستدلال فاعرضنا عما ذكره ممن يستحق الاهمال وذكرنا ما ارتضاه وذكرنا للدليل الذى تسمعه وتراه قال هو جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم فما دامت هذه صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم بقى هذا الجسم ساريا فى هذه الاعضاء وافادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح وهذا القول هو الصواب فى المسألة وهو الذى لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ثم قال ونحن نسوق الادلة عليه على نسق واحد الاول قوله تعالى « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى » ففى الآية ثلاثة ادلة الاخبار بتوفيها وارسالها وامساكها الثانى قوله تعالى « ولو ترى اذ الظالمون فى غمران الموت الى حد قوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها اربعة ادلة احدها بسط الملائكة ايديهم لتناولها الثانى وصفها بالاخراج والخروج والثالث الاخبار عن عذابها ذلك اليوم الرابع الاخبار عن مجيئها الى ربها فهذه سبعة ادلة الثالث قوله تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار الى قوله حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون وفيها ثلاثة ادلة الاولى الاخبار بتوفى النفس فى الليل الثانى ردها الى الاجساد فى النهار الثالث توفى الملائكة عند الموت فهذه عشرة ادلة الرابع قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وفيها ثلاثة ادلة احدها وصفها بالرجوع الثانى وصفها بالدخول الثالث وصفها بالرضى فهذه ثلاثة عشر دليلا الخامس قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث بلال ان الله قبض ارواحكم وردها اليكم حين شاء ففيه دليلان وصفها بالقبض والرد فهذه ستة عشر دليلا السابع عشر اى من المستنبطة من الادلة وهو السادس من الادلة وهو ما رواه النسائى ان خريمة بن ثابت قال رأيت فى المنام كأنى اسجد

على جبهة النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك قال ان الروح لتلقى الروح فاقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا قال عفان برأسه الى حلقه فوضع جبهته على جبهة النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر ان الارواح تلتقى فى المنام وقد تقدم قول ابن عباس تلتقى ارواح الاحياء والاصوات فى المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى ثم ذكر احاديث ان ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر واستخرج منه ادلة ومن غيره ثم عدها اثنى عشر دليلا « تقدم بطوله فى شرح قول المصنف والآية السؤال فيها كامن الخ انتهى كما وجدت » ثم قال الثالث والثلاثون اى من المستنبطة والا فهو السابع من اصل الادلة حديث البراء بن عازب قلت وقد قدمنا لفظه قال وفيه عشرون دليلا احدها قول ملك الموت لنفسه يا ايتها النفس المطمئنة وهذا خطاب لمن يعقل ويفهم والثانى اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان الثالث قوله فتخرج تسل كما تسيل القطران من فى السقا الرابع قوله فلا يدعونها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها منه الخامس قوله حتى يكفنوها فى ذلك الكفن ويحنطوها فاخبر انها تكفن وتحنط السادس قوله ثم يصعد بروحه الى السماء السابع قوله فيوجد منها كأطيب نفحة مسك وجدت الثامن قوله فتفتح لها ابواب السماء التاسع قوله ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى تنتهى الى الرب العاشر قوله فيقول تعالى ردوا عبدى الى الارض الحادى عشر قوله فترد روحه فى جسده الثانى عشر قوله فى روح الكافر فيتفرق فى جسده فيجتذبها فتنقطع فيها العروق والعصب الثالث عشر قوله ويوجد له رائحة كانتن رائحة وجدت على وجه الارض الرابع عشر قوله فيقذف بروحه من السماء وتطرح طرحا فيهوى فى الارض الخامس عشر قوله فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب وما هذا الروح الخبيث السادس عشر قوله فيجلسانه ويقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل فان كان هذا للروح فظاهر وان كان للبدن فبعد رجوع الروح اليه من السماء السابع عشر قوله فاذا صعد بروحه قيل اى رب عبدك فلان الثامن عشر قوله ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فيرى مقعده من الجنة أو النار التاسع عشر قوله فى الحديث اذا خرجت روح المؤمن صلى عليها كل ملك لله بين السماء والارض فالملائكة تصلى على روحه وبنو آدم يصلى على جسده العشرون قوله

فينظر الى مقعده من الجنة أو النار حتى تقوم الساعة والبدن قد تمزق وانماالذى يرى المقعدين الروح ثم عد مائة وستة عشر دليلا من ادلة السنة والكتاب منهـــا ما تقدم وقد اقتصرنا عليه لمطابقة الادلة على ما دلت عليه هذهالادلة وهى المستبعثة منالادلة التى ساقها حيث قال ونحن نسوق الادلة على نسق واحد ثم قال الاول اى من اصل الادلة واستخرج منه ثلاثة ادلة ثم من الثانى ثم من الثالث والتحميل الذى حمله فى العد هو الذى استخرجه من الادلة لا انه بذلك العدد فى اصل الادلة بل اصلها سبعة كما قدمنا آخرها حديث البراء الا نا تركنا قوله الرابـــع عشر بعد المائة ان العقلاء كلهم متفقون على ان الانسان هو هذا الحى المتغـــذى الحساس المتحرك بالارادة وهذه الصفات نوعان صفات لبدنه وصفات لروحـــه ونفسه الباطنة فلو كانت الروح جوهرا متجردا لا داخل العـالم ولا خارجه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه لكان الانسان لا داخل العالم ولا خارجا عنه ولامتصلا به ولا منفصلا عنه اذ كان بعضه فى العالم وبعضه لا خارج العالم ولا داخله وكل عاقل يعلم بالضرورة بطلان ذلك فان الانسان بجملته داخل العالم بدنه وروحه وهذان فى البطلان يضاهى قول منقال ان نفسه قديمة غير مخلوقة فجعلوا نصف الانسان مخلوقا ونصفه غير مخلوق وقال قبل هذا والذى عليه جمهور العقـــلاء ان الانسان هو البدن والروح معا وقد يطلق اسمه على احـــدهما دون الاخر بقرينه فالناس لهم اربعة اقوال فى مسمى الانســان هل هو الروح فقط أو البدن فقط اومجموعهما او كل واحد منهما وانما تركت هذه لانه قال ان العقـــلاء متفقون على ان الانسان هو هذا الحى الخ وقد سلف له ان الناس لهم اربعـــة اقوال فى مسمى الانسان فناقض كلامه ويمكن التوفيق بين كلاميه بان يقدر فى قوله العقلاء اىجمهورهم فهو من قوله آخرا والذى عليه جمهور العقلاء وان كان قوله كلهم لا يساعد هذا الجمع بين كلاميه والمسألة الثانية التى اشرنا اليهـــا بقولنـــــا

والنفسوالروحهما شيآن وقيل شىء واحـد والثانى اختـاره العلامة ابن القيملمـــا رآه من دليل قيم

قال ابن القيم انه اختلف الناس فى الروح والنفس فمن قائل ان مسماهما واحد وهم الجمهور ومن قال انهما متغايران ونحن نكشف سر المســألة بحول

الله وقوته فنقول النفس تطلق على أمور احدها الروح قال الجوهرى النفس الروح يقال خرجت نفسه والنفس الدم يقال سالت نفسه وفى الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد ثم قال قلت النفس فى القرآن تطلق على الذات بجملتها قال تعالى « فسلموا على انفسكم » « لا تقتلوا انفسكم » « يوم تأتى كل نفس تجادل نفسها » « كل نفس بما كسبت رهينه وتطلق على الروح وحدها كقوله (يا ايتها النفس المطمئنة) وقوله (اخرجوا انفسكم) وقوله (ونهى النفس عن الهوى) وقوله (ان النفس لامارة بالسوء) واما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس وسميت الروح روحا لان بها حياة الابدان وسميت النفس روحا لمحصول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها أو من تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة دخولها وخروجها فى البدن سميت نفسا ومنه النفس بالتحريك فان الانسان كلما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه ثم قال والفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا بالذات وانما سمى الدم نفسا لان خروجه الذى يكون معه الموت خروج النفس وان الحياة لا تتم الا بالنفس • قال الشاعر

تسيل على حد الظباة نفوسنا وليس على غير الظباة تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت نفسه كما يقال خرجت روحه وخرجت نفسه الا ان الفيض الاندفاع وهلة واحدة ومنه الافاضة اى من عرفات وهى الاندفاع بكثرة وسرعة لكن أفاض اذا وقع باختياره وارادته وفاض اذا اندفع قسرا • وقالت طائفة اخرى من اهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس قال مقاتل بن سليمان للانسان حياة ونفس وروح فاذا نام خرجت نفسه التى يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التى خرجت منه وتبقى الحياة والروح فى الجسد فيه تتقلب ويتنفس فاذا خرجت رجعت اليه فى اسرع من طرفة العين فاذا اراد الله سبحانه وتعالى ان يميته فى المنام امسك تعالى النفس التى خرجت وقال ايضا اذا نام خرجت نفسه فصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فاخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح يعلم انه رأى كيت وكيت وقالت طائفة وهم اهل الاثر ان

الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلا معجون فيها ولا عدو لابن آدم اعدى من نفسه فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح تدعو الى الاخرة وتؤثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى والملك مع العقل والروح والله تعالى يمدهما بالهامه وتوفيقه وفى المسألة أقوال أخر غير ظاهرة الدليل كبعض هذه الاقاويل

فان قلت كيف خاض العلماء فى الروح والله عز وجل قد اخفى امرها فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الآية قلت قد قال بعضهم ان الروح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق للآية وقال آخرون هذا مبنى على ان المراد بالروح فى الآية هو هذا الذى يخوض فيه وكونه المراد بذلك منها مسألة نزاع بين السلف والخلف واكثر السلف بل كلهم على ان الروح المسؤول فى الآية هو الروح الذى اخبر الله عنه بقوله « يوم يقوم الروح والملائكة » وذلك فى يوم القيامة وهو ملك عظيم وقد ثبت فى الصحيح من حديث ابن مسعود قال بينما انا امشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خرب المدينة وهو متوكىء على عسيب فمررنا على نفر من اليهود فقال بعضهم اسألوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه عسى ان يخبر بشىء تكرهونه وقال بعضهم نسأله فقام رجل فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم فعلمت انه يوحى اليه فلما تجلى عنه قال « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ومعلوم انهم انما سألوه عن الامر الذى لا يعرف الا بالوحى وذلك هو الروح التى عند الله لا يعلمها الناس واما روح بنى آدم فليست من الغيب وقد تكلم فيها طوائف الناس من اهل الملل وغيرهم فلم يكن الجواب عنها من اعلام النبوة قلت بل قال الرازى فى مفاتيح الغيب ان مسألة الروح اى روح الانسان يعرفها اصاغر الفلاسفة واراذل المتكلمين فلو قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا اعرفها لا وجب ذلك التحقير والتنفير فان الجهل بمثل هذه المسألة يفيد تحقير اى انسان كان فكيف الرسول صلى الله عليه وسلم الذى هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء اهـ قلت ويأتى للرازى ان السؤال عن الروح انما هو هل هى قديمة أو حادثة ويأتى بيانه وقد ساق روايات فى تفسيره عن ابن عباس فى سبب السؤال ووقفه والمسئول عنه وهى

روايات مضطربة كما قال ابن القيم وساقها فى كتابه وبين وجه الاضطراب
والروح فى القرآن تطلق على عدة وجوه احدها الوحى كما قال تعالى « وكذلك
اوحينا اليك روحا من أمرنا » وقوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده
المؤمنين وسمى الوحى روحا لما يحصل به من حياة القلوب والارواح الثانى القوة
والثبات والنصرة التى يؤتيها من يشاء من عباده المؤمنين كما
قال « اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه »
الثالث جبريل كقوله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك وهو روح القدس
قال تعالى قل نزله روح القدس الرابع الروح التى سأل عنها اليهو فاجيبوا بانها
من امر الله » فقد سلف انها الروح المذكورة فى قوله تعالى (يوم يقوم
الروح والملائكة) والمذكور فى قوله (تنزل الملائكة والروح الخامس المسيح
بن مريم قال تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى
مريم وروح منه) واما ارواح بنى آدم فلم يقع تسميتها فى القرآن الا بالنفس
قال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة) فلا اقسم بالنفس اللوامة • وان النفس
لامارة بالسوء • اخرجوا انفسكم • ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
كل نفس ذائقة الموت واما فى السنة فجاء بلفظ النفس والروح فهذا منتهى
البحث فى المسألة الاولى واما المسألة الثانية وهى كون الروح حادثة أو قديمة
وهى مسألة ضل فيها طوائف من بنى آدم وهدى الله اتباع رسله فيها للحق
المبين فنقول اجمعت الرسل صلوات الله وسلامه علهم انها محدثة مخلوقة
مصنوعة مربوبة مدبرة هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل عليهم الصلاة
والسلام كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع
وان الله تعالى هو الخالق وان كل ما سواه مخلوق له وقد تقضى عصر الصحابة
والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم فى
حدوثها وانها مخلوقة حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه فى الكتاب والسنة فزعم
انها قديمة غير مخلوقة واحتج بانها من امر الله وأمر الله غير مخلوق
وبانه تعالى اضافها اليه كما اضاف علمه وقدرته وسمعه وتوقف آخرون
قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الآدمى مخلوقة مبتدعة باتفاق
سلف الامة وائمتها واهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير
واحد من المسلمين بل حكاه محمد بن نصر المروزى الامام المشهور الذى هو
من اعلم اهل زمانه بالاجماع والاختلاف وحكى ابو محمد بن قتيبة والف فيه
عبد الله بن منده والذى يدل على انها مخلوقة وجوه • الاول قال تعالى (الله

خالق كل شيء) فهذا اللفظ عام ولا تخصيص فيه بوجه من الوجوه قلت استدل الرازى بالآية التى استدل بها القائل بقدمه وهى قل الروح من أمر ربى بعد ان قدر اقوالا لا يحتملها سؤالهم بقوله يسألونك عن الروح وقرر ان اقرب مقادير السؤال ان يكون المراد يسألونك عنها هل هى قديمة أو حادثة فاجاب الله تعالى بقوله قل الروح من امر ربى اى بانه موجود محدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره فى افادة الحياة لهذا الجسد ولفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل قال الله تعالى « وما أمر فرعون برشيد » اى فعله وقال تعالى (ولما جاء امرنا) اى فعلنا فقوله قل الروح من امر ربى اى من فعل ربى اى بفعل الله وايجاده وتكوينه ثم احتج على حدوثها بقوله « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » بمعنى ان الارواح تكون خالية من مبدأ الفطرة عن العلوم والمعارف ثم تجعل لها المعارف والعلوم فهى لا تزال تكون فى التغير من حال الى حال وفى التبدل من نقصان الى كمال والتغير والتبدل من امارة الحدوث فقوله قل الروح من أمر ربى يدل على انهم سألوه عن الروح هل هى حادثة ام لا فاجاب بانها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه وهو المراد من قوله تعالى « قل الروح من امر ربى » ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال وهو المراد من قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا اه وقد ذكر ان للناس فى المراد بالروح فى الآية خمسة اقوال واختار ما ذكرناه ان الروح الذى به حياة الحيوان وان السؤال عن قدمه او حدوثه ثم قال ابن القيم والنصوص الدالة على انه كان الله ولم يكن شيء غيره كما ثبت فى صحيح البخارى عن عمران بن حصين وفيه قوله صلى الله عليه وسلم وكم كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء الحديث وهو دال على انه لم يكن مع الله ارواح ونفوس تساوى وجودها وجوده تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل هو الاول وحده لا يشاركه غيره فى اوليته بوجه من الوجوه ومنها النصوص الدالة على خلق الملائكة وهم ارواح مستغنية عن الاجساد تقوم بها وهم مخلوقون قبل خلق الانسان وروحه فاذا كان الملك الذى يحدث الروح فى جسم ابن آدم مخلوقا فكيف تكون الروح الحادثة بنفخه قديمة : قلت اما هذا الدليل فليس بناهض لانه يقول الخصم ارسال الملك بنفخة لا يدل على حدوثه اذ قد يرسل بالشيء القديم يجعله فى الحادث كما يقولون فى الكلام انه قديم وانه ينزل به

الملك فيلقيه الى رسل الله ففى غيره من الادلة غنية وقد تنبه لهذا ابن القيم وحاول الجواب خصاما لا استدلالا قال ومن الادلة على حدوثه حديث ابى هريرة رضى الله عنه « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذا الحديث فى صحيح البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة غير ابى هريرة قال والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة قلت كونها لاتكون الا مخلوقة يفتقر الى الاستدلال عليه ثم قال ومن الادلة ان الروح متصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا شأن المخلوق المربوب قلت دليل الرازى ناهض جدا والتحقيق انه قد ثبت انه لا قديم الا الله تعالى وقامت به الادلة فى علم الكلام فكل من ادعى قديما معه تعالى فعليه البرهان ولم نجد لمن ادعى قدم الارواح دليلا ناهضا وقولهم انه من امر الله كما قاله تعالى وامر الله غير مخلوق ولانه اضافه الله بقوله من روحى كما اضاف اليه سمعه وبصره ورحمته مما هو من صفاته مما ليس بمخلوق والجواب عن أمر الله ما سمعته من كلام فخر الدين الرازى من انه فعله وخلقه وتكوينه فالآية دليل على خلقه كما قدمنا عنه تقريره تقريرا بديعا واما اضافته اليه فمخلوقاته تضاف اليه تعالى ناقة الله . وعباد الله . والارض أرض الله كما فى الحديث وقال تعالى ارضى وسمائى فى الحديث القدسى وقال . ادخلى جنتى والجنة وكل ماذكرناه مخلوق باتفاق فليس فى الاضافة حجة على القدم واحتجوا بحديث « ان الله خلق الارواح قبل العباد بألفى عام » ذكره من ادلتهم أبو عبد الله بن مندة قلت ولا يخفى ان هذا لو ثبت لكان دليلا لنا عليهم لانه اخبار بانها مخلوقة وهم يدعون بانها قديمة واما كونها خلقت قبل الاجساد أو بعدها فبحث آخر ليس من محل النزاع بل هو بحث دخيل هنا وابن القيم اطال المقاولة فى هذا البحث واختار ان الارواح تخلق بعد خلق الاجسام واطال فى هذا ورد ما خالفه والذى قوى لنا انها مخلوقة قبل الاجساد قبلية غير معلوم زمانها ولا ابتداؤه وذلك ان ادلة القائل بتقدم خلقها واضحة وتكلف ابن القيم لردها فما نهض ما قاله ولولا محبة الاقتصار هنا لسقت كلام الفريقين وحاكمت بين الطائفتين والحمد لله رب العالمين والله اعلم

وموتها خروجها من البدن ... هذا الذى يختاره ذوو الفطن
فهذه الاربع فى المسائل ... مشرقة الانوار والدلائل

(١) الاجساد كما فى نسخة

هذه المسألة الرابعة وهى هل تموت الروح اولا قال ابن القيم اختلف الناس فى هذه فقالت طائفة تموت وتذوق الموت لانها نفس ذائقة الموت قالوا وقد دلت الادلة على انه لا يبقى الا الله وحده قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال كل شىء هالك الا وجهه قالوا اذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت قالوا وقد قال اهل النار « أمتنا اثنتين واحيتنا اثنتين » فالموته الاولى هذه المشهورة للبدن والاخرى للروح وقال آخرون لا تموت الارواح لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان قالوا وقد دل على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد المفارقة الى ان يرجعها الله الى اجسادها ولو ماتت الارواح لا يقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » فهذا مع القطع بان ارواحهم قد فارقت اجسادهم وقد ذاقت الموت قال والصواب ان يقال موت النفوس هو مفارقتها للاجساد وخروجها منها واذا اريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت وان اريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهى لا تموت بهذا الاعتبار بل هى باقية بعد موتها فى نعيم أو عذاب كما سيأتى وكما صرحت به النصوص انها كذلك حتى يردها الله الى اجسادها وقد نظم هذا الخلاف احمد بن الحسين الكندى فقال :

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف فى الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل يشرك جسم المرء فى العطب

قلت والشجب وهو بفتح الشين المعجمة وجيم مفتوحة فباء موحدة الهلاك كما فى القاموس يريد انهم اختلفوا فى كل شىء الا فى الهلاك اى الموت ثم قال واختلفوا ايضا فى الهلاك فقالت طائفة تهلك النفوس مع الابدان فتشارك الجسم فيه وقيل بل تخلص سالمة عن الهلاك فان قيل فعند النفخ فى الصور هل تبقى الارواح حية كما هى أو تموت ثم تحيا قيل قال تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الارض الا من شاء الله) فقد استثنى سبحانه وتعالى بعض من فى السموات والارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء وهو قول ابى هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره وقيل هم الحور العين وغيرهم ومن فى النار من اهل العذاب وخزنتها وهو قول اسحاق بن سافل من اصحابنا وقد نص الامام احمد

الملك فيلقيه الى رسل الله ففى غيره من الادلة غنية وقد تنبه لهذا ابن القيم وحاول الجواب خصاما لا استدلالا قال ومن الادلة على حدوثه حديث ابى هريرة رضى الله عنه « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذا الحديث فى صحيح البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة غير ابى هريرة قال والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة قلت كونها لاتكون الا مخلوقة يفتقر الى الاستدلال عليه ثم قال ومن الادلة ان الروح متصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا شأن المخلوق المربوب قلت دليل الرازى ناهض جدا والتحقيق انه قد ثبت انه لا قديم الا الله تعالى وقامت به الادلة فى علم الكلام فكل من ادعى قديما معه تعالى فعليه البرهان ولم نجد لمن ادعى قدم الارواح دليلا ناهضا وقولهم انه من امر الله كما قاله تعالى وامر الله غير مخلوق ولانه اضافه الله بقوله من روحى كما اضاف اليه سمعه وبصره ورحمته مما هو من صفاته مما ليس بمخلوق والجواب عن أمر الله ما سمعته من كلام فخر الدين الرازى من انه فعله وخلقه وتكوينه فالآية دليل على خلقه كما قدمنا عنه تقريره تقريرا بديعا واما اضافته اليه فمخلوقاته تضاف اليه تعالى ناقة الله • وعباد الله • والارض أرض الله كما فى الحديث وقال تعالى ارضى وسمائى فى الحديث القدسى وقال • ادخلى جنتى والجنة وكل ماذكرناه مخلوق باتفاق فليس فى الاضافة حجة على القدم واحتجوا بحديث « ان الله خلق الارواح قبل العباد بألفى عام » ذكره من ادلتهم أبو عبد الله بن مندة قلت ولا يخفى ان هذا لو ثبت لكان دليلا لنا عليهم لانه اخبار بانها مخلوقة وهم يدعون بانها قديمة واما كونها خلقت قبل الاجساد أو بعدها فبحث آخر ليس من محل النزاع بل هو بحث دخيل هنا وابن القيم اطال المقاولة فى هذا البحث واختار ان الارواح تخلق بعد خلق الاجسام واطال فى هذا ورد ما خالفه والذى قوى لنا انها مخلوقة قبل الاجساد قبلية غير معلوم زمانها ولا ابتداؤه وذلك ان ادلة القائل بتقدم خلقها واضحة وتكلف ابن القيم لردها فما نهض ما قاله ولولا محبة الاقتصار هنا لسقت كلام الفريقين وحاكمت بين الطائفتين والحمد لله رب العالمين والله اعلم

وموتها خروجها من البدن … هذا الذى يختاره ذوو الفطن
فهذه الاربع فى المسائل … مشرقة الانوار والدلائل

(١) الاجساد كما فى نسخة

هذه المسألة الرابعة وهى هل تموت الروح اولا قال ابن القيم اختلف الناس فى هذه فقالت طائفة تموت وتذوق الموت لانها نفس ذائقة الموت قالوا وقد دلت الادلة على انه لا يبقى الا الله وحده قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال كل شىء هالك الا وجهه قالوا اذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت قالوا وقد قال اهل النار « أمتنا اثنتين واحيتنا اثنتين » فالموته الاولى هذه المشهورة للبدن والاخرى للروح وقال آخرون لا تموت الارواح لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان قالوا وقد دل على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد المفارقة الى ان يرجعها الله الى اجسادها ولو ماتت الارواح لا يقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » فهذا مع القطع بان ارواحهم قد فارقت اجسادهم وقد ذاقت الموت قال والصواب ان يقال موت النفوس هو مفارقتها للاجساد وخروجها منها واذا اريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت وان اريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهى لا تموت بهذا الاعتبار بل هى باقية بعد موتها فى نعيم أو عذاب كما سيأتى وكما صرحت به النصوص انها كذلك حتى يردها الله الى اجسادها وقد نظم هذا الخلاف احمد بن الحسين الكندى فقال :

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم ... الا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل يشرك جسم المرء فى العطب

قلت والشجب وهو بفتح الشين المعجمة وجيم مفتوحة فباء موحدة الهلاك كما فى القاموس يريد انهم اختلفوا فى كل شىء الا فى الهلاك اى الموت ثم قال واختلفوا ايضا فى الهلاك فقالت طائفة تهلك النفوس مع الابدان فتشارك الجسم فيه وقيل بل تخلص سالمة عن الهلاك فان قيل فعند النفخ فى الصور هل تبقى الارواح حية كما هى أو تموت ثم تحيا قيل قال تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الارض الا من شاء الله) فقد استثنى سبحانه وتعالى بعض من فى السموات والارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء وهو قول ابى هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره وقيل هم الحور العين وغيرهم ومن فى النار من اهل العذاب وخزنتها وهو قول اسحاق بن سافل من اصحابنا وقد نص الامام احمد

على ان الحور العين والولدان لا يموتون عند النفخ فى الصور وقد نص الله تعالى على أن اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتين واما مستقرها بعد خروجها من الابدان فقد قدمنا بيانه والخلاف فيه ولها بعد فراقها له اتصال به فيعرف زائره وغيره وتعلقات الروح بالبدن خمسة تعلقات الاول تعلقها به فى بطن الام جنينا وذلك بعد نفخها فيه والثانية تعلقها به بعد خروجه الى الارض والثالث تعلقها به حال النوم فان لها به تعلقا من وجه ومفارقة من وجه الرابع تعلقها به فى البرزخ فانها وان فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها اليه التفات البته وقد تقدم من الآثار والاحاديث والمنامات ما يدل على ردها اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة ذكره ابن القيم

فصل

ثم اذا فرغنا مما اردنا من احوال الارواح فلنذكر ما يلحق الميت من الاعمال بعد موته نظما وشرحا فنقول

ويلحق الميت بعد الموت — من اجر ما قدم قبل الفوت
عشر خصال اربع فى مسلم — وغيرها فى غيره فلتعلم

اى انه يلحق الميت من الاجور والثواب من اعماله الى قبره وتجرى عليه ثوابها دائما وهى عشرة اشياء ثلاثة اتفق الشيخان على اخراجها من حديث ابى هريرة بلفظ (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) البخارى فى الادب ومسلم وابو داود والترمذى وابن ماجه والسبع التى رواها غيره رويت مفرقة فى احاديث الاول المرابط فأخرج احمد عن ابى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة تجرى عليهم اجورهم بعد الموت ومرابط فى سبيل الله ثم ذكر الثلاثة التى فى حديث ابى هريرة الثانى من سن سنة حسنة اخرج مسلم عن جرير بن عبد الله مرفوعا (من سن سنة حسنه كان له اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء وهذه هى التى زادها مسلم على البخارى كما فى النظم واما حديث ابى سعيد مرفوعا (من علم آية من كتاب الله او بابا من علم اجرى الله له اجره الى يوم القيامة) فانه داخل فى حديث ابى هريرة أو علم ينتفع به فان

تعفيم كتاب الله رأس العلم فعطفه هنا من عطف العام على الخاص الثالث والرابع والخامس والسادس ما اخرجه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مما يلحق المؤمن بعد موته اربعة العلم الذى نشره والولد الصالح ثم قال أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن سبيل بناه أو نهرا اجراه » وزادفى حديث انس عند ابى نعيم البزار أو حفر بئرا أو غرس نخلا وهذه هى السابعة فكانت عشرا وفى ذهنى انه قد نظمها الحافظ بن حجر ولم يحضرنى نظمه حال تأليف هذا فنظمتها فقلت

يجرى لمن حل فى لحده • اجور عشر عدها المصطفى • الولد الصالح يدعو له ومن لمصحف ورث لما نوى

أو صدقات قد جرت أو قضى مرابطا أو مسجدا قد بنى • أو مسكنا لابن سبيل ومن لمصحف ورث لما توى

وغرسه النخل واجراؤه • نهرا وبئرا حفرت فى الثرى • وسنة احسن فى بثها فهذه عشر اتت لا سوى

وهذا على جعل النهر وحفر البئر شيئا واحدا والا فهى احدى عشره وقد فسر العلماء الصدقة الجارية بالوقف وتقييد الولد بالصالح الداعى لمن خلفه وقع فى حديث ابى امامة عند احمد وفى حديث ابى هريرة عند مسلم وغيره ووقع بغير تقييد فى حديث ابى هريرة عن ابن ماجه وابن خزيمة فيحمل المطلق على المقيد وتقييدنا العلم بالنافع لانه قيد به فى حديث ابى هريرة عند مسلم واطلق فى غيره عن هذا القيد ووقع فى بعض الاحاديث تقييده بالنشر وقولنا بين الورى قيدنا به نشره فالنشر بالتدريس والتأليف أو نحوهما والمرابط من مات فى الثغر مجاهدا واعلم ان هذه التى تلحق الميت من اعماله واشرنا الى ما يتبعه من المسلمين بقولنا

هذا عليه جملة الاعيان   ومثله ايضا دعا الاخوان

قال ابن القيم فى كتاب الروح انها تنبع ارواح الاموات من افعال الاحياء امران مجمع عليهما بين اهل السنة من الفقهاء واهل الحديث والتفسير احدهما ماتسبب اليه الميت فى حياته والثانى دعاء المسلمين له واستغفارهم والصدقة والحج على

على نزاع فى الذى يصل من ثوابه هل ثواب الانفاق أو ثواب العمل فعند الجمهور ثوا ب العمل نفسه وعند الحنفية انما يحصل ثواب الانفاق

واختلفوا فى الصوم والصلاة وغيرها من القربات
والحق ان الكل مما يلحق دلت لها ادلة تحقق
قد سقتها فى شرح هذا النظم تقضى لمن حققها بالجزم
بان ما يهدى من الطاعات لاى ميت كان خير آت

قال ابن القيم قد اختلف فى العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر فذهب احمد وجمهور السلف الى وصولها وهو قول بعض اصحاب ابى حنيفة نص على هذا احمد لما قيل له الرجل يعمل الشىء من الخير من صدقة أو صلاة أو غير ذلك فيجعل نصفه لابيه او امه قال ارجو وقال الميت يصل اليه كل شىء من صدقة أو غيرها وقال ايضا أقرأ آية الكرسى ثلاث مرات وقل هو الله احد وقل اللهم اوصله لاهل المقابر والمشهور من مذهب الشافعى ومالك ان ذلك لا يصل اه واعلم ان الدليل على انتفاعه بما فعل له فى الاحياء الكتاب والسنة والاجماع وقواعد الشرع اما الكتاب فقوله تعالى « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الاحياء ودل على انتفاع الميت بالدعاء اجماع الامة على الدعاء لهم فى صلاة الجنازة وقد قال صلى الله عليه وسلم « اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء » اخرجه ابو داود فى السنن من حديث ابى هريرة وقد ثبتت الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم دعا فى صلاة الجنازة على من صلى عليهم وحفظ مما دعا به كما جاء فى صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه « اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه » الحديث . وهذا لا نزاع فيه اعنى انتفاع الميت بدعاء الاحياء انما خالف فيه قوم من اهل البدع فقالوا لا يصل الى الميت شىء من دعاء و لا غيره وهو قول باطل لا يفتقر الى رده فانه يرده القرآن والسنة وما علم فيهما فلانطيل بادلة انتفاع الاموات بدعاء الاحياء بل نشتغل بالاستدلال على وصول ما عداه من القرب البدنية وغيرها قلت هكذا قال ابن القيم رحمه الله ولا يخفى ان الدعاء ليس من باب اهداء القربة بل

هو سؤال الالتمال له ان يعطى المسؤل له ما طلبه السائل بشفاعة منه وتوسل الى الله بدعاءه بان يهب للمسئول له ما طلبه وليس هنا ثواب عمل يهبه له أو يهديه اليه وثواب هذا الدعاء والاستغفار باق للسائل وانما له ثواب السؤال وثواب الشفاعة وهو باق له فهذا ليس من ادلة اهداء الثواب واما ثناء الله على عباده المؤمنين بدعائهم لاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان فهو ثناء عليهم لاعترافهم له بفضيلة السبق وصلتهم لهم بالدعاء بعد الموت وسؤالهم المغفرة بعد ان سألوها لانفسهم وثواب هذا الدعاء باق للسائلين لانهم لم يخبروا انهم وهبوه لاخوانهم السابقين فان وهبوه فلدليل آخر وهو ما سيأتى

فصل

أما وصول الصدقة فقد ثبت فى الصحيح عن عائشة ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امى افتلتت نفسها ولم توصى واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان سعد بن عبادة رضى الله عنه توفيت امه وهو غائب عنها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امى توفيت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها قال نعم قال فانى اشهدك ان حائطى المخراف صدقة عنها وفى السنن ومسند احمد عن سعد بن عبادة رضى الله عنه انه قال يارسول الله صلى الله عليه وسلم ان امسعد ماتت فأى الصدقة أفضل قال الماء فاحتفر بئرا وقال هذه لام سعد وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن العاص بن وائل نذر أن ينحر فى الجاهلية مائة بدنة وان هشام بن العاص نحر حصته خمسين وان عمرا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ما أبوك فلو اقر بالتوحيد فصمت أو تصدقت عنه نفعه اخرجه الامام احمد

فصل

واما وصول ثواب الصوم ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من مات وعليه صوم صام عنه وليه وفيهما عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان امى ماتت وعليها صوم شهر أفأصوم عنها قال نعم فدين الله احق ان يقضى وفى رواية جاءت امرأة فقالت ان امى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها فقال افرأيت لو

كان على امك دين فقضيته اكان يؤدى عنها قالت نعم قال فصومى عن امك وهذا اللفظ للبخارى وحده تعليقا وعن بريدة رضى الله عنه قال بينما انا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتته امرأة فقالت انى تصدقت على امى بجارية وانها ماتت قال وجب اجرك وردها عليك الميراث فقالت يا رسول الله انه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها قال صومى عنها قالت فانها لم تحج افأحج عنها قال حجى عنها رواه مسلم • وفى لفظ شهرين وعن ابن عباس ان امرأة ركبت البحر فنذرت ان الله نجاها ان تصوم شهرا فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها أو اختها الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها ان تصوم عنها رواه واهل السنن واحمد وكذلك روى عنه وصول بدل الصوم وهو الاطعام ففى السنن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام شهر ان يطعم عنه لكل يوم مسكين رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه والصحيح قول من يرويه موقوفا وفى سنن ابى داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال اذا مرض الرجل فى رمضان ولم يصم اطعم عنه ولم يكن عليه قضاء وان نذر قضى عنه وليه

واما وصول ثواب الحج ففى البخارى عن ابن عباس ان امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان امى نذرت ان تحج ولم تحج حتى ماتت افأحج عنها قال حجى عنها ارأيت لو كان على أمك دين كنت قاضيته اقضوا الله فالله احق بالقضاء وفى معناه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا اخرجه النسائى وقد وقع الاجماع على ان قضاء الدين عن الميت من اى قاض قريب أو جنيب اى بعيد من غير تركته او منها يسقطه عن ذمته ودل له حديث ابى قتادة حيث ضمن دين ميت كان عليه ديناران عن الميت فلما قضاهما قال له النبى صلى الله عليه وسلم الآن بردت جلدته واجمعوا ايضا على ان الحى اذا كان له حق عند الميت فاسقطه عنه وأبرأه انه ينفعه كما يسقط من ذمة الحى فاذا سقط عن ذمة الميت بالنص والاجماع مع امكان ادائه منه لنفسه فأولى وأحرى ان يسقط عن ذمة الميت وينفعه ذلك واذا انتفع بالابراء والاسقاط انتفع بما يهدى له من ثواب الاعمال ولا فرق فان ثواب العمل حق للعامل فاذا اهداه ووهبه للميت انتقل اليه كما ان الذى على الميت من الحقوق ونحوها هو محض حق للحى فاذا

أبرأه عنه وصل الابراء اليه وسقط من ذمته فكلاهما حق للحى فاى نص أو قياس أو قاعدة من قواعد الشرع يوجب وصول احدهما ويمنع وصول الآخر بل هذه النصوص متضافرة على وصول ثواب الاعمال من الأحياء الى الاموات وقد نبه صلى الله عليه وسلم بوصول ثواب الصوم الذى هو مجرد ترك ونية تقوم بالقلب لا يطلع عليها الا الله سبحانه وتعالى وليس بعمل للجوارح على وصول ثواب القرآة الذى هو عمل باللسان تسمعه الآذان وتراه الاعيان بطريق الاولى توضيحه ان الصوم نية محضة وكف للنفس عن المفطرات وقد اوصل الله ثوابه الى الميت فكيف بالقراءة التى هى عمل ونية بل لا يفتقر الى النية فوصول ثواب الصوم الى الميت تنبيه على وصول ثواب سائر الأعمال تزيده وضوحا ان العبادة ثلاثة اقسام بدنية وماليه ومركبة منهما فنبه الشارع بوصول الصوم على وصول سائر العبادات البدنية ونبه بوصول الصدقة على وصول سائر العبادات المالية ونبه بوصول الحج المركب من المالية والبدنية على وصول ما كان كذلك فالانواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار واما ادلة من منع من ذلك فاستدلوا بقوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى) وقوله تعالى (ولا تجزون ما كنتم تعملون) وقوله (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقد ثبت حديث انه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث . الحديث وفى الحديث الآخر عن انس يجرى عليه اجرهن وهو فى قبره الحديث قالوا وهذا يدل على ان ماعدا ما ذكر لا يحصل له والا لما كان للحصر معنى قالوا ولان هذه حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم والاعمال لا توجب الثواب وانما هو مجرد فضل من الله واحسان فكيف يحيل العبد على مجرد الفضل وهذا نظير حوالة الفقير على من يرجو ان يتصدق عليه ومثل هذا لا يصح اهداؤه وهبته قالوا وايضا فان الايثار باسباب القرب مكروه فلذكراه احمد بن حنبل ايثار الغير بالصف الاول والتأخر عنه لما فيه من الرغبة عن سبب الثواب فانه سئل عن رجل يتأخر عن الصف الاول ويؤثر اباه بموضعه فقال لا يعجبنى هو يقدر ان يبر أباه بغير هذا فهذا فى اسباب الثواب فكيف اهداء الثواب نفسه فاذا كره الايثار بالوسيلة فبالغاية أولى واحرى بل قالوا لو ساغ هذا لساغ نقل الثواب والاهداء الى الحى ولو ساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه وقيراط منه ولو ساغ ذلك لساغ ان يهديه اليه بعد ان يعمله

لنفسه وقد قلتم لابد ان ينوى حال الفعل اهداءاه الى الميت والالم يصل اليه فاذا ساغ له نقل الثواب فاى فرق بين ان ينويه حال الفعل او بعده قالوا ولو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه قالوا ولهذا لا يقبل الله اسلام احد عن احد ولا توبته عنه واذاكان رأس العبادات لا يصح اهداأها فكيف فروعها قالوا واما الدعاء فهو سؤال من الله ورغبة اليه فى ان يتفضل على الميت ويسامحه ويعفو عنه وهذا غير اهداء الثواب اه فهذه اثنا عشر دليلا قد اجيب عنها جميعا اما قوله تعالى « وان للانسان الا ما سعى » فالجواب ان الآية فى غير محل النزاع لانه اخبر انه لا يملك الانسان الا سعيه الذى سعاه بنفسه ونفى ملكه لسعى غيره وبين الامرين من الفرق ما لا يخفى فانه اخبر انه لا يملك الا سعيه واما سعى غيره فهو ملك لساعيه فان شاء بذله لغيره وان شاء ابقاه لنفسه وهو تعالى لم يقل لا ينتفع الا بسعى نفسه الذى هو محل نزاعنا واما قوله تعالى « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فجوابه ان قوله لها ما كسبت هو مثل قوله انه ليس له الا ما سعى • اخبار بأن ما كسبته لنفسها فهو حق لها وهو لا ينفى انتفاعها بما يهدى لها كما انه فى الدنيا يملك العبد ما كسبه ولا ينفى نفعه لما يهدى له واما قوله وعليها ما اكتسبت فما هو من بحثنا اذ كلامنا فى لحوق ما ينفعها والاخبار بأن عليها ما اكتسبت لا ينافى ان يخفف أو يرفع ما عليها من الذنوب بالصدقة من الحى والدعاء كما لا ينافى فى تخفيفه وارتفاعه بالشفاعة والعفو وانما الآية اخبار انه لا يحمل عنه ذنوبه احد غيره واما قوله تعالى « ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » فصدر الآية « فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » وهو اخبار بانه لا يعاقب العبد بذنوب غيره ولا يؤاخذ بجريرته ولا يزاد فى سيئاته ولا تنقص من حسناته ولم ينف انتفاعه بعمل غيره فأن انتفاعه بما يهدى اليه ليس من اصل عمله وانما هو صدقة تصدق الله به عليه وتفضل بها من غير سعى منه بل وجب له ذلك على يد بعض عباده لا على جهة الجزاء فليست الآية من محل النزاع فهذه ادلتهم من الكتاب لم ينهض منها شئ على المدعى • واما استدلالهم من السنة بحديث « اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث » وحديث سبع تجرى للميت فادلة فى غير محلها لانا لم ندع ان الهداية الواصلة اليه من اخوانه المؤمنين من عمله انما اقمنا الادلة على انتفاعه بهدايا اخوانه ولم يقل

صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد انقطع انتفاعه وانما اخبر عن انقطاع عمله وهذا العمل لاخيه المؤمن اهدى ثوابه اليه فوصل اليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمل نفسه اذ لا عمل له فالمنقطع عمله • والواصل ثواب عمل غيره فاين احد الامرين من الآخر • واما ما استدلوا به من الرأى من قولهم الاهداء حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم فالجواب ان هذه حوالة المخلوق اما حوالة المخلوق على الخالق فأمر آخر لا يقاس على حوالة العبيد بعضهم على بعض على انا نقول بعد ثبوت الادلة عن الشارع بانتفاع الميت بهدية اخيه نعلم انه تعالى قد جعل الثواب المهدى أمرا مجزوما بحصوله تفضلا منه تعالى ومنة وذان لنا فى اهدائه لمن اردنا من اخواننا وانتفاعهم به هذا تنزل معكم والافانا نمنع قياس الخالق على المخلوق فى كل أمر من الامور اذ القياس فرع حصول الجامع والمماثلة فيه والله تعالى قد اخبرنا بانه ليس كمثله شيء فى صفاته ولاذاته ولا احكامه ولا هيأته ولا فى شأن من شئونه • ايقاس ملك الملوك على الفقير الصعلوك ؟ على انا نقول انه تعالى قد وعد على الحسنة عشر امثالها « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » ووعده تعالى قبض باليد لانه لا يخلف الميعاد فالاحالة على ما وعد به اعظم ثبوتا من الاحالة على حق ثابت لمخلوق على مخلوق وبه يعرف فساد هذا الدليل • واما الاستدلال بعدم الايثار بوسائل القرب فكيف بالقرب وثوابها فالجواب انهم لم يأتوا بدليل على دعوى كراهة الايثار بما ذكر الا قول احمد « لا يعجبنى » وليس كلام احمد بدليل وغايته ان هذا رأيه على انه قد ثبت الدليل على جواز هبة القرب من الاحياء الى الاحياء فثبت حديث من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لك صلاتى كلها وظاهره كما قال بعض العلماء ان المراد بها ثواب الفرائض اذ هى الصلاة التى ينطلق اليها الاطلاق فى لسان الشارع فاجاب صلى الله عليه وسلم اذا تكفى همك أو نحو هذا اللفظ فهذا نص فيما ذهبنا اليه • واما الاستدلال بانه لو ساغ ذلك من الحى للميت لساغ ذلك من الحي للحي فالجواب ان الادلة التى سقناها دلت على لحوق ذلك للاموات ودل حديث اجعل لك صلاتى الحديث • على صحة ذلك للاحياء فما قلتموه ملتزم وقد قال به بعض الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم وقد شرع الله الاستغفار للاحياء والدعاء لهم وصح اجماعا قضاء الحى دين الحى فاى مانع عن ذلك فى اهداء ثواب طاعة الله وقد

صح حج الحى عن الحى العاجز ونحوه • واما ايراد الاشكال وانه يؤدى الى اتكال الحى على عمل الحى وانها مفسدة اذا عرفها اصحاب المعاصى قصروا فى الطاعات واستأجروا عليها وصارت الطاعات معاوضات وذلك يؤدى الى اسقاط العبادات فجوابه ان الكلام فيما يهديه المؤمن من ثواب طاعته وقربه لاخيه الحى وانه يكتب أجره لاخيه وليس كلامنا فى أنه يسقط الواجبات ويستأجر للمفروضات فان هذا بالضرورة الدينية والاجماع المحقق معلوم عدم ارادته حتى انه يعلم انه مخصص لو قام الدليل على اجراء فعل القربة عن الحى على العموم يعلم ان الفرائض مخصصة دون التطوعات والنوافل وقد صح ان يستأجر الحى من يحج عنه نفلا وقال السبكى لو وجدت من استأجره ليصلى عنى تطوعا لفعلت أو نحو هذا واما استدلالهم بانه لو ساغ لساغ اهداء نصف الثواب وربعه فجوابه انه يصح ولا مانع عنه فللعبد ان يهب ما شاء فيما فعله الله لمن يشاء من عباده ويكون محسنا مأجورا • واما استدلالهم بانه لو ساغ لساغ اهداؤه بعد ان يعمله لنفسه وقد قلتم لابد ان ينوى حال الفعل اهداءاه الى الميت والا لم يصل فالجواب ان فى المسألة قولين قول انه لو عمل العمل من الطاعات وبعد فراغه اهداء الى الميت وصل اليه واين الدليل المانع عن هذا فان الهدية لا تكون الا بعد ملكه لها واستحقاقه اياها بل لا تكون الا هكذا فى الاحياء فانه لا يهب ولا يهدى الانسان الا ما ملكه والثواب لا يستحقه الا بعد اتيانه الطاعة وفراغه منها على انه لو نوى بها هديه لغيره عند دخوله فى الطاعة أو قبله فانها هبة وهدية مشروطة بان يتم الطاعة ويستحق عليها المثوبة • واما الاستدلال على انه لا بد من تقديم نية ما يهديه قبل فعلها لما سلف من احاديث الذين استفتوه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وافتاهم بلحوقها كان قبل فعلها فلذلك اشترطوا تقدم النية فهو لا يتم به الاستدلال لان الواقع كان كذلك والسائل سأل جاهلا للحكم وهو اللحوق وبعد ان افتاه الشارع باللحوق ساكتا عن شرطية تقدم النية بل قياسا له على قضاء الدين الذى لا يشترط فيه تقديم النية دل على اللحوق مطلقا أما قولهم لو ساغ هذا لساغ اهداء ثواب الواجبات التى تجب على الحى فجوابه انه لا مانع عن ذلك عند من لم يشترط تقدم النية لا على من يرى شرطية تقدمها فانه يقول هذا الالزام محال

فان الواجب تجب نيته من الفـــــاعل لانه مفروض عليه واما من لا يرى ذلك فيقول بصحة هذا القول قال ابن القيم وقد نقل عن جماعة انهم جعلوا ثـــواب اعمـــــالهم من فرض ونفل للمسلمين وقالوا نلقى الله بالفقر والافلاس المجرد
والشريعة لا تمنع من ذلك فان الاجر ملك للعامل ان شاء ان يجعله لغيره فلاحجر عليه وسلم لعمرو وان اباك لو كان أقر بالتوحيد فصمت أو تصدقت عنه نفعه ذلك كما جعل سبحانه الاسلام سببا لنفع المسلمين بعضهم بعضا فى الحياة وبعد الممات فاذا لم يأت سبب انتفاعه بعمل المسلمين لم ينفعه عمل المسلمين ولذا قال صـــلى الله عليه وسلم لعمرو ان اباك لو كان أقر بالتوحيد فصمت أو تصدقت عنه نفعه ذلك هذا كما جعل سبحانه اسلام العبد سببا لانتفاع العبد بما عمل من خير فاذا فاتــه هذا الســـــبب لم ينفعه غير عمله ولم يقبل منه كما جعل الاخــــلاص والمتابعة سببا لقبول الاعمـــــال فاذا فقدتا لم تقبل الاعمـــــال وكما جعل الوضوء وسائر شروط الصلاة سببا لصحتها فاذا فقدت فقدت الصـــــحة وهذا شأن سائر الاسباب مع مسبباتها الشرعية والعقلية والحسية فمن سوى بين حالتى وجود السبب وعدمه فهو مبطل فهذه اجوبة واضحة ناهضة على ما يتعلق به من منع وصول الثواب الى الاموات من اخوانهم من اهل الايمان وقـــالت طائفة انها تصل العبادات التى تدخلها النية كالصدقة والحج قالوا والعبادات التى تدخلها النية نوعان نوع لا تدخله النية بحال كالاسلام والصلاة وقراءة القرآن والصيام فهذا النوع يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه ولا ينتقل عنه كما انــــه فى الحياة لا يفعله احد عن احد ولا ينوب فيه عن فاعله ونوع تدخله النية كرد الودائع واداء الديون واخراج الصدقة والحج فهذا يصل ثوابه الى الميت لانـــه يقبل النيابة ويفعله عن غيره فى حياته فبعد موته بطريق الاولى ثم تكلموا عـــلى الاحاديث التى جاءت على خلاف ما ذهبوا اليه فقالوا اما حديث من مات وعليـــه صوم صام عنه وليه فجوابه ان رواية ابن عباس التى اخرج عنه النسائى انه قال لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلى أحد عن أحد . ولان مالكا قال فى الموطـــأ لا يصوم أحد عن أحد هذا مجمع عليه عندنا وجوابه ان فتيا ابن عباس بخــلاف روايته لا يقدح فى روايته الصحيحة المرفوعة ثم حديثه قد ثبت من طريـــــق

عائشة فهب ان حديثه يترك بخلافه له بفتواه اه اى فيطرح حديث عائشة بفتوى ابن عباس على ان ابن عباس كما اسلفناه عنه خص حديث صام عنه وليه بصوم النذر فلم يخالف فتواه حديثه من كل وجه وهذا ارخاء لعنان البحث مع المستدل بفتواه المقدم لها على ما رواه والا فالعمدة فى روايته لا فى رأيه واما قول مالك للاجماع فمراده اجماع اهل المدينة لا اجماع الامة كيف والثابت عن ابن عباس انه يصام عنه فى النذر ويطعم عنه فى رمضان وهو مذهب احمد وقال ابو ثور يصام عنه مطلقا وبه قال داؤود بن على واصحابه انه يصام عنه فرضا كان او نفلا وقال الحسن اذا كان عليه صوم شهر وصام عنه ثلاثون رجلا يوما واحدا اجزاه ولا يقدح ذلك فى الحديث قال ابن عبد البر قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صوم صام عنه وليه وصححه الامام احمد وذهب اليه وعلق الشافعى القول به على صحة الحديث وقد ثبت بلا شك فهو مذهب الشافعى ولذا قال به غير واحد من اصحابه قال البيهقى فى كتاب المعرفة بعد ان حكى قول الشافعى انه قال قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصوم عن الميت شىء فان كان ثابتا صيم عنه كالحج قال البيهقى قد ثبت جواز القضاء عن الميت فى رواية سعد بن جبير وعطاء ومجاهد وعكرمة عن ابن عباس اه نعم واما قول من قال انه يصل فى الحج ثواب النفقة بدون افعال المناسك فدعوى مجردة بلا برهان والسنة تردها فان النبى صلى الله عليه وسلم قال حج عن ابيك ولم يقل ان الانفاق هو الذى يقع عنه وكذلك قال للذى سمعه يلبى عن شبرمة حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة ولما سألته المرأة عن الطفل وقالت الهذا احج قال نعم ولم يقل ان له ثواب الانفاق بل اجاب ان له حجا مع انه لم يفعل شيئا بل وليه ينوب عنه فى افعال المناسك • واذا انتهى بنا القول الى هنا علمت قوة القول بانه يصل الى الميت كلما اهداه له الحى من قربة من صلاة وصيام وتلاوة قرآن وحج وغير ذلك من كل ما يؤجر فيه العبد ويجعله لاخيه من باب الاحسان والصلة والبر واحوج خلق الله الى الصلاة هو الميت رهين الثرى الذى تعذر عليه فعل كل طاعة فان قلت ايما افضل هبة الانسان اجر طاعته أو ابقاؤه لنفسه قلت لا كلام انه بصدقته على غيره يؤجر لان الله لا يضيع عمل عامل بل قد ثبت ان العبد اذا دعا لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك فكيف اذا احسن اليه وهو فى

غيبة لا يرجى ايابه الى الداعي والمهدى منها ثم ان اهداء حسنة والحسنة بعشر امثالها فمن اهدى اليه مثلا ثواب صوم يوم أو ثواب قراءة جزء من القرآن اعطاه الله صوم عشرة ايام واجر تلاوة عشرة اجزاء ومن هنا يظهر ان جعل طاعتـــه لغيره افضل من ادخارها لنفسه ولذا اقر صلى الله عليه وسلم من قال له اجعـل لك صلاتى كلها وقال له اذا تكفى همك فان قلت هذا شيء ما فعله سلف الامـة من الصحابة وغيرهم وهم احرص الناس على الخير قلت قد فعله هذا الصـحابى الصحابى لاشرف خلق الله ومن اين لك انـــــه لم يفعل السلف ذلك فانه لا يشترط فى هذه الهبة اشهاد الناس عليها ولا اخبارهم بها وهب انه ما فعل هـــذا احد منهم فانه لا يقدح فيهم لانه مندوب لا واجب ولانه قد ثبت لنا دليل جـواز فعله سوءا سبقنا اليه احد او لا فان قلت ما تقول فى الاهداء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قال ابن القيم ان من الفقهاء المتأخرين من استحسنه ومنهم من لا يستحسنه ورآه بدعة فان الصحابة لم يكونوا يفعلونه ولان النبى صـــلى الله عليه وسلم له اجر عمل كل عامل من غير ان ينقص من أجر العاملين شيء لانه هو الذى دل امته على كل خير وارشدهم ودعاهم اليه فله مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيء اهـ كلام ابن القيم ومثله لابن قاضى شهبه فى جواب سؤال قلت وقوله انه لم يفعل احد من السلف ذلك غير صـــحيح فقد فعله الصحابى الذى قال له صلى الله عليه وسلم ان يجعل له صلاته كلها وظاهره حيا وميتا ثم ان ابن القيم قد جعل من ادلة وصول الاهداء الدعاء والاستغفار وصـلاة الجنازة وهذا كله قد فعله السلف له صلى الله عليه وسلم وامرهم به وان يدعو له بايتاء الوسيلة والفضيلة وامرهم الله بالصلاة عليه الى يوم الدين والصلاة دعاء له فاى مانع عن اهداء الثواب لسائر الاعمال اليه صلى الله عليه وسلم وامـــا قوله ان له مثل اجر من عمل من امته طاعة فنعم هو كذلك فليزد له العـــامل اهدا اجره ليكون له صلى الله عليه وسلم الاجران صلى الله عليه وعلى آله وسلم مـــا اختلف الملوان وما طلع النيران وما جرت الانهـــار وما بقى الابرار فى غرف الجنان والفجار فى لافح النيران وهذا عندنا شيء مقطوع به قد وصلنا جماعـــة من اقربائنا ومشايخنا رحمهم الله تعالى بصلاة من دعاء أو تلاوة أو صدقة ورأيناهم فى المنام شاكرين لما صنعنا وظهر لنا نفعهم بما اســــديناه وقد اخرج ابن ابى

الدنيا وهو ابو بكر بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبيد بن ابى الدنيا قال حدثنى محمد ابن عبد العزيز بن سليم قال حدثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجنائز فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا مشى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحدتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن مسيئكم وقبل حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال فانسيت ذات ليلة وانصرفت الى اهلى فلم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو قال فبينما انا نائم اذا بخلق كثير قد جاءونى قلت من انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هى قالوا الدعوات التى كنت تدعو بها قال قلت فانى اعود لذلك قال فما تركتها وقال حدثنى محمد حدثنى يحى ابن بسطام قال حدثنا عمارة بن سوادة الطفاوى قال كانت امه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما احتضرت رفعت رأسها الى السماء فقالت يا ذخرى وذخيرتى ومن عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى لا تخزينى عند الموت ولا توحشنى فى قبرى قال فماتت فكنت آتيها كل جمعة وأدعو لها واستغفر لها ولاهل القبور فرأيتها ذات ليلة فى منامى فقلت يا أمة كيف انت فقالت اى بنى ان للموت كربة شديدة وانى بحمد الله لفى برزخ محمود يغرس فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والاستبرق الى يوم النشور فقلت الك حاجة قالت نعم قلت ما هى قالت لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فانى ابشر بمجيئك يوم الجمعة اذا اقبلت من اهلك يقال لى ياراهبة هذا ابنك قد اقبل فأسر ويسر بذلك من حولى من الاموات وذكر الجلال عن الشعبى قال كانت الانصار اذا مات لهم ميت اختلفوا الى قبره يقرأون عليه القرآن وقال ابو يحى الناقد سمعت الحسن المحمودى يقول مررت على قبر اخت لى فقرأت عندها تبارك لما يذكر فيها فجاءنى رجل فقال انى رأيت اختك فى المنام تقول جزا الله اخى عنى خيرا فقد آنست بما قرأ وفى هذا المعنى عدة منامات تفيد المراد وفى ما ذكرناه كفايه

خاتمة

وههنا قد انتهى المراد ... من جمع ما يهدى به العباد
الى سبيل الخير والرشاد ... والاجر للعامل فى المعاد
مصليا من بعد حمد الواحد ... على النبى وآله الاماجد
تدوم مهما دامت الارواح ... وان فنت من دونها الاشباح

هذا بحمد الله آخر ما اردنا الكلام عليه من شرح السيوطى وما الحقنا من نظم ونثر اليه والحمد لله اولا وآخرا فى كل حين من الاحيان ولحظة من لحظات الزمان يفوق حمد كل انسان • بل يفوق حمد حمده به الثقلان الانس والجان يدوم بدوام الله عدد ما خلق الله ونسأله ان ثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة • وان يرحمنا اذا انزلنا اللحود • وفارقنا المهود ورحلنا عن الاوطان • او لحقنا بالسابقين من الاخوان • ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • وعلى الله توكلنا فى ساعات الليل والنهار ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

يقول العبد الفقير الى رحمة مولاه القدير حسن محمد مشاط نقل لنا هذه النسخة ابننا الطالب جعفر على بكر من نسخة عالم اليمن الشيخ عبد الله بن سعيد اللحجى والتى قال فى آخرها انه نقلها من نسخة نقلت من نسخة خط المؤلف رحمه الله وقد قابلها كما يقول - اول الامر على النسخة الام المنقول منها وهى سقيمة وذلك بتاريخ ١٢ رجب عام ١٣٧١ ثم من الله عليه بنسخة عليها علامة الصحة وقابل عليها مرة ثانية ثم قال ان هذه النسخة الثانية لا تخلو من السقم الا انه حصل بها تصحيح كثير من العبارات التى هى غير مستقيمة فى النسخة المنقول منها

والله اعلم

دليل الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	حياة الحافظ جلال الدين السيوطي بتوسع
٧	ترجمة الشارح الامير الصنعاني
١١	معنى الاسلام ـ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو من الادعية الجامعة
١٦	بحث في حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف العلماء في ذلك
٢٥	حكم الدعاء بالرحمة للرسول صلى الله عليه وسلم
٢٧	المعنى العام للقبر
٢٨	بيان يتعلق بالمقدمات التي تسبق الموت
٣٠	أنواع الهداية وأنها من أسنى المطالب
٣٣	عقيدة المعتزله في عذاب القبر والسؤال ثم الدفاع عنهم
٥٤	فائدة جليلة تزيل كل اشكال وتدفع كل اعتراض
٥٥	عذاب القبر وقع على الروح والبدن ثم ذكر الخلاف في ذلك
٥٧	أقسام الدور التي يتقلب بينها البشر
٥٨	السؤال ابتلاء وامتحان
٥٩	سرد لاقول المختلفة في مستقر الارواح
٦٨	أدلة اثبات الصراط
٧١	ذكر المنافقين وفتنتهم في القبور
٧٢	من معجزات نبي الله يوشع عليه الصلاة والسلام

الصفحة	الموضوع
٧٣	فصل في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم الجواب وحرص الانصار على تعليم اطفالهم الجواب
٧٤	مشروعية التلقين قبل الموت
٧٥	أدلة التلقين
٧٦	قصة طريفة تحكى عن أبي زرعة
٧٧	بعض ما يروى من قصص المحتضرين
٧٨	ما جاء في تلقين الميت بعد الدفن والخلاف في ذلك
٨١	اختصاص الامة المحمدية بالسؤال والخلاف في ذلك
٨٢	فصل في سؤال من لم يدفن ومن أكلت السباع اجزاءه
٨٥	قصة قيس بن ثابت بن شماس وتنفيذ وصيته المنامية
٨٧	حلول الروح في من تفرقت اجزاءه بعد موته
٨٩	بيان تعدد من اعفى عن السؤال في القبر
٩٤	سؤال الانبياء والرسل في القبور
٩٦	سؤال الجن والاستدلال له
٩٧	اختلاف العلماء في سؤال الاطفال ودليل كل قول
١٠٢	تعدد أسباب الشهادة خصوصية لهذه الامة
١٠٩	فصل في سؤال الكافر وأطفال المشركين

الصفحة	الموضوع
١١١	فصل فى اسم الملكين وصفتهما
١١٢	فصل فى صفات منكرونكير
١١٦	فصل فى كيفية جواب من ثبته الله
١٢٥	فصل فى جواب الاشقياء والعياذ بالله
١٣١	فائدة نفيسة وقاعدة عامة فيما يختص بالاعمال
١٣٣	أمور الاخرة توقيفية لا مجال للرأى فيها
١٣٤	سبب تسمية ملكى السؤال بفتانى القبر
١٣٤	اللغة التى يجيب بها الميت الملكين
١٣٥	فصل فى تكرير السؤال سبعة ايام
١٣٨	أول من الف الكتب فى الاسلام
١٤٥	خاتمة كتاب التثبيت
١٤٦	تأييد الشارح فيما ادعاه الناظم من نزول ملكين لتلقين المؤمن فى قبره
١٤٧	بداية كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب
١٤٨	الموت راحة المؤمن وريحانته وغنيمته
١٥٢	فصل فى تسليم الله تعالى على من فى السياق من المؤمنين وتسليم الملائكة عليهم
١٥٣	فصل فى بشرى المؤمن واستقبال الملائكة لروحه بالاكفان والروح والريحان
١٥٥	فصل فى بكاء السموات والارض على المؤمن اذا مات وترحيب قبره به
١٥٦	فصل فى معرفة الميت من يغسله ويحمله ويكفنه ويدخله فى قبره
١٥٧	فصل فى ترحيب القبر بالميت ولطف ضمه له
١٥٨	فصل فى صلاة الاموات فى قبورهم
١٦١	فصل فى تزاور الاموات فى قبورهم
١٦٣	فصل فى تلاقى أرواح الاحياء والاموات
١٦٥	فصل فى معرفة الاموات من أتاهم زائرا
١٦٧	بحث فى الكلام عن الروح وحقيقتها
١٧٧	فصل فى ما يصل ثوابه للميت من اعمال
١٨٠	فصل فى وصول ثواب الصدقة
١٨٠	فصل فى وصول ثوت الصدقة
١٨٠	فصل فى وصول ثواب الصوم
١٨٩	خاتمة كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب

والحمد لله على التمام